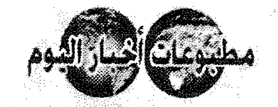


قطاع الثقافة

أحمد رجب

أى كلام



قطاع الثقافة

أى كلام

أحمد رجب

دار أخبار اليوم
قطاع الثقافة

جمهورية مصر العربية
٦ شارع الصحافة
القاهرة

تليفون/ فاكس
٥٧٩٠٩٣٠

الغلاف : مصطفى حسين

الإخراج الفنى : أشرف حسين

أى كلام .. وصورة من قريب !

** يمكن ان تضبط ساعتك عند ظهور سيارته امام المبنى القديم لدار اخبار اليوم .

بالضبط .. تمام العاشرة ينزل من مقعده الامامى ، المجاور للسائق ، ثم يمضى مباشرة الى المدخل ، الى المصعد ، الى الحجرة رقم - ٥٣ - التى يقول انه قضى نصف عمره بها ، لا يلتفت يمنة ولا يسرى . واذا ما التقى به شخص ما . فإنه يتحاور معه بسرعة . . يجيب اجابات مقتضبة . وكان يعلن عن رغبته فى الانفراد .

اذ يدخل الحجرة التى تقع فى الطابق الثالث . حيث مكاتب مجلة اخر ساعة . وقسم التصوير . والمكتبة . والارشيف . طابق يضج بالحركة . ومع ذلك يتوارى خلف باب هذه الغرفة التى لا يمكن ان تدخل اليها مباشرة . الا بعد اجتياز ممر قصير فى نهايته دورة مياه خاصة . . والى يمين الداخل باب يؤدى الى الغرفة مباشرة . مرتفعة الجدران . مغلقة تماما ، يضيئها نور خافت ، غير مباشر مجرد مكتب . ومكتبة ومقعدين فى مواجهة المكتب مباشرة . ومذياع وجهاز تسجيل تنبعث منه طوال النهار موسيقى كلاسيك يفضلها .

بمجرد دخوله . يتقدم ليغلق الباب الخارجى بالمفتاح .

هكذا تبدأ عزلة احمد رجب اليومية . لا يرد على الهاتف لا يستقبل احدا الا فيما ندر ، وبموعد سابق .

لا أعرف كيف يمضى احمد رجب وقته الذى يقع بين دخوله المكتب فى العاشرة صباحا. وحتى انصرافه فى الثانية والنصف. لا ادرى كيف يفكر ويكتب فى هذه الغرفة المغلقة عليه من الخارج. لا ادرى من اين منابع خفية تستعصى على المتابع تتفجر هذه الطاقة الساخرة، النادرة وتعبر عن نفسها فى اربعة محاور يوميا، وباستمرار ورغم اية ظروف معوقة او طارئة تبرز على صفحات جريدة الأخبار. لتبعث وتفجر الابتسامة من اغوار القلوب. واستثارة الاحساس الساخر من الشعب المصرى امر فى حاجة الى طاقة خارقة. لأن المصريين بطبعهم يتمتعون بحس نادر من السخرية والقدرة على توليد الفكاهة واللماحية. وفى تقديرى ان تاريخهم العريق. الطويل، ومعاناتهم الطويلة، اكسبتهم هذه القدرة.

يوميا. وعلى صفحات الاخبار. يقدم احمد رجب اربع لقطات - ان جاز التعبير - ساخرة. اولها فى الصفحة الاولى. مطرب الاخبار هذه الشخصية النادرة الغريبة. التى استوحاها أحمد رجب من واقعنا المعاصر جدا.

وهذه الشخصيات التى تطل علينا من خلال الرسم اليومى للفنان مصطفى حسين. كمبورة. جنجح، عزيز بيه الاليت، الكوماندة، وغيرهم من الشخصيات التى اضافها احمد رجب الى واقعنا اليومى، فكأنهم يسعون بيننا من لحم ودم. وثالثا، هذا المحور الذى يتناوله أحمد رجب باستمرار فى كتاباته، والذى يدور حول العلاقة بين الرجل والمرأة. ويظهر على مستويين، الاول يومى فى هذا الرسم الصغير فى

الصفحة الاخيرة الذى ينشر تحت عنوان ثابت هو ، الحب هو ، وفى ذلك المقال الاسبوعى الذى يكتبه فى اخبار اليوم .

أما المحور اليـومى الرابع ، فكلمتـه المركزة جدا ، والتى ينشرها تحت عنوان «نصف كلمة» تحوى نقدا اجتماعيا او سياسيا لاذعا . كل ما عرفته عـما يجرى داخل الغرفـة ٥٣ ، اثناء وحـدته ، ان السطور الاربعـة او الخمسة التى يكتبها يوميا يعانى فى صياغتها وكتابتها معاناة شديدة . اذ يمزق ما يكتبه عدة مرات . وخلال اتصالى به من اجل اخراج هذا الكتاب اكتشفت مدى الحذر الذى يصل الى حد الخوف الشديد من القارىء . أو لنقل بمعنى آخر الحرص على احترام القارىء .

يقدم أحمد رجب اعماله بتواضع شديد ، ويعيد صياغتها اكثر من مرة .

يوميا . يجتمع بالفنان مصطفى حسين ، حيث يمده أحمد رجب بأفكار الرسوم اليومية الثلاثة ، وتلك علاقة نادرة فى تاريخ العمل الفنى والصحفى واظن ان الذى مهد لها هو المرحوم على أمين . هكذا جمع بين عبقرية احمد رجب الساخرة . وموهبة مصطفى حسين النادرة .

احمد رجب كما عرفته مثقف كبير ، قارىء جاد للاعمال الادبية ، متابع دقيق لاحدث ما ظهر من نتاج فكرى وادبى . يكن احتراما عميقا للموهبة الحقيقية ويعمل على دعمها ، ينحاز الى الاجمل ، الى الاصدق . مؤمن تماما بحرية التعبير . والتفكير . وفىٌّ إلى حد نادر لأساتذته واصدقائه . رأيت ذلك فى علاقته بمصطفى امين .

سخريته فيها تأمل وعمق وحزن تستمد مقوماتها من روح ساخرة، وموهبة نادرة، وثقافة عريضة، واستناد إلى تراث طويل، طويل للشعب المصرى، تراث يجعل الانسان المصرى أسيان فى ذروة فرحه، فاذا ضحك طويلا، أو من القلب، يتوقف على الفور ويقول «اللهم اجعله خيرا.»

لقد اختار احمد رجب لكتابه هذا عنوانا غريبا. «اى كلام»، وهذا العنوان بقدر ما فيه من سخرية، بقدر ما فيه من أسى خفيف، فالحقيقة ان الكتاب ليس أى كلام، ولكنه كلام فى المليان جدا، فى حياتنا اليومية، فى الصحافة، فى الثقافة. فى علاقة الرجل والمرأة، هذا ما تحويه الصفحات التالية، شذرات تبدو ولكنها فى الحقيقة تتضمن رؤية متكاملة، رؤية ساخرة نفاذة.

ومعذرة لهذه السطور ذات الدم الثقيل، التى نقدم بها احدث ما كتب الساخر العظيم. أحمد رجب.

جمال الغيطانى

أبو زيد ..
السلاح السرى لعلى أمين

فى الخمسينات . فصلنى على أمين عشرات المرات . وانزلنى من نائب رئيس تحرير الى محرر عشرات المرات وعشرات المرات اصدر قرارا بنقلى بوابا لأخبار اليوم على ان يحل محلى ابو زيد البواب نائبا لرئيس التحرير !

وقد كان أبو زيد هو الانسان السوبر مان الذى صنعه على أمين ولم نكن نعرف مواهب هذا السوبرمان الابو زيدى الا فى خلال ثورات على امين من أجل الأكمل والافضل . فإذا لم يعجبه توضيب صفحة قال لسكرتير التحرير . انا اجيب ابو زيد يوضب بدالك ، وإذا افلت خبر من مخبر : انا أجيب ابو زيد يشتغل مخبر بدالك . وإذا لم تعجبه صورة : أنا اجيب ابو زيد يصور بدالك . وإذا توقفت المكنة اثناء الطبع وتأخر المهندس دقائق فى ادارتها : انا أجيب ابو زيد يدورها بدالك .

وشخط فى مصطفى أمين

وعندما انضم الى اسرة أخبار اليوم رسام يعمل مع على امين لأول مرة لم يكن يعرف ان شخطات على أمين ـ من اجل الاكمل والاجمل ـ كلها فشنك فى فشنك . ولابد ان تعقبها ابتسامة طفولية ولا كأن حاجة حصلت فلما عرض الرسام رسم وتوضيب قصة العدد على على امين . .

اعجبه الرسم ولكنه اعترض على طبع جزء من كلام القصة فوق جزء من ارضية الرسم الزرقاء. لان الحروف عادة لا تظهر فوق اللون بوضوح مما يتعب نظر القارىء. لكن الرسام بدأ يناقش على امين فى مبدأ هام من المبادىء التى ارساها على امين فى توضيب المجلات، فصاح فى الرسام: ده توضيب. عصر افندينا. اسمع أنا أجيب ابو زيد يرسم بدالك!

ووجدت الرسام ينتظرنى فى مكتبى ليخبرنى ان على امين طلب ان يرسم ابو زيد رسوم القصة. فلما فهمته ان ابو زيد هو بواب اخبار اليوم وليس رساما فى الدار كما يظن. غضب الرسام الشاب وذهب يشكو على امين الى مصطفى امين. فقال له مصطفى امين.

- ماتزعلش، تتصور ان على امين لسه شاخط فىّ حالا وقاللى انا أجيب ابو زيد اعمله توأم بدالك.

واصطحب مصطفى امين الرسام الى مكتب على امين. وما ان رآه بالباب حتى نهض من مكتبه واتجه نحوه يصالحه ويطبطب عليه. وبينما كان على امين يدعو الرسام على واحد ليمون يروق دمه من حكاية ابو زيد اللى بيرسم احسن منه. استدعانى ليرى صورة الغلاف التى اخترتها للعدد الجديد. فنظر الى الصورة وقد لاح عليه الغضب ثم اقبل نحوى يندد بذوقى المتخلف فى اختيار صورة الغلاف. وانخلع قلب الرسام الشاب. فوضع كوب الليمون وهرب من المكتب لأنه غير متمرس على هذه المواقف الفشنكية. بينما امسك على امين بالصورة مؤكدا ان صاحبة هذه الصورة هربانة من التجنيد وان ابو زيد البواب أجمل منها، ثم اصدر قراره قائلا: شيلها من على الغلاف وحط صورة ابو زيد بدالها!

السوبرمان فى السينما

هكذا تعاظم شأن السوبرمان الابوزيدى فاكتمل له الجمال بعد الكمال بقرار من على أمين! ولم يكن يدهشنا ان ابو زيد كان يبدى رأيه فيما ـ لا يعجبه من كتاباتنا ـ وهو يمط شفتيه فى قرف شديد، بل كان يدهشنا حقا انه كان يستوقف على امين نفسه ـ صاحب الدار ـ عند البوابة ليعبر له عن رأيه فيما يكتبه. أحيانا بالاعجاب وحينا بالنقد، وكان يحيرنا فعلا ان على امين كان ينصت اليه باهتمام إذا انتقد. وذلك رغم الالفاظ الدبش التى يستعملها ابو زيد وكان شيئا له العجب ان يتحلى على أمين بالهدوء الشديد وهو يحاول ان يتفهم وجهة نظر ابو زيد. وقد عزونا هدوء على امين الى انه ليس هناك ابو زيد اكثر يهدد به ابو زيد بعبارته المأثورة: أنا أجيب ابو زيد يقف فى البوابة بدالك!

لكننا ذات يوم عرفنا السبب. فقد اقترح على امين على انيس منصور ان يصحب معه ابو زيد الى السينما. وان يسجل تعليقات ابو زيد على فيلم «بنات اليوم» وفيلم «لواحظ»، وعرفنا ان على امين ينظر الى ابو زيد باعتباره «رجل الشارع» الذى من حقه ان نستمع الى وجهة نظره فى صحافة وسينما واذاعة بلاده. وبالفعل، جاءت التعليقات التى سجلها انيس بلسان ابو زيد ذكية ورائعة ولماحة. تعكس ما فى اعماق الانسان المصرى البسيط من حضارة لسبعة الاف سنة.

الواد الحليوة

ثم حدث ما جعل على امين يكف عن تهديدى بابو زيد او على الاصح يقلل من حدته. إذ ارسلت اليه مذكرة عن تأخر الاقسام الفنية فى

اعداد غلاف العدد الجديد. ومع المذكرة صورة الغلاف الملونة من تصوير احمد يوسف. ونظر على امين الى صورة الغلاف. فإذا بها صورة ابو زيد وعليها تعليق: ابو زيد معبود النساء. اقرأ ص٢٦!

وضحك على امين واعتبرها نكتة، ورفع سماعة التليفون ليتصل بى، لكننى كنت فى مكتب آخر اتصل بعلى امين منتحلا شخصية رئيس الاقسام الفنية ومقلدا صوته، وقلت لعلى أمين: أحمد رجب كتب فينا مذكرة وده غير صحيح يا فندم لأن غلاف ابو زيد جاهز!

وسمعت صوت قذيفة رهيبة هى هبدة يد على امين فوق المكتب متسائلا فى استنكار: غلاف مين؟؟ فاكدت له بهدوء انه غلاف ابو زيد وأن أحمد رجب قال ان على أمين لم تعجبه صورة فتاة الغلاف وأمر بوضع صورة ابو زيد على الغلاف.

وتوالت قذائف على أمين فوق المكتب وصوته يهدد معلنا لرئيس الاقسام الفنية ـ الذى هو أنا ـ انه سيودعه مع أحمد رجب مستشفى الامراض العقلية، فعدت اقول ببرود شديد وهدوء أشد انه ليس هناك أى وقت لعمل غلاف جديد. ويمشى المرة دى يا فندم غلاف ابو زيد.. والله يا فندم ابو زيد طالع شكله لطيف وحلو ولا روبرت تايلور.

عند هذا الحد سمعت على امين يضع السماعة بعنف، وبعد قليل علمت أنه يقتحم الاقسام الفنية بحثا عن رئيسها المجنون، فأسرعت اغادر الدار الى بيت على أمين، إذ كنت مدعوا على الغداء معه!

مرفود × ١٠٠ مرة!

وعلى مائدة الغداء انذرنى على أمين بأنه سوف يفصلنى من العمل فى الساعة السادسة والنصف مساء اليوم! فإن احد اصدقائه الحميمين من الأدباء القدامى كان قد كتب مقالا فى ٢٥ صفحة فولسكاب. واعطانى على أمين المقالة وطلب منى ان اختصرها فى خمس ورقات. فعلى أمين لا يستطيع ان يدوس الفن الصحفى الذى علمه لنا: «احترم وقت القارىء: اكتب باختصار وتركيز، لا وقت عند القارىء للت والعجن: هناك ادوات حضارية تنافسك كالراديو مثلا فكن على مستوى المنافسة عندما كنت تكتب. اكتب باختصار وكأنك تكتب برقية ستدفع عن كل كلمة فيها قرشا.

وكما لا يستطيع على أمين ان يدوس الفن الصحفى من أجل صديقه. فهو لا يستطيع ايضا ان يغضب صديقه الذى يعيش فى تقاليد الصحافة القديمة عندما كان يحتل مقال الكاتب صفحة كاملة فى الجريدة!.. لهذا عندما اتصل به صديقه بعد النشر معاتبا على نشر المقال مختصرا. وعده على أمين بإجراء تحقيق لمعرفة الفاعل المجرم! وعادة فى مثل هذه الأحوال يسفر التحقيق ـ الذى لا يحدث ابدا طبعا ـ عن اننى الفاعل الاوحد!

فلقد نشر كاتب معروف مقالا بغير توقيعه. فاستدعانى على أمين امام الضيف الذى جاء يحتج على المقال، وقال لى: انت مرفود!

ونشر خبر فى جريدة اخبار اليوم التى لم اعمل بها ابدا. فاستدعانى على أمين وقال لى امام ضيفه الجالس. انت مرفود!

وذات مرة استدعانى فجأة لاجد عنده ضيفا ضخم الجثة واضح جدا انه مصارع. وطلب منى على أمين ان اكتب تكذيبا للخبر الذى لا اعرف عنه شيئا والذى انا برىء منه بطبيعة الحال. واذا بالضيف يحتد على فجأة ويصبح على وشك استعمال عضلاته فنهره على أمين بأدب وانهى المشكلة بفصلى من العمل وبدون مكافأة!

المهم اننى بعد ذلك لمحت هذا الضيف المارد فى احد الاندية مرتديا بدلة التدريب. وما ان لمحنى من بعيد حتى استشعرت الخطر الرهيب فجريت خارجا من النادى وظللت اعدو حتى تقطعت انفاسى ولم ينقذنى إلاالقفز الى احد الاتوبيسات!

ولقد تكرر رفدى بعد ذلك عشرات المرات. واليوم سافصل فى الساعة السادسة والنصف مساء!

لكننى - يومها بالذات - اشترطت على على أمين ان امثل دور المفصول بشرط أن يعطينى الأمل - مجرد الأمل - فى انه سيمنحنى اجازة ولو لبضعة أيام. فإننى لم احصل على يوم واحد اجازة من سنتين وأعمل معه ١٨ ساعة فى اليوم حتى «انهديت» ولم تعد طاقتى - وانا فى الخامسة والعشرين - تستطيع اللحاق بطاقته الخرافية فى العمل! كنت بعد ان انتهى من عملى فى المجلة اعمل معه فى مشروعات التجديدات الصحفية التى لا تنتهى. وكان يفرد الماكيتات امامه ويندمج فى العمل لدرجة ان جرس التليفون رن بجواره مرة.. قال وهو منهمك فى العمل دون ان يرفع سماعة التليفون.. الو.. مين؟؟

ثم قلبها جد!

وجاء صديقه الحميم فى السادسة والنصف . واستدعانى على أمين . واشتغلت القذائف و ضربات يده على المكتب . كيف اجرؤ واختصر المقالة؟ كيف اتطاول واجرى بقلمى فيها شطبا وحذفا . . ثم هبد يده الهبدة الختامية مع العبارة المأثورة : انت مرفود!

وفوجىء صديقه الأديب . . وراح يرجو على أمين فى تخفيف العقوبة وبلاش قطع العيش . ولكن على أمين صمم . . وانصرف الرجل وهو مستاء من هذه المصيبة التى حطت على دماغى . والمهم انه بعد انصراف الرجل سألنى على أمين انت اختصرت مقالته فى كام ورقة؟ قلت له : سبع ورقات . وهنا ثار بحق وحقيق ضاربا المكتب بيده . لكن انا قلت فى خمس ورقات . انا أجيب ابو زيد يختصر بدالك!

البشرى العظيمة!

ثم جاء على أمين يزف الى بشرى سعيدة . فعلا أنا مرهق ولابد ان استمتع بحياتى . لقد اعد لى مفاجأة وسوف يمتعنى بحياتى فعلا!

وانجلت المفاجأة السعيدة على انه اصطحبنى الى النادى الاهلى لنتغدى ثم فسحنى على النيل من كوبرى الجلاء الى كوبرى عباس الى كوبرى الملك الصالح وبالعكس . وبقى ان تعرف ان الجو يومها كان خماسينيا اصفر رسيب التراب!

وانتقاما من على أمين كتبت فى مجلة «اخبار الدار» التى كانت تصدا داخل الدار مقالا بعنوان . «على امين متعنى بالحياة» وقلت فيه .

قلت لعلى أمين: اقترح ان نعود الى الدار فالجو خماسينى.

فرد على أمين: الا ترى زرقة السماء الصافية؟

قلت له: بذمتك شايفها كده؟

قال: طبعا..

قلت له: طيب نتمتع بالحياة فى يوم غير ده.

قال على أمين: ألا تحس بنسمة الربيع الباردة الحلوة.

قلت له: فين دى؟

قال: الا تشم عبير الجو الربيعى الساحر؟

قلت له: انا لا اشم الا ترابا اصفر.

قال على أمين: مسكين. انت بائس لأنك لا ترى حلاوة الدنيا؟

ثم رفع على امين رأسه الى السماء وقال:

يارب! امنحه القدرة على ان يرى حلاوة الدنيا: ارفع من على عينيه نظارة الخماسين الصفراء وضع بدلا منها نظارة الربيع الزرقاء!

يارب: أصبه بزكام حتى لا يشم ما فى الجو من تراب. واجعله يتخيل ان مناخيره مزروعة بزهور الكريزانتيم والجلاديول والورد والريحان حتى يحس بحلاوة الدنيا فى الربيع!

يارب: ارفع درجة حرارته الى اربعين وشرطتين حتى يرتعش ويشعر ان هذا الهواء الخماسينى الساخن هو نسمات الربيع المنعشة. املأ قلبه

بالتسامح مع الطبيعة حتى يتصور ان هذا التراب الذى يملأ فمه هو سكر بودرة . يارب : هذا دعائى لك من أجل عبدك البائس أحمد رجب الذى لا يرى حلاوة الدنيا فى الخماسين ! .

****

الفرقة ٥٣ !

** قضيت نصف عمرى فى الغرفة ٥٣ بمبنى اخبار اليوم! والغرفة ٥٣ غرفة تاريخية. فأول من اتخذها مكتبا هو توفيق الحكيم. ثم كامل الشناوى. ثم جلال الحمامصى. ثم موسى صبرى. ثم انيس منصور. ثم سعيد سنبل. ثم كاتب هذه السطور!

وقد اشتهرت هذه الغرفة بأن من يقيم فيها لابد ان يغادردار اخبار اليوم. إما للعمل الصحفى فى دار اخرى أو الى بيته ليستريح فى اجازة مفتوحة. وكان تعبير اجازة مفتوحة فى تلك الايام هو اسم الدلع للفصل من العمل.

فقد ترك توفيق الحكيم الغرفة ليعمل مديرا لدار الكتب وخرج منها جلال الحمامصى ليؤسس وكالة انباء الشرق الاوسط وغادرها كامل الشناوى ليرأس تحرير الجمهورية وجلس فيها موسى صبرى فتم منعه من الكتابة مع اجازة مفتوحة. ثم صدرت الاوامر بنقله الى الجمهورية. . ثم دخل انيس منصور الغرفة ٥٣ وخرج منها فى اجازة مفتوحة ايضا. والاجازة المفتوحة ـ كما عرفناها يومئذ ـ كانت بلا مرتب او معاش او مكافأة وذلك طبقا للأوامر الصارمة الصادرة من السلطات العليا فكان مصطفى أمين يدفع سرا مرتب صاحب الاجازة من جيبه الخاص حتى بعد تأميم اخبار اليوم!

وجاء الدور على سعيد سنبل ليدخل الغرفة رقم ٥٣ ورفض بشدة فى البداية . ولكن على أمين الذى اشتهر بالقدرة على ان يعدى كل من حوله بالتفاؤل استطاع ان يقنع سعيد بالاقامة فيها . فدخل يتفحصها كأنما يريد ان يستجلى سرها . وهداه تفكيره الى ان يغير وضع المكتب فنقله من الحائط الشرقى المواجه للباب الى الحائط الغربى المجاور للباب لعل ذلك يكسر نحس الغرفة!

وبقى سعيد سنبل فى اخبار اليوم

وفى منتصف الستينات جاء دورى لاقيم فى الغرفة ٥٣

ورغم معرفتى بتاريخ الغرفة الا ان عملى الدائم مع على أمين علمنى التفاؤل . بل لقد وصل تفاؤلى الى اننى قررت اعادة المكتب الى الوضع القديم . وجاء عمال الكهرباء والتليفونات ونقلوا الاسلاك من الحائط الغربى الى الحائط الشرقى كما كان!

ومر يومان . وذهبت لاقبض مرتبى فلم أجد اسمى فى كشف المرتبات . وسألت صراف الخزانة عن السبب فمط شفتيه علامة انه لا يعلم . وهز مدير الحسابات كتفيه علامة انه لا يدرى . وحرك موظف المستخدمين كفيه يمنة ويسرة علامة انه لا يفهم . وكان حديث الثلاثة بالاشارة معى دليلا على ان بركة الغرفة ٥٣ قد حلت على رأسى واننى اصبحت من المغضوب عليهم . وان الكلام معى باللسان مكروه شرعا!

وبدأت ابحث عن حكام اخبار اليوم فى ذلك الزمان ولم أجد الضابط الصغير الذى فوضه الضابط الكبير فى حكم اخبار اليوم نيابة عنه بوصفه

سكرتيره. وبحثت عن الصول سكرتير الضابط الصغير الذى يتولى تصريف الامور نيابة عنه فهو غير موجود ايضا. وبحثت عن الشاويش ضرغام سكرتير حضرة الصول الذى يحكم فى غيابه فقيل إنه يضىء اللمبة الحمراء. وبحثت عن العسكرى ابو اليزيد سكرتير الشاويش ضرغام فقالوا لى انه فى صالة تحرير الاخبار يراجع المانشتات التى كتبها مصطفى أمين!

وايمانا بنظرية سعيد سنبل. بدأت اغير من وضع المكتب لتكون النافذة من خلفى. وما ان استقر المكتب فى وضعه الجديد حتى دق جرس التليفون ليبلغونى ان اسمى سقط سهوا من كشف المرتبات وعاد موظفو الادارة يتحدثون معى باللسان بدلا من لغة الاشارة علامة انى غير مغضوب عليه والحمد لله.

وبقيت فى الغرفة ٥٣ وظل أول ساكن للغرفة توفيق الحكيم يذكرنى فى كل كتاب جديد يهديه الى اننى اجلس فى غرفته. العزيزة كما كان يصفها دائما، كأنما يطلب ان اصونها واحرص عليها. وكانت اخر الكتب التى تلقيتها من عملاق الفن والفكر كتاب «يقظة الفكر» الذى يقول فى مقدمته: لا أريد من كتابى ان يريح القارىء. اريد ان يطوى القارىء كتابى فتبدأ متاعبه. ان مهمتى هى تحريك الرؤوس.

وقد حرك توفيق الحكيم رأسى وأنا أحملق فى أجواء الغرفة ٥٣ واتساءل: كيف لم أحظ من هذه الغرفة بإشعاعات الفكر والفن التى تركها توفيق الحكيم فى هذا المكان فأفكر مثله وابدع مثله!

وتبين لى ان السبب هو أننى غيـرت مكتبى من الغرفـة حيث كـان يجلس توفـيق الحكيم ونقلتـه الى الجانب الآخر حيث كـان مربط حمار الحكيم.

*****

التميمة

فى فترينة زجاجية ببيت أحد الاصدقاء وجدت ثوبا نسائيا فى حجم اصبع اليد ـ منياتور ـ موضوعا على مانيكان خشبى بنفس الحجم!

ولا أعرف لماذا استهوانى هذا الثوب الحريرى .
ولا اعرف ايضا لماذا تفضلت باخذه فورا عندما قال لى الصديق : تفضل!

ومنذ ان استقر هذا الفستان فى جيبى تغيرت حياتى تماما : اعطانى مصطفى امين علاوة ضخمة . واصبح على أمين يسخو على بالمكافآت كلما اعجبه عدد من مجلة ـ الجيل ، وبالصدفة اصبح كل عدد يعجبه جدا ـ وهو الذى كان لا يعجبه الا الكمال ـ والكمال لله وحده .

ولم انتبه فى البداية لهذا الدور الذى يلعبه ذلك الثوب النسائى حتى انهالت العقود السينمائية لكتابة السيناريو والحوار وانهالت معها الفلوس . . وصدر لى اول كتاب ـ وكان فى سلسلة كتاب اليوم ـ حقق ارقاما ضخمة فى التوزيع افزعت مدير عام المؤسسة الذى اراد «استكرادى» فوقع معى عقدا بأن يكون أجرى حسب النسخ التى يتم توزيعها وليس اجرا قطعيا كما يعامل بقية المؤلفين !

وعلى المستوى العاطفى . كفت الفتاة التى كنت احبها عن الخناقات والغيرة والهجر والخصام واصبحت ظريفة لطيفة مطيعة تقوم بدور العاشقة الولهانة واقوم انا بدور سى السيد !

واصبح الثوب النسائى الحريرى ـ الذى لا اعرف سره العجيب ـ يحتل مكانا امينا فى محفظتى، واطمئن كل ساعة على وجوده!

وشكت لى مرة سعاد حسنى ان بعض المنتجين لا يدفع بقية اجرها عن افلام انتهت منها. وحدثتها عن الثوب النسائى الذى احمله وعن سره الباتع. وبمنتهى الشهامة اعرته لها لمدة يومين. فطرق المنتجون بابها ـ وكأنهم على اتفاق ـ ليدفعوا لها بقايا اجورها!

وحدثنى عبدالحليم حافظ فى التليفون: سلفنى الفستان، «الزغنن» اللى معاك عايزه ضرورى. وغاب الثوب النسائى ثلاثة ايام عند حليم ثم طلب ان يكون معه ثلاثة ايام اخرى. وجاء بعدها عبدالحليم ليحتضننى ويقبلنى شاكرا ممتنا والسعادة ترقص فوق ملامحه!

ولا اعرف للآن ماذ فعل الثوب النسائى لحليم!

وسمع المنتج حلمى رفلة بخبر الفستان المعجزة والح فى طلبه لأنه مديون فى السوق ويود ان يسدد ديونه. وبقى الفستان مع حلمى رفلة اسبوعا. وكان هذا الاسبوع كافيا لتسديد ديونه!

واعرته لصديق عزيز كان يمر بأزمة نفسية وما ان حمل الثوب حتى صدر فى اليوم الثالث ما فك ازمته. تعيينه رئيسا لهيئة كبرى.

واستعارته منى صديقة عزيزة ولم أكن اعرف انها تريد ان يكون هذا الفستان العجيب معها فى اميركا حيث قررت الهجرة الى هناك.

وهكذا فقدت التميمة الساحرة وتبدل - بعد فقدها ـ حالى. اصبح على أمين يقلب كل عدد جديد من المجلة وهو يصيح غاضبا: أنا أجيب ابو زيد البواب يطلع المجلة بدالك!

وجف نهر الفلوس . وأدبرت الدنيا بعد اقبال!

ولأول مرة بدأت أتفاءل واتشاءم بالاشياء . قلم حبر . كرافته معينة . حذاء محدد . وذات يوم شعرت ببرودة شديدة تسرى فى ساقى اليمنى لاكتشف ان الحذاء الذى أتفاءل به اصبح له ثقب فى حجم المئة فلس!

والتفاؤل والتشاؤم او التطير من النزعات الفطرية التى تسيطر على الافراد والجماعات وقد أوحى الينا الأوربيون مثلا بالتشاؤم من رقم ١٣ بينما لم ننجح نحن فى ان نوحى اليهم بأن البومة طائر كريه لأنهم يتفاءلون بالبومة ويعتبرونها رمز الحكمة . وفى بعض جزر الباسيفيك يعتبرون ظهور قوس قزح كارثة كبرى ويرى الانجليز أن القط الاسود يجلب الحظ . ويعتقد بعض الناس انه اذا رأى هلال أول الشهر العربى من الجانب الأيمن فالمولود سيكون عظيم الذكاء . واذا رآه من الجانب الايسر فالمولود سيكون مؤلف مسلسلات!

*****

الأصل والصورة

من سنين . استقبلونى بترحاب فى أحد المطارات العربية ، واندهشت بشدة لهذه الاهمية التى احاطونى بهـا منذ اللحظة التى أمسك فيـهـا الضـابط بجـواز سفرى ، ولـم تطل دهشتى ، فقد صحبونى الى غرفة بالمطار ، واتضح ـ دون ان ادرى ـ ان اسـمى كـرابيت كركوريان واننى عميل اسرائيلى اتقن التنكر وتغيير مظهرى وجوازات سفرى ، وآخر تغيير حدث لى هو اننى غيرت لون شعرى الكستنائى وازلت شاربى !

وصحيح ان اثبات شخصيتى استغرق بعض الوقت . لكنه طال وكأنه دهر . وتلمست العذر حقا لرجال الأمن فى المطار عندما ابرزوا لى صورة كـرابيت كـركـوريان ـ أو جرجوريان لا اذكـر ـ فقـد ذهلت وانا اراه يكاد يكون توأما لى . وسبحان الذى يخلق من الشبه اربعين !

وبسبب هذا الحادث شعرت بانزعاج عندما نشرت إحدى المجلات العربية صورة ضمن كتاب آخرين وكتبت تحتها اسمى ، ولم تكن الصورة لى . بل لرجل حاد الملامح قاسى العينين معقوف الانف وفى صفحة تالية وجدت صورتى منشورة مع تحقيق عن رجال المافيا وتحت صورتى كتبوا : جياكومو منجوزى رجل المافيا القوى .

وعـادت المجلة العـربية تنشر تحقيـقـا عن الذين يقومون بتحرير باب البخت فى الصحف فنشرت حديثى ومعه صورة رجل المافيا جياكومو منجوزى ومكتوب تحتها اسمى .

وحاول مكتب القاهرة تصحيح هذا الخطأ فنشرت المجلة اعتذارا أوضحت فيه ان لبسا قد حدث وان هذه هى صورة الاستاذ فلان الفلانى وكانت الصورة لجياكومو منجوزى بينما كتبت تحت صورتى اسم جياكومى منجوزى.

واتصلت بمركز المجلة فى بيروت استغيث من ان الاصرار على نشر صورتى باعتبارى جياكومو منجوزى سوف يسبب لى متاعب فى المطارات وقد يعرضنى للمطاردة بالمدافع الرشاشة. فوعدنى مدير التحرير بتدمير كل كليشيهات وافلام جياكومو منجوزى. فمزق ودمر كليشيهات صورتى انا وابقى صورة منجوزى مكتوبا تحتها اسمى!

ومقالب الصور لا تنتهى!

زمان كانت تصدر فى القاهرة مجلة فكاهية اسمها البعكوكة، وكان الشربينى افندى لا يغفر لأى تلميذ يضبطه متلبسا بحيازة البعكوكة. فما أن يقع هذا التلميذ بين يديه حتى ينهال عليه بالقول: ياسوقى.. ياحثالة يافسل.. ياأرذل من خنيزع ويا احمق من هبنقة، وما ان ينتهى من هذا الموشح حتى يأمر التلميذ بأن يقلب ظهر يده - فى عز البرد - ليتلقى عشرين مسطرة عقابا على حيازة البعكوكة.

ومن صور للشربينى افندى فى رحلة مدرسية قصصنا صورة لوجهه وارسلناها الى مجلة البعكوكة وظهرت الصورة فى صفحة مليئة بصور القراء وتحت الصورة الشربينى أفندى من اصدقاء البعكوكة وكانت مذبحة كبرى للفصل ولا مذبحة المماليك.

وفى الاربعينات كان هناك ممثل اشبهه تماما اسمه فرناندو لاماس، فكنت اشترى عشرين صورة له من الحجم الصغير واستخدمها فى بطاقات الكلية واشتراك المواصلات وما الى ذلك وكانت العشرين صورة بقرش بينما الذهاب للمصور يكلف عشرة قروش . . فسعدت كثيرا بهذا الممثل الذى كان يتيح لى ان اصرف الميزانية المخصصة للتصوير الفوتوغرافى فى الذهاب الى السينما . وظللت استخدم صوره لسنوات الى ان دق باب البيت طارق يقول : بوليس . .

- لماذا كفى الله الشر . .

- مطلوب للنيابة . .

ووقفت امام وكيل النيابة متهما بالتزوير فى اوراق رسمية إذ قدمت طلبا إلى جهة حكومية مرفقا به صورتى .

قال لى وكيل النيابة : هل هذه صورتك؟

- طبعا صورتى . .

قال وكيل النيابة : مطبوع خلفها بالانجليزية فرناندو لاماس نجم مترو جولد وين ماير . . فهل تصر على اقوالك؟

وحكيت الحكاية لوكيل النيابة :

واصبح وكيل النيابة الذى حقق معى من أعز الاصدقاء وهو المستشار ناصر مرسى السفير السابق بالخارجية!

*****

التطور العظيم !

كنت من أكبر مشجعى نادى الزمالك . ثم حدث ما جعلنى - فى ذلك الزمان البعيد - اكف عن هذا «التزملك» إذ تعرض النادى لسلسلة من الهزائم المشينة على يد اندية صغيرة مثل نادى فابريكة المكرونة ونادى شركة النداغة : الامر الذى كاد يصيبنى بكافة امراض الدم والاعصاب . وقدحدث ايامها ان أمسك المارة بشاب بجوار نادى الزمالك وظلوا يضربونه وهو يستغيث ثم توقفوا عن ضربه واطلقوا سراحه عندما اقسم لهم انه نشال وليس لاعبا فى الزمالك .

ثم جاءنى الاصدقاء الزمالكاوية لأعود الى حظيرة الزمالك مشجعا فبرقت فى رأسى فكرة جديرة بالتنفيذ لماذا لا أساوم كما يفعل بعض اللاعبين بناديهم؟ لماذا لا يدفع لى الزمالك مبلغا محترما حتى لا انتقل الى ناد آخر اشجعه . لقد حان الحين ليحصل كل مشجع على حقوقه . فالمشجع يعد من أهم اطراف اللعبة وابخسهم حظا ورزقا . ثم انه معرض - اثناء المباريات - للاصابة بكافة الامراض ابتداء من الضغط والسكر الى الانهيار العصبى والسكتة القلبية ولابد ان يكفل له اتحاد الكرة حقوقه فيحصل على استغناء من ناديه مع دفع خلو رجل للنادى الجديد الذى عليه ان يتكفل بسداد جميع ديون المشجع وتوفير شقة متواضعة له على النيل وسيارة صغيرة مرسيدس ومعاملته معاملة اللاعب فى المكافآت

والاجور. فمن المدهش حقا ان المشجع يتحمل التزامات مالية باهظة دون مقابل. فهو يشترى المواد الضرورية لحضور المباريات الحساسة مثل الطوب والحجارة والزلط. كما انه يضحى بالكثير من ماله الخاص فلا يفكر فى استعادة رهن الزجاجات الفارغة المتجهة الى دماغ حكم المباراة.

مثل هذا المشروع ـ كفالة حقوق المشجع - كان يمكن ان ينصف تلك الفئة البائسة التى تظل تعوى فى الملاعب وفاء وحبا فى النادى ولاعبيه. غير اننى لم اجد اى حماسة من الزملاء المشجعين فاستقر رأيى على عدم تشجيع اى ناد والاكتفاء بالتعاطف مع المنتخب القومى. الى ان وصل المنتخب الى نهائيات كأس العالم فعدت امارس التشجيع غير ان الفريق القومى بدأ يهز اعصابى فهو يوم فى العالى ويوم فى النازل ولا مستوى ولا مقياس.. وكثيرا ما ساءت نفسى وانا ارقب لعب الفريق القومى. هل تطورت الكرة عندنا عن زمان!

واكتشفت ان التطور الوحيد الذى حدث هو ان اسماء اللاعبين اصبحت قابلة للنشر إذ كانت اسماؤهم زمان من عينة السكران والعضاض ولوفا وخيشة وابو جلمبو.

وفى الرعيل الأول لكرة القدم كان اطلاق اسم على اللاعب يتم لسبب وجيه. فمختار التتش مثلا اطلق عليه المدرب الانجليزى هذا الاسم لأنه كان ضئيل الجسم يقفز برشاقة مثل كرة مطاطية. واطلقوا على محمد حسن حلمى اسم زامورا عندما سدد الكرة فى شبكة اشهر حارس مرمى وقتئذ وهو الاسبانى زامورا. وتقليدا لحلمى والتتش. بدأ كل لاعب يبحث عن اسم غريب لأن الاسماء الجميلة. لا تصلح

للملاعب . وفى الخمسينات مثلا عرضوا على أحد اللاعبين هذه الاسماء الاهتم - فلاية - الجربوع - الابوظيا - جعيصر - الرفاس - طريشة - غير ان اللاعب رأى ان كل هذه الاسماء لطيفة وشيك وانتهى به الامر الى ان يسمى نفسه كاللو .

*****

في مسألة الغلط !

إذا رأيت غلطة مطبعية فى بعض ما اكتب اتذكر ما كنت اعانيه عندما كنت مسئولا عن الاخطاء المطبعية. فقد اعتاد مصطفى امين ان يقلب صفحات النسخ الأولى الصادرة من المجلة وعلى الفور تقع عينه على الغلطة المطبعية وسط مئات السطور. كيف؟ لا اعرف غير ان المرة التى لا انساها هى عندما اشار مصطفى أمين الى سطور وهو يتساءل: ما هذا؟ وقرأت سطرا يقول: ورئيس الوزراء يفضل رياضة المشى فى ساعة الاصيل ويكره تقشير البطاطس.

واسرعت الى المطبعة لأصحح هذا الخطأ الذى سوف يتسبب بالتأكيد فى ان أقشر انا البطاطس بعد اعطائى اجازة مفتوحة بلا مرتب. وكانت الاجازة المفتوحة هى الموضة فى تلك الأيام.

وفى العدد التالى من مجلةالجيل امسكت بماكيت المجلة وفتشت سطورها بعناية حتى لا يقشر وزير بطاطس او يخرط ملوخية.. وزيادة فى الاحتياط رأيت ان اعرض الماكيت على مصطفى أمين الذى طلب صفحات أخبار الاسبوع السياسية ليسألنى بعد لحظة: ما هذا؟ واشار الى سطور تقول: وقال داج همر شولد: إن المحادثات كانت ودية بين الجانبين واعلن انه يكره تقشير البطاطس. ما الحكاية؟ ومن اين تأتى هذه البطاطس؟؟

اسرعت اتصل بالمصحح لأسأله: يا سيدى كيف تترك هذا السطر الذى يعلن فيه همر شولد السكرتير العام للامم المتحدة انه يكره تقشير البطاطس.. فوعدنى بتصحيحه فورا، وطلبت بروفة جديدة للمراجعة لاجد ان المصحح قد وفى بوعده وصحح العبارة كالاتى: واعلن داج همر شولد انه لا يكره تقشير البطاطس.

والاخطاء المطبعية درجات، فهناك الغلطة الفادحة وهناك الخطأ البسيط الذى يمكنك من ادراك المعنى مع سياق الكلام. وعندما تصبح هذه الاغلاط فى العناوين الرئيسية فهى لا تغتفر. لأن العنوان الرئيسى او المانشيت لا يمكن ان تخطئه العين فى بروفات الصحيفة ومع ذلك فقد ظهر فى احدى صحف ولاية بنسلفانيا الاميركية هذا المانشيت العريض.. «مساجين يهربون من السجن بعد اعدامهم».

وفى صحيفة لانسينج ستيت جورنال ظهر هذا المانشيت العريض، . اتخاذ الاجراءات فى الولاية لاعدام جميع المواطنين فوق ١٧ سنة. وفى جريدة تكساس: ضباط نبراسكا أحسن لصوص بنوك. وفى جريدة جالفستون بتنيسى: كلب فى الفراش يطلب الطلاق، وفى صحيفة نورث فورت ورث نيوز سقطت كلمة «ثور» من العنوان فاصبح كالتالى مستر فلان يمتلك اكبر قرون فى تكساس.

أما عن الأخطاء بين السطور، فقد جاء فى جريدة بوسطن بوست: وبعد حفل الزفاف ودعت العروس عريسها لتقضى شهر العسل، وفى صحيفة تيبتونفيل بتنيسى: يجتمع نادى الحدائق فى الثانية والنصف يوم الاربعاء القادم للمحافظة على السراويل الداخلية!

وفى صحيفة فوكس فيل بتنيسى : وفى حفل الزفاف عزفت اوركسترا الكنيسة للعروسين نشيد الآن بدأت الحرب . ومن الأخطاء المطبعية فى الاعلانات : سوف تحب هذا النوع من البوربون عندما تشربه . ثم اتصل برقم ٢١٧٠٠ حانوتى هينس .

وهذا الاعلان اطلب محلات ويزرر لتحصل على فطيرة فاكهة صناعة منزلية من خشب الماهوجين المتين .

وفى صحافتنا نشر هذا الخبر عن ضيف يزور مصر . ثم انتقل سيادته الى مثواه الاخير فى هيلتون .

وعندما كان المرحوم انطون الجميل رئيسا لتحرير الاهرام كتب هذه التأشيرة على نعى فى الوفيات : ينشر ان كان له مكان ، فظهر النعى فى الاهرام كالآتى اسكنه الله فسيح جناته ان كان له مكان !

*****

النشال !

** قبل ان يمتد العمران الى شارع الصحافة. كانت عشش الترجمان تحيط بدار اخبار اليوم. وكانت عشش الترجمان هى مساكن القرداتية والنشالين الذين يغطى نشاطهم كل القاهرة!

وعرفنا من جيراننا عظماء النشالين الذين يسرقون الكحل من العين مثل العقرب والشفاط وريشة وخلقة ربنا- اسمه كده- والبسه وسمبو ومنخر والنملة وتهتوهة!

وكان جيراننا فى منتهى الشهامة والحق يقال، إذا نشل صديق او قريب لواحد منا فما عليه الا ان يتوجه الى عميد النشالين ليدلى بالتفاصيل عن زمان النشل ومكانه وبعدها يستعيد المحفظة كاملة الفلوس ومعها اسف عميد النشل بعشش الترجمان!

ومضت السنون وازيلت عشش الترجمان من وسط القاهرة ونقل شاغلوها الى مساكن جديدة ولم يعودوا جيرانا لنا.

ودق موظف الاستقبال الداخلى فى مكتبى ليقول لى ان نشالا يطلب مقابلتى وخطر ببالى ان الزائر مادام لم يذكر اسمه وقدم نفسه بصفته نشالا فلابد انه واحد من جيراننا الاوائل: ريشة او نملة او العقرب جاء- فيه الخير- لزيارتى: وتمنيت فى سرى الا يكون القادم هو تهتوهة اذ انه مصاب بلعثمة ينطق معها كلمة ازززيك فى ربع ساعة!

وقلت لموظف الاستقبال دون ان اسأله عن اسم النشال انى فى انتظاره غير ان الزائر كان وجها جديدا لا أعرفه : قدم نفسه قائلا :

- محسوبك عبدالفضيل نشال محافظ وعندى ٣٩ سابقة .

- وطلباتك؟

- جئت اتوب على ايديك

لابد انه قريب واحد من جيراننا القدامى وصف له الطريق الى مكتبى . وقبل ان اسأله راح يستحلفنى وهو يحتضننى ويقبل اكتافى الا ارده خائبا . . ثم ما لبث ان اعتدل ليقول انه نشال شاطر لا يشق له غبار وانه يستطيع ان يستمر فى المهنة التى يأكل منها : بقلاوة : لكنه قرر ان يتوب على يدي بعد ان اكفل له عملا شريفا . ثم قدم لى محفظتى التى نشلها من جيبى الداخلى ليثبت لى انه نشال ممتاز ولا يريد الحرام .

ولم يستغرق هذا كله ثوانى معدودات .

اخذت منه محفظتى ووضعتها فى جيبى ووجهى لا ينكر الدهشة من خفة يده ثم سألته ماذا يتقّن من انواع الحرف فقال : النشل . انه لم يتعلم حرفة فى حياته ـ منذ الصغر الا النشل .

واقتنع احساسى بعزم عبدالفضيل على التوبة دون مبرر منطقى فاتخذت كل الاجراءات الروتينية اللازمة لعودته الى الحياة الشريفة كرفع دعوى رد الاعتبار وما إلى ذلك بوصفه من أصحاب السوابق العتاة . وما إن انتهت هذه الإجراءات حتى اتصلت تليفونيا بالمهندس عثمان احمد

عثمان ورجوته ان يعين عبدالفضيل ساعيا او فراشا بالمقاولون العرب. ولم اقل له انه صاحب ٣٩ سابقة نشل بل قلت له ان ظروف حياته تقضى سرعة إلحاقه بعمل. فاستجاب المهندس عثمان احمد عثمان مشكورا وقال: ارسله فورا.

بعد اسبوع سألت المهندس عثمان احمد عثمان: ما أخبار عبدالفضيل: فقال لى: تمام. بيبوس ايديك!

وكنت التقي بالمهندس عثمان احمد عثمان فى مختلف المجتمعات فاسأله عن عبدالفضيل ليقول: تمام.. بيبوس ايديك!

وفى كل مرة أدعو فى سرى الا يسود عبدالفضيل وجهى مع الرجل الذى تفل له عملا شريفا.

وجاءنى عبدالفضيل يقول ان ابنته قد اصيبت بشلل الاطفال فارسلته الى الدكتور احمد خالد استاذ العلاج الطبيعى بكلية طب القاهرة الذى رفض مشكورا ان يتقاضى اجرا إعجابا بتوبة عبدالفضيل حتى تم شفاء البنت.. وبلغت الامانة بعبد الفضيل أنه أعاد مائتى جنيه إلى ادارة المقاولون العرب كانت صرفتها له لعلاج ابنته!

ثم جاءنى عبدالفضيل ذات مرة فى زيارة روتينية من زياراته لأسأله. مبسوط ياعبدالفضيل فى شغلك! وقال لى خبرا غريبا جعلنى اصرخ باعلى صوتى. يا نهار اسود!

واسرعت اتصل بالمهندس عثمان احمد عثمان.

ماذا جرى؟ .

انى اترك المهندس عثمـان احـمـد عثمـان يروى الحكاية فى كـتـابة صفحات من تجربتى فيقول عن عبدالفضيل فى صفحة ٥٥٥ .

- واصدرت قرار تعيينه . وعندما التقيت بالرجل حكى لى عن كل جوانب حياته بما لها وما عليها فاحسنت معاملته عندما عرفت ظروفه وتاب الى الله وادى فريضة الحج .

ثم يقول المهندس عثمان احمد عثمان وكان ان اتصل بى أحمد رجب بعد فترة لكى ينبهنى الى ما له من سوابق . وفوجىء باننى عرفت كل تفاصيل حياته .

ولكن المفاجأة الكبرى كانت لأحمد رجب عندما عرف ان هذا النشال أصبح أحد الامناء على خزائن المقاولون يمسك بيده عشرات الألوف من الجنيهات!

*****

جليل البندارى

* كـان جليل البندارى من أبرز الظرفـاء فى ليـالى القاهرة . وكان أكبر واشهر صحفى فى الوسط الفنى ولطول لسـانه قيل انه كـان لا يغسل يديه قـبل الأكل . بل يغـسل لسـانه . بينمـا اطلقت عليـه تحيـة كاريـوكا . جليل الأدب!

وكـانت خفة الدم التى تمتزج دائما بطول لسانه هى التى تغفر له دائما كل شىء . وقد رأيت مرة ـ مثلا فريد شوقى ثائراً هائجا فى بيت جلال معوض، يتوعد جليل بالقتل لأن لسانه طال عليه فى احدى المقالات، وقد تصورت أن وحش الشاشة سوف يفتك بجليل فتكا عندما يراه . ورحت اهدىء من ثورته وعـصـبيتـه . وبعـد قليل دخل جليل البندارى وانفـجـر فيه فريد شوقى ثـائرا واذا بلسـان جـليل كالمدفـع الرشـاش . واذا بوحش الشاشة الثائر يكاد يقع على الارض من الضحك!

وبقـدر مـا كـان لسـان جليل حـادا ورهيبـا . كـان بالغ الطيـبة الى حد السذاجة . الأمر الذى كان يغرينا دائما بتدبير المقالب له .

ذات مرة سأل جليل زميلنا توفيق بحرى عن الحبر الذى يستعمله . فقال بحرى انه حبر لا يباع الا فى الصيدليات . فأرسل جليل فى طلب الحبر من الصيدلية واتبع تعليمات توفيق بحرى لملء القلم بالحبر فنقع مسحوق الحبر فى الماء وظل طويلا ينتـظر تحول الماء الى حـبر كـمـا قـال

له بحرى لكن الماء ظل على بياضه دون ان يعرف جليل أن المسحوق المنقوع فى الماء هو الكويكراوتس غذاء للأطفال . وقال له بحرى ان الماء لن يصبح حبرا الا داخل القلم . فملأ جليل قلمه الشيفرز الثمين بماء الكويكراوتس وباظ القلم!

وسألنى مرة جليل عن الحبر الاسود الذى استعمله وصدق جليل عندما قلت له انت تعلم اننى عائد لتوى من بلغاريا وقد ملأت قلمى من البحر الاسود .

وفى اخريات ايامه كان جليل البندارى يهوى جلسات تحضير الارواح . وكان يعهد بذلك الى رجل اسمه ابو الوفا . وكان ابو الوفا يقوم بتحضير الروح المطلوبة فتأتى روح أخرى تقوم بتكسير الاكواب والاطباق ثم يتضح انها روح هتلر . فقد كان ابو الوفا يتواطأ معنا لعمل المقالب فى جليل .

ومرة أعلن ابو الوفا ان الروح حضرت وانها روح مستر تشرشل وطلبت روح تشرشل حضور انيس عبيد ـ الذى يقوم بكتابة الترجمة على الافلام ـ ليقوم بترجمة كلام تشرشل ! فلما اكتشف جليل تواطؤ ابو الوفا معنا لجأ لمحضر ارواح اسمه الحاج طلبة . ليقوم بتحضير روح الست شوق البولاقية التى هام بها نابليون بونابرت غراما خلال وجوده فى القاهرة ايام الحملة الفرنسية . وكان جليل بصدد كتابة اوبريت غنائى يحكى غرام نابليون بفاتنة بولاق ورأى ان تحضير روحها سوف يمكنه من كتابة الاوبريت بتفاصيل تاريخية صحيحة .

ولأمر ما تغيب الوسيط فاختار الحاج طلبة وسيطا اخر وراح يجرى طقوسه في الغرفة المعتمة . وما لبث ان سرت همهمات غامضة قال بعدها الحاج طلبة السلام عليكم وردت روح شوق البولاقية السلام وقدمت نفسها قائلة . انا شوق بنت عديلة وكانوا يدللونى باسم شواشي . بينما كان نابليون ينادينى شير «شو» .

وقالت شوق البولاقية انها تعرفت بنابليون فى بيت مندور الكحكاوى وانه اعجب بها اعجابا شديدا . وروت شواشي او شوق تفاصيل كثيرة عن غرام نابليون بها وكيف اغراها بالسفر معه الى فرنسا وكيف بكى على كتفها عندما حطم نلسون الاسطول الفرنسى فى ابو قير وكان نابليون يقول فى بكائه : نلسون ابن الحرام كسر لى الاسطول يا شو .

وقد صدمت شوق صدمة فظيعة عندما اكتشفت أن نابليون كان يريد أن يستولى على مصاغها خصوصا خلخالها الذهب .

وكان جليل يكتب كل هذه التفاصيل . . وبقى أن أقول إننى كنت الوسيط الذى قال كل هذا الكلام الفارغ .

ينشر أو لا ينشر ؟

هل من حق الصحافة ان تنشر الاخبار الشخصية عن نجوم المجتمع؟؟

اذا اختلف زوج مع زوجته خلافا حادا ثم تصالحا بعيدا عن الشرطة والنيابة لما شعر بهما احد ، اذ ليس من صفات الصحافة الفاضلة انتهاك حرمات البيوت ، اما اذا أشعل هذا الزوج النار فى باروكة زوجته وهى على راسها وضربت هى بالصوت الحيانى فاسرع ينزع الباروكة من راسها ليلقى بها فى منور العمارة واندلعت النار فى المنور. فالامر قد وصل بذلك الى النيابة والمحكمة واصبح الزوج والزوجة- سواء كانا شخصين عاديين او نجمين معروفين -خبرا فى صفحة الحوادث يهم كل سيدة عندها باروكة وكل رجل يريد ان يشعل النار فى باروكة زوجته او يتمنى ذلك .

واذا احتفلت الفنانة فتكات رمش العين باقترانها بالزوج الرابع عشر ثم تقدمت ابنتها الصغيرة تطلب الى العريس الجديد ان يوقع فى دفتر الزيارات الذى تحتفظ به لمثل هذه المناسبات ، فان نشر الخبر على هذه الصورة قد يحمل اساءة الى العروس ، كما يمكن تكذيب الخبر بسهولة اذا كانت الصحيفة تكذب وتزعم انه الزوج الرابع عشر مع انه الزوج الثانى عشر.

واحيانا يكثر الفنان فلان من الظهور مع الفنانة علانة ، ويقول فلان ان ليس بينه وبين علانة اى شىء غير الزمالة والود والاحترام . وتقول علانة

ان ليس بينها وبين فلان غير الزمالة والود والاحترام ثم يتزوجان بعد قصة الحب التى يعرفها الجميع وينفردان هما بنفيها، ثم يصرح كل منهما بان ليس بينهما غير الزمالة والود والاحترام بعد الطلاق.

والواقع أن الفنانين كثيرا ما يرحبون بالأخبار الشخصية من باب الدعاية لفيلم جديد أو من باب الدعاية عموما. وهوليود هى التى ابتكرت فبركة الأخبار الشخصية، وأجهزة الدعاية فيها هى التى فبركت خبرا تناقلته وكالات الأنباء عن روبرت متيشوم الذى تم ضبطه فى غرزة حشيش. بل أن لكل نجم ونجمة هناك مدير أعمال يتولى فبركة الأخبار الشخصية وتسريبها الى الصحفى، وقد سئلت احدى ممثلات الصف الثانى فى هوليود عن سبب طرد مدير اعمالها فقالت لأنه ضعيف الذاكرة. إذ طلقنى من أزواجى سبع مرات بينما هو زوجنى خمس مرات فقط.

ومنذ سنوات زارنى ممثل معروف وقال لى أنه قرر الانفصال عن صديقته الفنانة المعروفة وهو يريد سببا وجيها غير السبب الحقيقى للانفصال حتى يتخذ منه مادة للدعاية لفيلمه الجديد الذى تشاركه هى فيه البطولة.

وتهلل وجه الممثل المعروف وهو يستمع الى اقتراحى، إذ أشرت اليه بأن يقول ان سبب عدم اتمام الزواج هو بطاقة الدعوة لعقد قرانهما، إذ أصرت هى- أسوة بإعلانات الأفلام- أن يكتب اسمها أولا بينما صمم هو على كتابة اسمه قبل اسمها.

*****

.. على الرصيف !

* هل صحيح أن الفنان لا يستطيع أن يبدع إلا فى برج عاجى؟؟

توفيق الحكيم- الذى أشغل غرفةمكتبه بأخبار اليوم- كان يكتب انتاجه العظيم فى تلك الغرفة التى تطل على خمس ورش حدادة. وإذا دارت المطبعة- أسفل الغرفة مباشرة- أصيب المكتب وكرسى المكتب والجالس فوق كرسى المكتب برعشة متواصلة، وكان على أمين يكتب وسط أجراس التليفونات والداخلين والخارجين من المحررين، فإذا اندمج فى الكتابة ودق جرس التليفون بجواره استمر فى الكتابة قائلا دون أن يرفع السماعة: ألو.. أنا على أمين!

ويستطيع مصطفى أمين أن يكتب وسط ضجيج مائة وابور زلط ومهما كان مكتبه يموج بالزوار والمتحدثين وموسى صبرى يغلق مكتبه بالمفتاح حتى لا يزعجه أحد مع أن غرفة مكتبه بالدور الأول تطل على ورش الحدادة الخمس، وبينما أصوات المطارق الحديدية تملأ غرفة مكتبه نجده يستدعى الساعى ليحكم اغلاق صنبور الماء لأن النقط تزعجه!!

ويستطيع أنيس منصور أن يكتب فى أى مكان دون أن يضع النقط فوق وتحت حروف المقال وبعد أن ينتهى من الكتابة يأخذ المقال الى مكان

هادىء يرش فيـه النقط على الحـروف (ملحـوظة : هذه ليسـت نكتـة)
وعندما التحق الكاتب الساخر أحمد بهجت بمجلة «الجيل» كان يدوخنى
بمطاردته لارتباطى بمواعيد الطبع . إذ كان من عادته- عندالكتابة-
ان يخلع حذاءه وجواربه ويضع امامه أكواب الشاى وعلب السجاير
ويقضى ساعات وساعات حتى اضطررت الى الجلوس بجواره ذات ليلة
الى الثانية صباحا ولما لم ينته غافلته وحملت حذاءه وجوربه وانصرفت
ليعود الى بيته حافى القدمين!

والموسيقار الكبير الامبراطور عبدالوهاب يمكنه ان يصنع الحانه
الساحرة وسط الناس جميعا دون أن يشعر أحد انه مشغول بالصنعة .
وبينما كان منهمكا ذات مرة فى لحن هان الود وهو يجلس فى لوبى
هيلتون تقدمت منه سيدة تصافحه وتعرفه بنفسها قائلة : أنا خديجة رمزى
أخت المرحومة زينات رمزى، فقال عبدالوهاب بترحاب شديد : أهلا
يا خديجة هانم . . ازيك وازى المرحومة زينات .

وذات صيف بعيد كنت أجلس مع عبدالوهاب فى شرفة منزله
بالاسكندرية عندما اقترح أن نذهب الى قصر المنتزه لأنه يريد أن يتجول
فى غابته الهادئة وقت الغروب . وفى الغابة الجميلة التى لم يعد لها
وجود الآن سرت الى جوار الموسيقار الكبير وقد انشغل تماما عن الحديث
بتلحين أغنية «بفكر فى اللى ناسينى» ، وشيئا فشيئا علا صوته باللحن :
وادور ليه على جرحى . . وصاحب الجرح مش فاكر واقول يا عينى ليه
تبكى مادام الليل مالوش آخر، ثم تسلطن الإمبراطور تماما وانطلق يغنى
وكأنه فى حفل عام : واقول يا عينى ليه ليه ليه تبكى ، وراح يبدع

فى ترديدها بأشكال مختلفة، ثم فجأة قال لى : تعال نجيب العود من العربية، وعلى الرصيف جلست الى جواره وهو يحتضن العود ويردد : عذاب الجرح يحرمنى من الدنيا اللى أنا فيها وطول الليل يرجعنى لدنيا كنت ناسيها .

لم أستمتع بالفنان العظيم مثلما استمتعت به فى تلك الأمسية ولم يقطع متعتى إلا سائح أوروبى تقدم منا ونحن على الرصيف ودس فى يدى «شلن» .

افتكرنا شحاتين ! ! .

*****

أطباء

★ ماهى العلاقة بين الطب والأدب؟

أن أبرز أدباء العالم من الأطباء: انطون تشيكوف أعظم من كتب القصة القصيرة، وجورج ديهاميل وسومرست موم وسير أرثر كونان دويل - مبتكر شخصية شرلوك هولمز - ويوهان شيلر وبريخت والشعراء كيتس وشيلر وروبرت بريدجز!

وفى أدبنا العربى نجد طابورا طويلا من الأطباء: ابراهيم ناجى صاحب الشعر العذب الرقيق، ويوسف ادريس عملاق القصة القصيرة، والمفكر مصطفى محمود والدكتور سعيد عبده والدكتور حسين فوزى ومحمد كامل حسين صاحب قرية ظالمة التى نال عنها جائزة الدولة فى الأدب!

وباستثناء محمد كامل حسين الذى كان رائد جراحة العظام فى مصر ونال جائزة الدولة أيضا فى العلوم كطبيب، نجد أطباءنا الأدباء لم يضيفوا شيئا الى مهنة الطب، وإن كان مصطفى محمود - تخصص أمراض جلدية - اعتقد مرة أثناء عملية تشريحية أنه اكتشف رئة ثالثة فى الانسان ثم اتضح أنه نسى نظارته فى البيت.

وكان كامل الشناوى يقول أن يوسف ادريس ومصطفى محمود من خريجى «كلية الطب الجميلة» وهى غير الكلية التى تخرج فيها على باشا

ابراهيم وأنور المفتى . ورغم نصيحة كامل الشناوى لى بألا أستشير مصطفى محمود أى استشارة طبية إلا اننى أعترف أن مصطفى صاحب فضل كبير لا يمكن أن أنساه . فمن ربع قرن كنا متجاورين فى المسكن ، وحدث أن مرضت ذات ليلة ، وبحثوا عن جارى د. مصطفى محمود فى منتصف الليل ، وأصبحت بعد تلك الليلة أدين له بحياتى . إذ اتضح أنه كان مسافرا وبذلك نجوت بأعجوبة من الموت على يديه !

لايزال السؤال قائما : ماهى العلاقة بين الطب والأدب ؟

ان أحد مشاهير الأدباء الأطباء - سومرست موم أو جورج ديهاميل لا أتذكر - فسر ذلك بأن الطبيب يرى الانسان - فى حالة المرض - عاريا عن كل غرور وكبرياء ممدودا فى استسلام وآلام . الأمر الذى يدفع الطبيب الى التفكير فى لغز الحياة والمصير !

ولو صدق هذا التحليل لكان بين الأدباء والمفكرين كثير من الحانوتية !

والأمر كله فى اعتقادى يعود الى موهبة أدبية فذة لا يرقى الى مستواها الاكتساب - اكتساب الدراسة الطبية - إلا أن الذى لاشك فيه أن الاشتغال بالفكر والأدب يجعل الطبيب انسانا مرهف المشاعر . فقد كان يوسف إدريس مثلا وهو مفتش صحة السيدة زينب شديد التعاطف مع الناس ، يفحص من يلتقى بهم دون أن يطلبوا منه ذلك ، فكان يوسف يمرض السليم أما المريض فالفاتحة على روحه .

واذكر أن يوسف ادريس دخل علينا ذات ليلة كافتيريا هيلتون يسألنا ماذا يسمى ابنه البكر الذى ولد فى تلك الليلة فاقترح كامل الشناوى على

يوسف أن يسمى ابنه «الدكتور» حتى يكون اسم الولد الثلاثى الدكتور يوسف ادريس فيتحقق بذلك أمل يوسف أن يكون طبيبا!

*****

فى الصالون !

أكره الحلاقة جدا!

الأرجح أن السبب حادثة مرت عليها عشرات السنين يوم ذهبت أحلق شعرى وأنا فى المدرسة الابتدائية فدخل رجل صالون الحلاق وفى يده ابنه فى مثل عمرى، فقص الرجل شعره وحلق ذقنه، وجاء دور الولد الصغير فأجلسه الحلاق على منضدة ليقص له شعره بينما ذهب الأب الى الحانوت المجاور بعد أن نفدت سجائره، وجن جنون الأسطى رشوان عندما اكتشف أن الرجل ليس أبو الولد الصغير، وإنما اصطحبه من الطريق ليتركه رهينة عند الحلاق باعتباره ابنه ويفر دون أن يدفع الأجرة!

ولم يكتف الحلاق بضرب الولد المسكين الذى لا ذنب له، بل أمسك بى أنا أيضا وهو يصيح: وأنت كمان أبوك فين يا ولاد النصابين؟ ولم أدر فى مقاومتى أننى كسرت قصرية زرع فتحول الحلاق الى القصرية المكسورة وتحولت أنا الى الشارع أسابق الريح.

من يومها أصبت بما يمكن أن يسمى بـ«رهاب الحلاقة» أو الخوف من الحلاقة أو «الحلاقة فوبيا» مثل الكوستروفوبيا أى جنون الخوف من الأماكن المغلقة والساينوفوبيا- الخوف من الكلاب. وقد دفعتنى تلك «الحلاقة فوبيا» الى عدم الانتظام فى الحلاقة أو تحديد حلاق معين.

فكنت أترك شعرى الى أن يصبح منظرى غير مقبول فارغم نفسى على التوجه الى أول حلاق يصادفنى، الى إن انتقلت من الاسكندرية الى القاهرة واستقر بى الأمر عند الأسطى محمد حلاق أخبار اليوم الذى كان له صالون فى قلب الدار يتردد عليه مصطفى أمين وعلى أمين وتوفيق الحكيم وأحمد الصاوى محمد ومحمد عبدالوهاب وغيرهم من عمالقة الصحافة والأدب والفن، وعندما قامت ثورة يوليو أصبح الأسطى محمد حلاق جمال عبدالناصر وضباط الثورة.

وذات مرة كنت أدردش مع الأسطى محمد وقلت له أننى أنوى القيام بخبطة صحفية فأجرى حديثا مع جمال سالم الذى لم يفلح صحفى واحد فى عمل حوار معه، وقال لى الأسطى محمد هذا صعب جدا. لأن جمال سالم يكره الادلاء بأى حديث صحفى كما أنه شديد العصبية وأخشى أن يسىء اليك وقلت للأسطى محمد أريد أن أجرى حديثا صحفيا مع جمال سالم وما عليك إلا أن تسأله أن يحدد لى موعدا.

وكبرت المسألة فى رأس جمال سالم. كيف يجرؤ صحفى على طلب حديث معه؟ وتطورت المشكلة عندما رفضت الذهاب إليه، فأرسل سيارة بوليس حربى لضبطى وإحضارى فهربت من أخبار اليوم ثم من القاهرة كلها الى الاسكندريةولم يخلصنى من هذا المأزق إلا على أمين الذى كان صديقا حميما لجمال سالم. ومات الأسطى محمد صاحب صالون أخبار اليوم وعادت حيرتى من جديد مع شعرى ثم استرحت كثيرا الى الفنان محمود لبيب، وهو رفيع الذوق ويتعامل معه كل نجوم القاهرة فى الفن والأدب، ولأنه فنان يساير التطور أولا بأول فهو يقص

دائماوفق الموضة الجديدة، وعندما جاءت موضة الشعر القصير جدا خرجت رأسى من تحت يديه وهى شبه «قرعة» ولما ضربت الجرس كادت زوجتى تغلق الباب فى وجهى لأنها لم تتعرف على لأول وهلة ثم ما لبثت أن صاحت فى دهشة: همه جندوك فى الجيش أمتى؟

وجربت الأسطى «فلان» لكنه كان كثير الكلام إذ تبين أنه على خلاف ايدولوجى مع جميع ساسة العالم وهو حريص على شرح هذا الخلاف، وقلت له فى النهاية اننى اعتدت أن أفكر اثناء الحلاقة

وأكون شاكرا لو تركتنى لأفكارى دون أن تقاطعنى، وقد بر الأسطى «فلان» بوعده فلم يقطع أفكارى بل قطع ذقنى وجرح رقبتى وطلبت منه كوب ماء حتى اتبين موضع الثقوب التى سوف يخر منها الماء أثناء الشرب.

ولاتزال زوجتى تطاردنى بالعبارة التى اعتدت سماعها على مر السنين: مش ح تروح تحلق؟

أخيرا اشتريت المشط الموسى وسأحاول أن أحلق به لنفسى، وفى كل مرة يبدو شعرى غير مهذب الأطراف وكأننى أحلق بالتسعيرة فى صالون وزارة التموين.

*****

قراءة جديدة ..
فى أمثال قديمة

ظل السجع موضة الكتابة عصورا طويلة.

حتى عنوان الكتاب كان لابد أن يكون مسجوعا مثل: «دليل الحيران فى ركوب مترو حلوان» و«العقد النفيس فى انفجار ماسورة رمسيس» و«المعذبون والحيارى بالتليفون والحرارة». ولم يكن السجع فى تلك العصور وقفا على الكتابة الأدبية، بل امتد أيضا الى لافتات المحال: «راجى عفو الخلاق الاسطى بهلول الحلاق» و«كل كشرى بالهنا والشفا واقرأ الفاتحة لسيدى أبوالوفا»، كذلك حملت أقوال المنجمين والمشعوذين الطابع السجعى: حدرجة بدرجة من كل عين زرجة، ورقيتك واسترقيتك ومن عين الحسود خبيتك، كما سيطر السجع على الفزورة والحذورة: أد الكف ويقتل ميه وألف، وأد الفيل ويتصر فى منديل..

وإذا كانت موضة السجع قد انقرضت ولم يعد باقيا منها إلا تلك الأقوال المأثورة المنقوشة على التاكسيات: يا ناس يا شر بطلوا أر، إلا أن النزعة السجعية لا تزال تعيش بداخلنا وتستميلنا الى قول العبارة المسجوعة، فالعبارة المسجوعة تؤثرها الذاكرة فى الحفظ على غيرها، وهى أيضا الأكثر سهولة فى الترديد خاصة فى المهرجانات الموسمية حيث تتردد: يا زمالك يا مدرسة، وبيب بيب أهلى، والله حى التانى جى..

لكن هذا السجع جنى - للأسف- الجناية الكبرى على أمثالنا العامية التى نشأت فى العصر السجعى فإن جانبا كبيرا من هذه الأمثال لا تستهدف أية غاية فى قولها إلا وجه السجع نفسه.

مثلا.. خذ هذا المثل العامى الذى يقول:

«كل حمارة سابت ودوها بيت أبو نابت»..

اشمعنى بيت أبونابت؟

ان أبونابت هذا شخصية وهمية طبعا، فلا هو كان تاجر حمير مسروقة يتجهون اليه بكل حمارة سابت، ولا هو اشتهر بعطفه على الحمير الضالة وتقديم البرسيم اليها مجانا، ولا كان أبونابت صاحب ملجأ خيرى للحمير..

ثم لماذا «الحمارة» فقط دون الحمار هى التى يذهبون بها الى بيت أبونابت؟ هل كان أبونابت يتمتع بجاذبية خاصة لاناث الحمير؟ هل كانت كل حمارة تهرب من أصحابها تسعى مشتاقة الى رؤية أبونابت وعلى بيت أبونابت ودينى زاد وجدى والبعد كاوينى؟ المسألة كلها أنها يجب أن تكون حمارة حتى يمكن أن يقال الحمارة سابت ليستقيم التسجيع مع أبونابت، كما أن السر فى اختيار اسم أبونابت هو أن الحمارة سابت فاذا ما تركنا أبونابت وملجأه الخيرى للحمير، وجدنا هذا المثل العامى الشائع:

«فرح عديلة.. هد.. هد بلا نيلة»..

من تكون عديلة هذه؟

ولماذا يحرص هذا المثل العدوانى بقوة وإلحاح على هد الفرح فوق دماغها ليلة زفافها؟ ان ورود اسم عديلة هكذا مجردا من أى لقب، يشعرنا للوهلة الأولى أن عديلة هذه شخصية من شهيرات التاريخ، تماما كما يقال اسم كليوباترا مجردا ولا يقال كليوباترا بنت بطليموس الزمار لكن صفحات التاريخ ليست فيها أية ملكة اسمها عديلة الأولى أو عدولة الرابعة، ولم يذكر التاريخ مثلا أن هولاكو التتارى دخل مملكة عديلة غازيا ليلة زفافها وقال:

«فرح عديلة.. هد.. هد بلا نيلة»..

فمن تكون الآنسة عديلة إذن؟ ولماذا اختصها المثل بالتحريض على هد فرحها وتكسير الكلوبات على دماغها دون أن يسوق المبررات لهذا العدوان عليها فى أحلى ليلة فى عمرها؟ الحكاية- ببساطة- ان سوء حظ هذه البنت جعلها تحت اسم عديلة الذى هو على وزن نيلة وتأتى بعد الآنسة عديلة: الآنسة «طيطة» غير أن طيطة أسعد حظا بلا شك من عديلة.. إذ يقول المثل الشائع عن طيطة:

«نومه وتمطيطة أحسن من فرح طيطة»..

فالمثل هذا يكتفى بالدعوة إلى مقاطعة فرح طيطة مفضلا عليه النومة والتمطيطة..

مسكينة طيطة!

فالأرجح- كما يدل المثل- أن طيطة بنت رجل حط به الحال بعد العز والثروة. فالأصدقاء الأندال الذين عرفوا أنه فقد ثروته اعتبروا النومة

والتمطيطة أحسن من فرح بنت طيطة، أما الأصدقاء الذين حضروا فرح البنت، فهم ما زالوا أوفياء لأنهم- أكيد- لم يعرفوا بعد أنه فقد ثروته!

.. وهذا فرح ثالث العريس فيه اسمه «يحيى» وانت تستطيع وانت تستنتج الحالة المالية لوالد العريس من المثل الشائع:

«نموت ونحيا فى فرح يحيى»..

الكل هنا مشغول بفرح يحيى، الكل يروح ويجىء ويصحو وينام ويموت استعدادا لفرح يحيى، ان هناك احتمالا قويا بأن الذين ابتدعوا هذا المثل وذاعوه ونشروه هم بنو همبكة، وفى هذه الحالة لابد أن يكون والد عريسنا يحيى وزيرا أو نائب وزير أو رئيس هيئة أو وكيل وزارة أو مدير عام، هنا تتحول الادارة كلها الى خلية نحل من أجل يحيى وفرح يحيى، وهنا تزخر أعمدة الاجتماعيات فى الصحف بالتهانى الحارة قبل واثناء وبعد فرح يحيى، وهنا تقرأ مثل هذه السطور التى تتفجر اخلاصا وولاء فى مناسبة فرح يحيى:

عبدالله الالبنظى وكيل إدارة التنقيب عن البترول بالهيئة العامة لحفر شوارع القاهرة الكبرى يضرع الى الله أن يسرع بشفائه ويخرج من غرفة الانعاش حتى يتمكن من التشرف بحضور حفل زفاف فخر الشباب الأستاذ يحيى نجل السيد يحيى يحيى..

وفى فرح يحيى، وفى كل فرح فخيم مثل فرح يحيى، لا تهمل أمثالنا العامية ما يتردد فى هذه الأفراح من آراء وملاحظات يرددها المدعوون، وهى آراء وملاحظات نافعة حقا كان يمكن أن يفيد منها والدة ووالد

العريس لولا انهماكهما في الفرح ، الأمر الذى لا يتيح لهما سماع هذه الآراء التى منها مثلا هذا الرأى :

«الفرحة والمعمعة والعروسة ضفدعة» . .

وهذا رأى آخر :

«جوزوا مشكاح لريمة ما على الاتنين قيمة» . .

وهذا رأى ثالث فيما قالته أم العروسة عن جمال بنتها وحلاوتها وهى جالسة فى الكوشة :

«خنفسة شافت بنتها ع الحيط قالت دى لولية فى خيط» . .

وهذا رأى رابع فى بياض بشرة العروس :

«الفلفل بالوقية والجير بالقنطار» . .

وهذا رأى علمى فى العروس يهم المشتغلين بنظرية دارون :

«يا واخد القرد على ماله ، يروح المال ويفضل القرد على حاله» . .

وهذا رأى لاحدى المدعوات ، إذ تخاطب العروس التى لا تسمعها لبعد المسافة بينهما :

«بدال خطوطك والحمرة امسحى عماصك يا سمرة» . .

وهذا رأى مدعوة تعلق على الرأى السابق :

«ايش تعمل الماشطة فى الوش العكر» . .

ولعل من أغرب أمثالنا التى يتحكم فيها السجع وحده هذا المثل الذى يقول :

«نينى نينى لما ييجى الأهبل يشترينى» . .

وهو مثل يضرب فى السلعة الكاسدة الفاسدة التى لا تجد من يشتريها إلا الأهبل ، ولا تحاول أن تجهد تفكيرك فى معرفة معني «نيني نينى» فالأرجح أنها اللغة التى تتكلم بها السلع الكاسدة فى المخازن والمحلات ومن سوءحظ الانسان الأهبل- أو غير الأهبل- أنه جاهل باللغة السلعية ، وإلا كان يسهل عليه وهو يدخل محلا أن يسمع السلعة الكاسدة تقول لباقى السلع فى ابتهاج : نينى نينى الأهبل جاى يشترينى . .

خذ مثلا ذلك الموظف التموينى الفخيم الذى سافر مرة على رأس وفد إلى كاشكاوانيا لعقد صفقة لحوم معلبة لزوم المجمعات الاستهلاكية . لقد دخل سيادته الى مخازن المورد الأجنبى فى كاشكاوانيا لاختيار الصنف ، ولو كان سيادته ملما باللغة السلعية لسمع المعلبات التى وقع عليها اختياره تقول كلها فى نفس واحد : نينى نينى . . الأهبل جه يشترينى . .

فقد كانت المعلبات التى اختارها نصفها لحوم فاسدة والنصف الآخر معلبات خاصة بأكل القطط والكلاب ، ولقد وزعت هذه المعلبات على المجمعات الاستهلاكية فعلا ثم تم سحبها ، وادركت تلك المعلبات فيما بعد ، أن الموظف الفخيم الذى تعاقد عليها لا هو أهبل ولا بريالة ، وانما كان يجب أن تقول وسيادته يدخل المخزن ويختارها : نينى نينى . . أبو عمولة جه يشترينى !

فإذا تأملنا هذا المثل الآخر الذى يقول:

«تيتى تيتى زى ما رحتى جيتى» . .

لاحظنا على الفور أن المثل يحمل نفس اللغة التى تتخاطب بها السلع ، ذلك أن تيتى تيتى قريبة جدا من نينى نينى فى المثل السابق ، والمثلان- فيما يبدو مرتبطان ببعضهما البعض ، إذ ما أن تزول عن الأهبل أعراض الهبل ويتكشف له مدى الظلم الذى سوف يلحق به من ضآلة العمولة حتى يعدل عن عقد الصفقة ، فتعود السلعة الفاسدة الى مخزنها لتقابلها باقى السلع قائلة : تيتى تيتى زى ما رحتى جيتى . .

فإذا ما مضينا مع الأمثال المسجوعة صادفنا هذا المثل :

«نهق الحمار طلع النهار» . .

هنا يحار الانسان حقا فى العلاقة بين نهيق الحمار وطلوع النهار ، ولعلها علاقة فلكية ، يعنى إذا طلع النهار فلابد أن حمارا ما قد نهق فى نصف الكرة الأرضية الذى أشرقت عليه الشمس ، أو يجوز أن الحمار لا ينهق إلا مع طلوع النهار لسبب تكنولوجى وهو أنه يستمد قوته النهيقية من الطاقة الشمسية ، أو من المحتمل أن تكون رابطة الحمير على مستوى عال من السلوك الحضارى فحرمت على أعضائها النهيق فى الليل منعا لازعاج الناس الذين تكفيهم بلوى مكبرات الصوت البشرية . .

وقد يقصد المثل بطلوع النهار ظهور الحق . فهم يشبهون أحيانا ظهور الحق بانبلاج الفجر ، وقيل فى ذلك : الحق واضح أبلج ، فهل معنى المثل أن الحمار هو من يقول الحق؟؟

على أية حال، لنقرأ ماذا يقول هذا المثل النهارى الآخر:

«مكتوب على ورق الخيار من سهر الليل نام النهار» . .

هنا تدرك أن ساهر الليل لا ينام النهار لحاجته إلى النوم، بل امتثالا لذلك الأمر المكتوب على ورق الخيار، والظاهر أن الكتابة على ورق الخيار كان لها مفعول سحرى غامض فى توجيه مقدرات الانسان الوجهة التى يريدها الكاتب على ورق الخيار، ولهذا كانت الكتابة على ورق الخيار سرها باتع فى شئون العشق والغرام، تشهد بذلك الأغنية القديمة التى تقول: ح عملك حجاب . . على ورق الخيار . . اسهرك الليل واجننك بالنهار . .

وتكشف الأمثال التى ابتدعها أجدادنا أنهم كانوا يميلون الى الكتابة على أنواع غير مألوفة من الورق، إذ يقول مثل آخر:

«مكتوب على ورق الحلاوة ما محبة إلا بعد عداوة» . .

هذا يدل بلا شك أنهم كانوا على درجة عالية من التقدم فى صناعة الورق، فقد تفردوا - دون العالم كله - بالكتابة على رق الخيار وورق الحلاوة، ولعلهم أيضا كانوا يكتبون على ورق البامية وورق الكوسة، ولم يقتصر هذا التقدم على التكنولوجيا الورقية، فقد انتشروا فى الأرض وهاجروا وتاجروا واغتربوا، ورأوا بلادا - كما تدل آثارهم الأمثالية - لم يرها ابن بطوطة فى رحلاته، فهذا مثل يقول:

«ما نبنا من غربتنا إلا عوجة ضبتنا» . .

هكذا ارتحلوا الى بلاد كل من ذهب اليها عاد منها عوجة، ضبته بالذات، فما يكاد الصديق يلتقى بصديق قديم له فى الشارع حتى يعانقه

قائلا: أهلا يا فلان.. حمدا لله بالسلامة.. شايف ضبتك عوجة.. رجعت امتى؟

وإذا كان من العسير علينا الآن معرفة اسم البلد الذى عوج ضبة كل مغترب فيها، فإن الأشد عسرا هو الوقوف على سر العلاقة بين خراب بيت الحلاق وبين أكله للملوخية بالعيش الطرى، إذ يقول المثل:

«ملوخية وعيش لين يا خرابك يا مزين»..

هنا يراودك شعور بالأسف على رعونة هذا الأسطى الذى تهور وأكل الملوخية بعيش طرى رغم علمه بالعواقب الوخيمة لتناول هذه الوجبة للأسطوات الحلاقين، فما كان أغناه عن خراب بيته لو أنه تعقل وأكل الملوخية بعيش ناشف، ولكن النفس دائما أمارة بالسوء..

ولسوف تأتى أجيال وتذهب أجيال إلى يوم الدين دون أن تكتشف البشرية السر فى تحريم أكل الملوخية بالعيش اللين على كل مزين!

بل أن جانبا كبيرا من الأمثال المسجوعة سوف يظل مستعصيا على الفهم والتفسير، إليك مثلا.. هذا المثل الشائع الذى يقول:

«يا قلبى يا كتاكت ياما انت مليان وساكت»..

هنا يقف الذهن البشرى حائرا امام هذا القلب الكتاكت، ترى ماهو القلب الكتاكت؟ لابد أن كتاكت هذه لها علاقة بالامتلاء، امتلاء القلب بالهموم، فهل كتاكت هذه وحدة مكاييل للسوائل كاللتر والجالون؟ هل يقال مثلا هذه امرأة قلبها كتاكت أى قلبها سعة خمسين لتر هموم؟ وإذا كانت كتاكت وحدة مكاييل، فلماذا لم نسمع أن رجلا دخل محطة بنزين بسيارته وقال للعامل: كتاكت سوبر من فضلك؟

ان المسألة تزداد تعقيدا عندما نجد أمامنا فى الأمثال طرازا آخر من القلوب :

«يا قلبى يا كتكت اسمع الكلام واسكت» . .

هذه حيرة جديدة امام ذلك القلب الكتكت ، ولا حدود لحيرتنا عموما أمام أمثلتنا المسجوعة ، فهى فى حاجة الى مذكرات تفسيرية لنا تكشف غوامضها ، فأنت إذا سمعت المثل الشائع الذى يقول :

«بيت حانا ومانا ضاعت لحانا»!

استعصى عليك الالمام بالظروف الغامضة التى ضاعت فيها لحية هذا الرجل بين أيدى حانا ومانا ، وهل حانا ومانا رجلان أم امرأتان؟ وإذا كانا رجلين فهل هما مدرسان خصوصيان؟ وإذا كانتا امرأتين فما الذى أوقع هذا الرجل بين أيدى حانا ومانا وما هى البواعث التى دفعت بهما الى نزع شعر لحيته؟ هل هما ضرتان اتفقتا عليه؟ وهل وجدت كل من حانا ومانا فى تقليع شعر لحيته تسلية تعوضها عن سخف برامج التليفزيون؟

ثم هذا المثل :

«كنت مرتاحة جت لى حاحة» . .

نحن هنا امام اسم غريب وغير مألوف لسيدة تخصصت فى قلة الراحة ، ولا أحد يعرف الأسباب والملابسات التى دفعت بوالدها الى أن يقيدها فى سجل المواليد باسم حاحة ، غير أننا يجب أن نطرح كل هذه التساؤلات جانبا لأنها لن تؤدى بنا إلى نتيجة ، فإن عالم الأمثال يحفل بأسماء غريبة جدا لا وجود لها فى عالم الواقع ، كأسماء هذا الثلاثى المرح فى المثل القائل :

«جايب لى زعيط ومعيط ونطاط الحيط». .

وهذا ثلاثى آخر:

«شنح وجنح وحبل غسيل، تلاتة مالهمش مثيل» . .

هذا الأخ «زقزوق الذى زوجوه من ظريفة، كذلك من أشهر أخبار الزيجات التى تتردد على ألسنة الناس جيلا بعد جيل هو خبر زواج «مشكاح» و«ريمة» ولقد ظلت «ريمة» موضع اهتمام خاص من النساء، فكن يتعقبن أخبارها ويتلصصن على أسرارها، حتى صحت الدنيا ذات صباح وكل امرأة تهمس فى أذن الأخرى.

«رجعت ريمة لعادتها القديمة» . .

وما إن تهمس المرأة بهذا السر الخطير حتى تدق الأخرى صدرها بيدها وهى تشهق. ومن هذه الشهقة الممتزجة بالدهشة البالغة نستطيع أن ندرك أهمية ذلك الخبر الخطير الذى لايزال الناس يتناقلونه عن رجوع ريمة لعادتها القديمة كذلك من الشخصيات الشهيرة فى دنيا الأمثال- ولا مثيل لاسمها فى دنيا الواقع- السيدة «ردا» التى أخذوا عليها- بعكس ريمة- انها لم تغير أبدا عادة من عاداتها لا القديمة ولا الجديدة، فكانت تتلقى مكالمات تليفونية فى أصوات مجهولة تعيرها قائلة:

«طول عمرك يا ردا وانت كده» . .

ومن الأسماء التى نلتقى بها فى الأمثال: مرجانة . .

يبدو انه اسم فنى. اسم شهرة: فاتنة الرقص الشرقى مرجانة . يبدو أنها أيضا راقصة هرمية الجنسية من شارع الهرم، موهوبة فى اجتذاب الزبائن وجمع النقوط فوق صدرها المرمر، إذ يقول عنها المثل:

«كل من جانا يحب مرجانة» . .

. . وهذا «عبدالله» . . رجل ثقة شديدة والظاهر أنه «بياع مزاج» :

«خد من عبدالله واتكل على الله» . .

وهذا اسم لرجل ليس محل ثقة : بندق السيد الوزير بندق واضح من المثل انه وزير وأنه كثير التصريحات :

«سيدى بندق ما أصدق» . .

. . وهذا «زعرب» . . ولا أحد يعرف على وجه التحديد ما هى الخطيئة الكبرى التى ارتكبها هذا الزعرب حتى ذهب كفره مثلا :

«كفر زعرب»

وهذا «أبو راضى» . . عميد أسرة يؤمن بالحكمة المأثورة المنقوشة على التاكسيات : يا ناس يا شر بطلوا أر ، فالمثل الحسودى يقول عن أسرته :

«زى عيلة أبوراضى المشنة مليانه والسر هادى» . .

وهذه «زهرة» . . الظاهر أنها من ممثلات الاغراء العاريات ويصعب عليك التعرف عليها إذا صادفتها فى الطريق وهى ترتدى فستانا :

«من قلة عقلك يا زهرة خليتى لك فى البلد شهرة» . .

. . وهذا بعجر :

«زى بعجر أغا ما فيهش إلا شنبات» . .

. . وهذه «أم عامر» التى قضت العمر وهى تمسك بين يديها بمنخل . ماذا كانت تنخل؟ الله أعلم، المهم أنها كانت تتلقى من الرائح والغادى هذه العبارة تشجيعا لها مواصلة النخل . .

«انخلى يا أم عامر» . .

أما الأخ «عاشور» فمن الصعب الاحاطة بأسباب الألاطة الشديدة التى كان عليها حتى قال فيها المثل :

«طظ يا عاشور» . .

وهذا مرزوق . . والمثل الذى يحمل اسمه يكشف لنا عن طموح الرجل وعظيم صبره وقوة احتماله فى طلب المعالى، فيعلو فعلا فوق مقعد فريد من نوعه:

زى مرزوق يحب العلو ولو على خازوق» . .

وهذا اسم جديد جدا اسم «اوريجينال»: شخرم:

لماذا لا نعدله إلى : «بعد الجوع والقلة بقالك مرسيدس وفيلا» . .

كذلك المثل القائل : «قيراط بخت ولا فدان شطارة» . .

ألا يصبح أكثر وقعا لو عدلناه إلى : «قيراط كوسة ولا فدان شطارة» . .

فإذا كان التعديل فى الأمثال غير جائز لمقتضيات تراثية تتطلب الاحتفاظ بنصوصها التى قيلت بها، فلماذا- وهذا السؤال هو السؤال الثانى- تقتصر أمثالنا على ما قاله الأجداد؟ أليس من حقنا أن نضيف إليها أمثالا عصرية جديدة؟

أعتقد أن هذا من حقنا . . فلماذا إذن لا نجتهد ونبتكر أمثالا مودرن مثل:

- بعد العدس والفريك بقالها بوتيك . .

- مالك مهموم دى الهمة قال ابنى فى الثانوية العامة . .

- الكل خدام مطرح ما أروح مادام باشاور باللحلوح . .

- ايه عملك حصان أصيل يا جحشى قال مشيت فى سكة القرع والمحشى . .

- غبت فين سنة يا أبواليسر قال الورق كان ناقصه ختم النسر . .

- يابو السر هادى والبال راضى وممنون، قال عقبالكم لما تبيعوا التليفزيون . .

- أربع ولاد وعشرين درس خصوصى يا خراب بيتك يا خلوصى . .

- بعد أكل المدمس ولبس الهلهولة بقالك عمارات وسراية مهولة عقبالنا يا عم يا بتاع العمولة . .

*****

الكلاميون

الوعود المعسولة أو التصريحات موجودة فى كل بلاد الدنيا للمزايدات الحزبية غالبا، ولكنها ليست على الصورة الحادة التى ننفرد بها، ولعل ما يشجع على كثرة الادلاء بالتصريحات هو طاقة استيعاب الذاكرة عندنا، فلا يمكن لذاكرتنا أن تستوعب تصريحات قيلت على امتداد القرون والسنين، ولو جئنا بأعظم كمبيوتر فى العالم لنخزن فى ذاكرته كل تلك االتصريحات لانهارت ذاكرة الكمبيوتر: تصريح للوزير حار- حوتب عن وضع خطة عاجلة لحل مشكلة النظافة فى مدينة منف- تصريح الوزير أبوهلال الفاطمى عن الثورة الادارية وتيسير الاجراءات على المواطنين. تصريح الوزير القاسم بن طولون عن الاجراءات التى ينوى اتخاذها لتحسين رغيف العيش- تصريح الوزير كتخده بك عن ترشيد الانفاق الحكومى، وهو التصريح الذى أدلى به وهو يركب بغلة آخر طراز مستوردة من استراليا. .

وإذا كان الكمبيوتر يعجز عن استيعاب هذا كله فكيف يتسنى لمخ بشرى أن يلاحق ويتذكر ما يقال له ليل نهار منذ سنين طويلة. . ليس صحيح إذن ما يقال اننا بلد كل شىء فيه ينسى بعد حين الصحيح أن كمية التصريحات والنوايا الطيبة والوعود التى قيلت على مر السنين يستحيل أن تستوعبها مراكز ذاكرتنا فى الرؤوس!

ورغم الحضارة القديمة إلا أننا لم نسمع - كما يحدث فى الدول المتحضرة أن «حور - حوتب» قد أقيل من منصبه مثلا لأنه كذب على الشعب فكل ما نعاقب به أى مسئول كذاب هو أن نتعجب لكذبه كما يشرح ذلك المثل القائل : اسمع كلامك أصدقك أشوف أمورك اتعجب!

وما من شك أن أمثالنا الشعبية تزخر بمواقفنا وآرائنا تجاه الكلاميين من المسئولين، والأرجح أن هذا المثل الشعبى الآتى عن التصريحات قيل أيام الحاكم بأمر الله عندما كانت دواوين الحكومة تعمل ليلا والتصريحات تقال ليلا، إذ يقول المثل : كلام الليل مدهون بزبدة يطلع عليه النهار يسيح . .

ولا ينبغى أن نعفى أنفسنا من المسئولية إذ أننا نشجع المسئولين من الكلاميين على قول التصريحات إذ أننا متسامحون ترضينا الكلمة الطيبة مهما كان الكذب فيها واضحا، فيقول المثل الشعبى : «الكلام الطيب ينخى» . أى يحمل الانسان على القبول والسكوت والرضا - والمثل الأخر يقول : «كلمة حاضر تريح التعبان» . .

غير أن هناك عشرات الأمثلة التى تدين قول التصريح مثل : «كتر الكلام خيبة» - «كتر القول قلة عقل» ، ويقول الشاعر القديم : زيادة القول تحكى النقص فى العمل . .

وواضح جدا من الأمثلة الشعبية أن حق الكلام طوال عصور القهر كان وقفا على الحكام، إذ تلوح فى أمثالنا عاقبة الكلام أو مناقشة الحكام مثل : «اللسان عدو القفا» و« لولاك يا لسانى ما انسكيت يا قفايا» !

*****

فى عيد الحب !

فى عيد الحب سألتنى صحفية شابة : كيف تفسر هذا التناقض أنتم آباؤنا الذين تقيمون عيدا للحب .. وأنتم آباؤنا الذين تحاربوننا إذا أحببنا!

قلت لها : نحن لا نحارب الحب بدليل احتفال الآباء بعيده، لكن بعض الآباء علمتهم التجارب الخوف على القلوب الشابة من الاندفاعات العاطفية أو لعلهم- بناء على تجربة شخصية مرة- يعرفون أن الحب قد تكون له غالبا خاتمة مروعة وهى الزواج!

لقد قطع الحب شوطا طويلا للاعتراف به على مستوى الأسرة، وبعيدا عن اتهام الآباء بضرب الحب أقول لك أنه كانت هناك خصومة مستمرة بين الناس جميعا وبين الانسان العاشق، فحتى الذين مارسوا الحب عفيفا طاهرا لم يسلموا من ألسنة الناس إلى يومنا هذا : فقيس بن الملوح مجنون رسمى، وقيس لبنى مضطرب العقل، وكثير عزة ملتاث. وجميل بثينة مختل، وفى العصر الحديث وقف الناس والدولة ضد حب الملك ادوار ومسز سمبسون، وفى العصر القديم وقفت روما بحد السيف ضد حب كليوباترا وانطونيو!

وفى المقابل، وقف العشاق موقف النفور الشديد من الناس، إذ نرى قصائد الشعراء وأغانى العشاق تندد بالناس : اللائم منهم والعاذل

والشامت، فيقول شوقى: يالائمى فى هواه والهوى قدر ويقول أيضا: ما بال العاذل يفتح لى باب السلوان وأوصده، وتعبر الأغانى عن دسائس الناس تجاه الحبيب والمحبوب فيقول عبدالوهاب: أحبه مهما أشوف منه ومهما الناس قالت عنه، ويقول عبدالحليم: قالوا لى الناس هواك حيرة، ويصرخ فيهم فريد الأطرش: يا عواذل فلفلوا، وتعبر أم كلثوم عن رأى العشاق جميعا فى أن البعد عن الناس غنيمة:

بعيد بعيد أنا وأنت.. بعيد بعيد وحدينا!

وجائز جدا ان تكون سر هذه الخصومة بين الناس والعاشق هو حسدهم للمحبين إذ يقول عبدالوهاب حسدونى وباين فى عنيهم، ويقول عبدالوهاب أيضا متقمصا شخصية قاسم السماوى يصعب عليا أشوف غيرى عاش متهنى، وناقص يقول جتنا نيلة فى حظنا الهباب!

والعاطفة التى كان ينبض بها قلب انسان العصر الحجرى لاتزال هى العاطفة التى ينبض بها قلب إنسان عصر الليزر، فلا يتغير من الحب على الزمان غير أساليب التعبير ووسائل اتصال المحبين فلو وجد روميو التليفون لما استعمل السلم الحريرى، ولو كان فى عصر الحرملك اختلاط لما ظهرت وظيفة المرسال الذى كانت تتحدث عنه الأغانى القديمة: وابعت لك مرسالى واقولك يا غزالى من فضلك تعالالى. وفى كل عصر يثبت الحب أنه قوة داهمة تصنع المعجزات وتنتصر على العقبات وتكتسح امامها كل الاعتراضات. ولا أدل على قوة الحب من أن الرجل يقبل عليه رغم معرفته الأكيدة بأن الحب وجبة شهية لذيذة يعقبها عسر هضم رهيب اسمه الزواج!

*****

قراقوش !

في ذكـرى العندليب الراحل عـبـدالحليم حـافظ طالب البعض محافظة القاهرة باطلاق اسم عبدالحليم على الشارع الذى كان يقطن به فى الزمالك ويحمل اسم : شارع بهاء الدين قراقوش . .

وقراقوش حظى بشهرة خاصة بين المصريين على مر السنين، فقد قدم نجيب الريحانى مسرحية اسمها «حكم قراقوش» وعندما تضيق زوجة بالأوامر الصارمة من زوجها فإنها تستغيث قائلة : ولا حكم قراقوش، وعندما يضيق مرؤوس من استبداد رئيسه يصيح فيه : انت قراقوش! وهكذا أصبح قراقوش رمزا للحاكم المستبد الظالم . .

مع أن قراقوش مظلوم . فهو ليس رمزا لجنون الحاكم، لكنه فى واقع الأمر نصب تذكارى تاريخى للسخرية الشعبية المصرية عندما يشهرها المصريون سلاحا فتاكا فى وجه حاكم لا يرضون عنه . .

قال المصريون عن تخلفه العقلى إن صقرا هرب من قراقوش فأمر بإغلاق باب زويلة حتى لا يجد الصقر منفذا للفرار من القاهرة . هل من المعقول أن يكون قراقوش بهذه العقلية الغبية وهو الذى كان موضع ثقة صلاح الدين ومن أبرز قواده . وإذا كانت لفظة قراقوش أصبحت تثير الضحك فإن معناها بالتركية ليس كذلك، إذ أن «قرة قوش» تعنى «النسر الأسود» . .

في عهد صلاح الدين اقترن تغيير مذهب الدولة باضطرابات داخلية إلى جوار الخطر الخارجى وهو التصدى للصليبيين ، فإذا أضفنا إلى هذا كله سوء الحالة المالية ومعاناة الشعب استطعنا أن نتخيل حجم سخط الناس ، ولكن لأن صلاح الدين كان بطلا اسطوريا ، فقد ارتفع عن كل نقد فى عيون المصريين ، واتخذوا من قراقوش هدفا لغضبهم إذ كان ينوب عن صلاح الدين فى حكم مصر وكان شديدا وحاسما وعادلا ورجل دولة يمسك بالزمام امام الفتن الداخلية للفاطميين ، وبقدر ما نزه المصريون صلاح الدين عن أى خطأ ، مرغوا قراقوش فى الوحل وصورته السخرية المصرية أحمق يثير الضحك حتى غلب سيرة جحا واشتق الأتراك من اسمه اسم «القره جوز» أو الاراجوز . .

وقد جاء فى كتاب ابن مماتى - الذى أضاف اليه المصريون الكثير جيلا بعد جيل - أن مدينا تقررت محاكمته لأنه يسوف فى تسديد دينه فشكا المدين إلى قراقوش أنه يريد تسديد دينه ولكنه لا يعثر على الدائن فأمر قراقوش بحبس الدائن حتى يسهل على المدين معرفة مكانه . .

هل من المعقول أن رجلا يثق فيه صلاح الدين كل هذه الثقة يفكر هذا التفكير الأحمق؟

ثم تذهب خفة الدم المصرية الى أقصى مداها فيقولون عن بهاء الدين قراقوش - الرجل المتزن العاقل - ان امرأة جاءت إليه تشكو جنديا من جنوده ضربها فاجهضها ، وهنا استشاط قراقوش غضبا وأمر الجندى بأن يعيد المرأة الى زوجها حاملا كما كانت!

*****

أم شناجر

في مجال العمل التقيت بأشخاص لهم أسماء غريبة مثل: دعبوس، وفناشى، وليت، وهنتش، وشناجر، والفسل، ويزيد الأمر غرابة أنها الأسماء الأولى وليست اسم الأب أو الجد، كذلك صادفتنى أسماء نسائية تثير التساؤل مثل: افتكرنى، وفلافل، وبشوكها!

وقد نستنتج من اسم افتكرنى أن أحد الوالدين كان بيمر بحالة عاطفية دفعته الى اطلاق هذا الاسم على المولودة وقد تعني فلافل ما معناه يا عواذل فلفلوا، كما أن الذى سماها «بشوكها» قصد أن تكون البنت وردة جميلة لكنها شائكة الملمس لكل طامع. غير أن الذى يحيرنى كثيرا، كيف يذهب أب الى سجل المواليد ويسمى ابنه هنطش أو فناشى أو شناجر؟

ولقد اشتد فضولى إزاء هذه الأسماء، فاستفسرت من بعضهم عن أصلها، وتبين أن ليت أسموه فى سجل المواليد ليث- أى أسد- لكن الموظف وضع شرطة على الحرف الأخير فانقلبت من ليث الى ليت. وصممت المدرسة على التمسك بالاسم الرسمى فشاع وذاع اسم ليت «بمد الياء وليس بتسكينها» أما شناجر الذى لا يعرف لاسمه معنى فى أى قاموس فيحكى أن أباه كان قد انفصل عن والدته وتزوج من أخرى فصمم أن يسميه شناجر حتى يصبح اسمها أم شناجر . . . هاهاها . .

ويفطس الأب من الضحك لهذه النكتة التى كان يرويها فى كل مكان انتقاما من زوجته السابقة!

وكشف الفسل عن سر اسمه الغريب فقال أنه جاء بعد خلف خمس بنات ، فأراد أبوه أن يقلل من شأنه وقيمته خوفا من الحساد فأسماه الفسل، والفسل باللغة العربية الدارجة تقترب من معنى الصعلوك وفى اللغة الفصحى الفسل هو الرذل!

والحمد لله أن أبى لم يكن متأثرا بعادة قدماء المصريين الذين اخترعوا الأسماءالقبيحة للذكور حتى يرفعوا عنهم شر الحسد، وشكرا الله أنه لم يسمنى السنكوح أو صرصار الحيط . .

وكثير من الناس يطلقون أسماء على أولادهم وبناتهم دون أن يعرفوا معناها، فلا أحد يعرف معانى الأسماء التى انتشرت أيام ستى مثل بنباقادن، وبنباكشر وناظلى شاه وجلفدان وماهيفيش وناظكتار وترنديل وشيفيكار . .

ولايزال الناس يطلقون الأسماء العربية دون أن يعرفوا معناها أيضا، فقد قال لى صديق انه أطلق اسم عفراء على ابنته لأنه سمع أسمهان تقول فى مجنون ليلى «عفراء تعالى نقض حقا وجبا خذي وعاء واملئيه لابن عمي حطبا» والواقع أن كل الأسماء العربية ذات معانى جميلة، فعفراء مثلا معناها بيضاء وأميمة تصغير أم وميادة ومايسة أى التى تمشى تتبختر، ومها هى البقرة الوحشية التى اشتهرت بسحر العيون وجمالها، وسهيلة من سهيل وهو النجم، والسهى اسم أبعد كوكب ورباب: سحاب،

وسحر هووقت ما قبل الفجر ومنه السحور والمسحراتى، ونهلة من أحلى الأسماء العربية، فهو مشتق من المنهل أى ينبوع الماء الصافى، ووائل أى من يلجأ اليه الناس، وهيثم وهو فرخ النسر وزياد ووليد وطارق وياسر، كذلك انحسرت موجة الأسماء القبيحة التى كان يروج لها لاعبو الكرة وهم يتسمون بها مثل لوفة وخيشة واللاللى والعجران والسكران، وكان الأطفال يتعلقون بهذه الأسماء البطولية فى عالم الكرة وتصبح أمنية كل منهم أن يصبح اسمه الجردل أو الجربان ولم يعد باقيا من هذه الأسماء إلا اسم العضاض وهو اسم الشهرة الذى انتشر بين بعض مؤلفى المسلسلات . .

*****

فوازير لغوية

زارنى مستشرق أوروبى ذات يوم بصحبة الصديق الأديب جمال الغيطانى، وقال أنه متخصص وباحث فى اللغة العامية المصرية ولكنه لا يفهم لغة كمبورة فى كـاريكاتيـر مـصطفى حـسـين بالأخـبـار! وقلت للمـستـشرق إن كـمبـورة يمثل شخـصيـة مرفـوضة ويتحدث بلغة خاصة تنتمى الى نوعيته، وهى اللغة التى اطلقت على ورق البنكنوت الاستك والباكو والأرنب: أى مليون جنيه..

وقلت ردا على سؤال له أن القارئ يسهل عليه معرفة معنى اللفظ لأن اللغة العربية تتميز بأنها تحفل بتخصيص الفاظ لمختلف الأصوات مـثل ازيز وهدير وزئيـر وصليل، فـالحـروف صـوتيـا- تعطى المعنى والمدلول، وأن هناك حروفا إذا اجتمعت مع بعضها أعطت معانى متقاربة فى مـختلف الكلمـات، فإذا جـمعت مثلا حـرفى «ش» و«خ» وجدت معنى التصدع والتشقق مثل شاخ، وشرخ، وشخرم، وخشرم!

وإذا جمعت «ق» و«ط» أعطتك معنى واحدا مثل قطع وقطش وقطر وقطف!

وفى كتاب دلالة الألفاظ للعالم اللغوى د. ابراهيم أنيس أورد المؤلف ألفـاظا عـربية مهجورة هى أشبـه بالفـوازير ثم عـرض هذه الألفاظ على مجموعة من طلبته بكلية دار العلوم وعـددهم ٢٤ وسأل كل طالب أن يسجل ما توحيه كل لفظة من دلالة فى ذهنه..

وهذه الفوازير اللفظية أو الألفاظ المهجورة هى بالترتيب : الهبلع- الجرفاس- الخيتعور- النعثل- القهبلس- القذعملة- الطربال- الشنعوف- العثلط- القفندر . .

جرب أنت أيضا- مع الطلبة- معنى هبلع وخيتعور والقهبلس لقد جاءت التفسيرات كالآتى :

١- الهبلع : فسرها تسعة من الطلبة على أنها الأبله العبيط ، وفسرها أربعة على أنها الضخم المهول ، وفسرها ثلاثة على أنها القصير . .

٢- الجرفاس : أجاب ١٤ طالبا أن معناها القوى الضخم والشجاع الخشن . .

٣- الخيتعور : أجاب ثمانية من الطلبة بأنها : الذليل الضعيف الجبان الكسلان . .

٤- النعثل : لم يجب عن هذه الكلمة سوى ١٣ طالبا فسروها على أنها الهادىء النائم الوديع . .

٥- القهبلس : فسرها عشرة طلاب بأنها المرأة الضخمة البدينة . .

٦- القذعملة : فسرها ١٤ على أنها القصيرة القميئة . .

٧- الطربال : فسرها ١٧ طالبا على أنها البناء الضخم العالى الشامخ ، ووصفها ٣ بأنها المتهدم المنهار . .

٨- الشنعوف : فسرها ١١ طالبا بأنها قمة الجبل وقال ٣ أسفل الجبل .

٩- العثلط : أجاب ١٧ طالبا بأنه اللبن المتجمد المتخمر . .

١٠- القفندر : قال ١٢ طالبا أنها صفة للجميل ، وقال ٨ من الطلبة أنها صفة للقبيح . .

وهذه هى حلول هذه الفوازير اللغوية أو معناها باللغة الفصحى . .

١- الهبلع : معناها اللغوى الأكول النهم . .

٢- الجرفاس : الضخم . .

٣- الخيتعور : الخداع المخاتل . .

٤- النعثل : الشيخ الأحمق . .

٥- القهبلس : المرأة الضخمة . .

٦- القذعملة : القصيرة القميئة . .

٧- الطربال : البناء الضخم الشامخ . .

٨- الشنعوف : القمة . .

٩- العثلط : المتجمد المتخمر . .

١٠- القفندر : القبيح المنظر . .

وكل فوازير لغوية وأنت طيب . .

*****

الكوسة !

سألتنى صحفية شابة من أين جاءت كلمة كوسة؟
وقلت لها نحن قوم كوسيون من قديم الزمان ،
فالكوسة فيما مضى كانت شيمة طيبة فينا قبل أن
تصبح آفة وقبل أن تغدو لفظة عصرية بغيضة ربما
يتولاها المجمع اللغوى بسك المشتقات اللازمة منها
مثل : كوس يكوس تكويسا ، ويقال هذا الرجل كواس وهذا مكواس
وهذا مكووس وهذا أمر تمكوس - بفتح الكاف - أى دخلت فيه
الكوسة . .

ونحن قوم يحس أفراده بالانتماء الى بعضهم البعض ، فهناك مثلا
منظر مألوف فى الدرجة الثالثة بالقطار رجل يجمعون له ثمن التذكرة فى
منديل والركاب - على حاجتهم - يدفعون عن طيب خاطر دون أن
يعرفوه ولكنه الانتماء وهذا شاب يعاكس فتاة فى الطريق فننهره ونزجره
لأننا نشعر أن هذه البنت - دون أن نعرفها تنتمى الينا ، وهذه سيارة تتعطل
فى الطريق فيسرع المارة بتقديم المساعدة ، والممثل أو الممثلة أو مذيعة
التليفزيون لا تحقق نجاحها الجماهيرى إلا بقدر ما تشعر كل انسان
بانتمائها اليه : اخته - ابنته - ابنة اخته - واحدة من بيوتنا . .

وكوسة زمان هى وليدة الانتماء خاصة فى الريف ، فالكبير فى القرية
يأخذ بيد الصغير ، وكل أسرة كبيرة فى القرية يشغل أفرادها مناصب فى

البندر أو العاصمة مطالبة- بحكم تقاليد القرية- بتوظيف ابن أى فلاح فقير نال شهادة صغيرة أو كبيرة وإذا لم تفعل فهذه عيبة كبيرة فى حق الأسرة تدين أقطابها بالخسة والنذالة . فمن أخلاق القرية نبعت الأمثال الشعبية التى تعبر عن الارتباط والتعاطف مثل «زيتنا فى دقيقنا» و«زى قواديس الساقية المليان يكب على الفاضى» وتصبح الإدانة أكبر إذا أهمل كبير فى القرية مطلبا لفلاح من قريته وحقق نفس المطلب لفلاح آخر من خارج قريته، ومن هنا جاءت كلمة كوسة، فالكوسة، نبات من الفصيلة القرعية، والقرع دائما يخرج من خط زراعته ويمتد فارشا الى خارجه . لذلك يقول المثل الشعبى : «زى القرع يمد لبره»، والمثل- كما هو واضح- يدين من يخدم القريب قبل القريب . .

غير ان الكوسة الحميدة التى يفرضها الانتماء الى الأهل والمكان تطورت مع الزمن الى كوسة خبيثة، ليس مبعثها الانتماء لكن دافعها المصلحة الشخصية وعشق الفلوس وارضاء ذوى النفوذ، بل أننا حققنا انجازا تكنولوجيا مذهلا عندما فتحنا بطن الكمبيوتر سنة ٧٤ وزرعنا فيه الكوسة، فقام هذا الكمبيوتر بتوزيع شقق عمارات الأوقاف على الوزراء فقط، إذ برمجوا ذلك الكمبيوتر بحيث لا يعطى الشقة إلا لكل من يحمل صفة وزير، وقد دهش يومها المسئولون عن توزيع هذه الشقق عندما أعطى الكمبيوتر شقة لموظف فى الدرجة الخامسة بجمرك الاسكندرية، ثم تبين ان الكمبيوتر كان فى منتهى النباهة ولم يخطىء فقد كان الاسم الثلاثى لهذا الموظف عبدالله حسن الوزير!

*****

تحيا الستات

حوصرت بأكثر من ثلاثين سيدة يتطاير من أعينهن الشــرر ظنا منهن أنني أعــادي المرأة، وذلك بعــد أن استدرجني بعضهن الى ذلك الفخ على شاطىء البحر خلال أجازة قصيرة.

وأكـدت لهن أنني لم أكـتب أبدا أن المرأة لا تصلح رئيـسـة عـمل، بالعكس، طول عمر الرجل تحت رئاستها وليدا رضيعا في حجر الأم، ثم طفلا في حضن مشرفة الحضانة، ثم مراهقا تتلقفه بنت الجيران، ثم شابا يريد دخول الدنيا، ثم زوجا دخل الآخرة.

ولا عجب أن تحسن المرأة ادارة عمل، فهي بحكم استعدادها كربة بيت نراها موهوبة بالفطرة في فن الادارة، كما أنها أكثر مقدرة من الرجل في علاج المشاكل الاقتصادية، وإذا قيل ان المرأة مبذرة فهذا افتراء، إذ ثبت أن المـرأة تحرص كثيرا على المال الذي تكسبه من عـمـلها، ولا تبعثر إلا فلوس الزوج لا لمجـرد الرغبـة في التبـذير، ولكن لاعـتـبـارات استراتيجية عليا متعلقة بأمنها الشخصي وطبقا لقواعد الأمن والسلامة الموروثة عن جدتها: قصقصي طيرك ليلوف بغيرك.

ثم أن المرأة أقدر على التعامل مع الآخرين بالسياسة والحيلة والقدرة على المناورة والاقناع ولعلنا نذكر في هذا المقام حادث التفاحة الشهيرة.

والمرأة بطبيعتها بشوشة الوجه، فهى الرئيسة فى العمل لن تطالع مرؤوسها بوجه متوتر اللهم إلا إذا كان هذا المرؤوس زوجها!!

وهى- كرئيسة عمل- ليست أسيرة عواطفها كما يزعم البعض . ففيما عدا عاطفة الأمومة . فإن المرأة تستطيع أن تتجرد بسهولة من كل عواطفها، وأن تأتى أعمالا يعجز الرجل عن القيام بها كالسيدة تاتشر والسيدتين ريا وسكينة .

وقد يتصور البعض ان السيدة تاتشر اختراع جديد من النساء، أبدا، فالتاريخ ملىء بالسيدات الحديديات، ذلك أن كل امرأة تتوافر لها ظروف السلطة والقيادة تراها تجنح الى ممارسة القوة وأحيانا القمع، ويتجلى ذلك واضحا فى الزوجات .

وهى تلجأ الى ممارسة القمع والعنف لتغطية احساسها بالضعف من ناحية التركيب الجسمانى، ودفعا لاعتقاد الآخرين بأنها مخلوقة هشة يسهل التغلب عليها، وقد ثبت أن عقلية المرأة تتميز بعمق الادراك، يساندها فى ذلك جهاز عصبى مدرع، أقوى وأشد متانة من الرجل، والطريقة التى تفكر بها سيدة مثل أجاثا كريستى فى كيفية ارتكاب الجريمة والقاء الغموض والظلال على الشخوص تكشف بوضوح عما تتمتع به عقلية المرأة من القدرة على التخطيط الدقيق والتنفيذ المحكم فى الخلاص من جثة الزوج .

*****

مساء الخير أيها الأزواج

قرأت احصائية عن متعاطى المخدرات كشفت عن أن الرجل المتزوج يمثل النسبة الكبري فى قائمة المدمنين على الحشيش، يليه الأعزب، فالمطلق، فالأرمل.

ولا شك أن هذه الاحصائية قائمة على الدراسة الميدانية وليست على الفراسة كأيام زمان، ففى الماضى كانوا يخلطون بين مظهر الزوج ومظهر المدمن لشدة التشابه بينهما في تقوس العمود الفقرى وتهدل الكتفين وطأطأة الرأس والبصر الزائغ، فكان رجال الشرطة إذا اشتبهوا في شخص سحبوه للتحرى وفي القسم يتضح أنه زوج مزمن لا مدمن.

ولعل سبب ارتفاع نسبة الادمان بين المتزوجين يكمن فى أن الزواج نظام قهرى كأى نظام سياسى ديكتاتورى فلا يختلف الزوج عن أى شخص تحت الحكم الشمولى، فحرياته مصادرة، وجيوبه مؤممة، والمشاكل تحاصره، والضغوط الاقتصادية تحيط به من كل جانب، فتنشأ بينه وبين الواقع الخارجى خصومة حادة، ولا يبقى له مهرب- في تقديره إلا الجوزة حيث يفتعل خلق حالة من البهجة الكاذبة والسلطنة.

والحشيش يخلق لمثل هذا الزوج المقهور احساسا متضخما بالعظمة والأهمية لا وجود لهما فى واقع الأمر داخل البيت، كما يؤدى الحشيش

الى انحسار الاحساس بالمسئولية والخجل والتحفظ مما قد يتسبب فى استئساد الزوج وطول لسانه وبالتالى احتمال نقله الى عنبر الكسور .

والمفروض أن يصبح الأعزب فى اخر قائمة المدمنين، لكن ظروف العصر جعلته التالى فى الادمان بعد المتزوج، فإن تفكير الأعزب فى الزواج أشبه بمحاولة عبور طريق مسدود، والحشيش هنا يشيع احساسا مؤقتا بتهوين المشكلة وقبولها والتعايش معها والأمل فى حلها .

ثم طبيعى جدا أن تنخفض نسبة التعاطى بين الرجال المطلقين، فالمطلق كان يواجه مشاكل عسيرة وصلت عقدتها الى الذروة حتى تولى حلها مولانا المأذون .

وإذا كان الأرمل صاحب أقل نسبة فى التعاطى، فلأن الأرمل لم يعد فى حاجة الى مخدر . إذ تم فض الاشتباك برحيل الزوجة، ولم يعد يقلق ذلك الأرمل إلا اكتشاف جريمة القتل التى انتهت برحيل الزوجة!

*****

بوليصة الحب !

ان كل حبيبين يجمعهما الرباط المقدس يساورهما في شهر العسل قلق عظيم يكمن فى هذا السؤال : هل يستمر غرامهما- كما بدأ- قويا حارا مدى العمر؟؟ السؤال قديم وهو يجرنا الى سؤال آخر : هل تقبل شركات التأمين أن تؤمن على مثل هذا الحب ولو لصالح الزوجة؟

ان هذا سوف يسعد آلاف الزوجات بقبض بوليصة التأمين بعد غياب الحب ، لكن من المؤكد أن شركات التأمين لن تقبل هذه المغامرة إلا بعد اجراءات وشروط خاصة ، لعل أولها الكشف الطبى العقلى على الزوج ، فهذه الشركات تعرف بالطبع أن اقدام الرجل على الزواج لا يحتاج الى أى عقل ، فإذا ثبت بعد الفحص أنه استرد قواه العقلية وبدأ يدرك الأمور على حقيقتها بندم أليم . فلا بوليصة تأمين طبعا .

فإذا كان لايزال مختلا فتلك بشرة خير ، ذلك أن الحب الغرامى المتوهج هو ألطف وأجمل أنواع الخبل العقلى حتى ولو صاحبته ميول انتحارية تدفع الانسان الى القاء نفسه فى بيت الزوجية . كذلك سوف يتعرض الزوجان- قبل التأمين- لجهاز المراقبة السرية من جانب الشركة للوقوف على ترمومتر الحب . هل يعاملها كما لو كان يلتقى بها لأول مرة؟ هل هو- فى المطعم- يمسك بيدها ويهمس ، أم يجلس الى المائدة

مخروسا شأن كل الأزواج؟ ففى أى مطعم تستطيع دائما أن تميز العشاق من المتزوجين.

ففى الحب تنشط مراكز الكلام فى مخ الرجل فلا يتوقف عن الحديث اليها، كما أن تعبيره عن الحب يكون بالصوت والصورة، إذ تظهر على ملامحه معالم الهيام كما تظهر أيضا فى حركات يديه التعبيرية.

كذلك لن يخلو الأمر من امتحان عسير على جهاز كشف الكذب مع اسئلة من هذه العينة. إذا كسرت الزوجة شيئا ثمينا أو خبطت السيارة الجديدة مثلا فهل تقول لها «فداكى يا حياتى ولا يهمك» أم تقول لها طول عمرك شعنونة ومجنونة؟

كما ينشط قسم التحريات فى شركة التأمين حيث يعمل جواسيس الشركة خدما داخل بيت الزوجية لكتابة تقارير عن الحالة العاطفية داخل البيت.

ففى الحب مثلا تتعطل مراكز الادراك فى المخ فلا يعرف كل من الجانبين السبب الذى يحب من أجله الآخر، وفى اللاحب تعمل مراكز الادراك فى المخ بكفاءة فتبدأ المشاكل عندما لا يجد كل من الطرفين سببا وجيها لزواجه من الآخر.

وفى الحب تظهر على الرجل بوادر الكلبتومانيا العاطفية فيسرق منها القبلات فى البيت. وفى اللاحب يشتد داء جنون السرقة عند بعض الأزواج فيسرق القبلات من الشغالة.

*****

كيميا..!

أفسد العلم خيال الشعراء والرومانسيين عندما صعد الانسان الى القمر واكتشف ان وجهه المضىء من بعيد هو مجرد صخور وجبال وأخاديد، ومن فوق القمر رأى رواد الفضاء كوكب الأرض مضيئا وهو يواجه الشمس فبدا كالقمر، ولو كان فى القمر سكان لقال الحبيب لحبيبته: شايفه الأرض يا ليلى.. وشك زى الأرض يا روحى!

حتى الحب حوله العلماء الى كيمياء.

فلوعة الحب التى تحرق كيان العاشق أصبح تفسيرها العلمى: افرازات كيميائية. فالمراكز العصبية العليا هى التي تتحكم فى العواطف والاحاسيس وتؤثر على غدة الكظر فوق الكلى، فتفرز الادرينالين، وافرازات الادرينالين والكورتين عمليات كيميائية ترجمتها الانسانية أو السلوكية: مش قادر على بعدك ثانية أبدا يا حبيبى.

وافرازات التستوستيرون وجزيئات محددة النسب من الكربون والايدروجين هى التى تحدث الجوى وعذاب الشوق والحنين ويا حياتى أنا كلى حيرة ونار وغيرة وشوق اليك!

والقبلة: افرازات كيميائية في الأعصاب تسبب السعادة والنشوة.

ولو أن عاشقا كتب رسالة غرامية يصف مشاعره باسلوب العلم لقال لها فى الرسالة : «يا حبيبتى أن حبك يسلمنى الى جو يشقينى.. اننى أحس فى هدوء الليل الآن بفيضان من التستوستيرون يملأ جسمى الضامر الذى أضناه الهوى، بل أكاد أرى الادرينالين يندفع من غدة الكظر بداخلى لينفذ من جلدى ويكسو بشرتى كلها مع الكورتين يا حبيبتى» . .

ومادام الحب كيمياء فإن أسخف ما سوف يفعله العلم فى المستقبل هو انتهاء عصر متعة عذاب الحب والسهد والوجد ودموع الليل، إذ ما إن يتعاطى العاشق حقنة خاصة حتى يلعن المحبوبة ويفطس من الضحك على هبله لأنه يحب هذه البنت الهايفة . .

ويبذل العلماء الآن جهودا متواصلة للسيطرة على المخ الانسانى كيميائيا، ونجحت التجارب فى كبح السلوك العدوانى للمجرم، وهذا يبشر باختراع تعامل كيميائى آخر مع مخ الانسان يمنعه من العدوان على الناس بتأليف المسلسلات .

بل أن التعامل الانسانى الكيميائى مع المخ الانسانى تجاوز مرحلة التجارب فى نواح معينة الى مرحلة طرح العقاقير تجاريا، فامتلأت مخازن الأدوية فى أمريكا بمركبات كيميائية متنوعة : فهذا عقار السعادة، وهذا عقار يعين على تحمل الصدمات النفسية، وهذا عقار يبث الشجاعة عند الرجل فى مواجهة زوجته .

وأصل هذه العقاقير كلها اكتشفت مصادفة فى الخمسينات، ففى مستشفى لأمراض الصدر بأمريكا، لوحظ أن مرضى السل يتركون

فراشهم ويرقصون فى العنابر وهم يتصايحون فى مرح شديد، حتى اكتشف الأطباء ان هذه السعادة تنتابهم بعد جرعة دواء من أدوية السل اسمه «ايزونيازيد» وهذا الدواء هو الذى قاد العلماء الى التوصل الى مجموعات العقاقير المستعملة الآن ضد مرض الاكتئاب، وهو مرض ينتشر فى الغرب وانتقل الى بلادنا بعد دخول التليفزيون.

*****

الوالدان

سألونى هل كانت أمنا حواء شقراء أم سمراء؟ وما شكلها العام. وكيف كان فى تصورك والدنا آدم؟ ولا أظن أن أمنا حواء كانت شقراء. فمن المؤكد أن حواء- بعد الخروج من الجنة- لم تستقر مع آدم فى استكهولم أو كوبنهاجن، بل استقرت فى أرض الشرق، ومنذ فجر التاريخ وحفيدات حواء فى هذه المنطقة سمراوات بشعر أسود وعيون كحيلة، فلا يمكن أن تكون الجدة إذن شقراء ولا يمكن أن تكون قد غيرت لون شعرها من الأسود الى الأصفر لاستحالة الحصول على الصبغة التى تحول الشعر الى ساندريه وارجنتيه. واعتقد أن حواء- فى الجنة- كانت فى منتهى الرشاقة، إذ كانت تعيش على ريجيم مدهش، فهى تفطر فواكه وتتغدى فواكه وتتعشى فواكه، ولا شك ان هذا الريجيم الطبيعى انعكس على مظهرها نضارة وسحرا وأنوثة، لكننى أشك فى أنها احتفظت بهذا القوام الجميل بعد الخروج من الجنة، إذ بدأت تعرف البتلو والكندوز ولحمة الرأس والفتة بالكوارع ففسد الريجيم بنهاية عصر الفواكه وبداية عصر المسبك والرمرمة.

ولاشك أن حواء فقدت نضارتها ونعومتها بعد الاقامة فى الأرض، إذ كانت مضطرة الى مساعدة آدم فى العمل فامتلأت يداها «بالكاللو» وقدماها بالشقوق وتجعد وجهها قبل الأوان من التعب والهم وخلف قابيل وهابيل والخناقات مع آدم.

أما عن والدنا آدم فأظن أنه كان يكبر حواء فى السن، فلا يمكن أن تكون حواء قد خرجت من ضلعه وهو طفل أو وهو صبى، إذ لابد أنها خرجت وهو مكتمل البنيان، ففارق السن الكبير محتمل جدا ويؤيد ذلك الانقياد العاطفى الذى أبداه والدنا وانتهى بكارثة التفاحة الشهيرة!

ولا أظن أن حواء قد أغرت والدنا بقطف التفاحة لتأكلها أو تطبخها كومبوت أو تعملها مربى، فالجنة كانت مليئة بالتفاح والتفاح أمامها فى كل مكان، ولهذا أعتقد أن زن حواء على رأس آدم لقطف التفاحة المحرمة لم يكن مبعثه الرغبة فى أكلها، بل لكى تمتحن حبه الشديد لها واعزازه البالغ لشخصها الغالى ذلك أن المرأة لا تكتفى برصيد الحب فى قلب الرجل، فهى فى حاجة الى كلمات تؤكد لها وجود هذا الرصيد فى حاجة الى أفعال يقوم بها الرجل لتتحقق من ضخامة الرصيد العاطفى فى قلبه. فالحب عند حواء وكل حواء بعدها أفعال لا أقوال وليس مهما أن ينزل آدم الى الأرض بل المهم أن يثبت أن أرصدة الغرام بخير فى قلبه وأن حبه أقوى من كل شىء!

ومن حيث مادة الكلام فالذى لاشك فيه أن حواء فى الجنة كانت غيرها بعد الاستقرار فى الأرض ففى الجنة لم يكن عندها أى أخبار تحكيها عن الجيران والأقارب والمعارف ولم تكن هناك سيرة تمسكها أو أخبار جديدة تستقبل بها آدم من الباب ولكن من المرجح انها كانت تحكى له انهماكها فى توضيب المكان الذى يقيمان فيه. ولابد أنها كانت تتهمه أنه فوضوى وغير منظم إذا داس فى حوض الزهور الذى تعبت فى تنسيقه أو اقتحم ديكور أغصان اقامته وما الى ذلك من الإخلال الرجالى بالنظام الذى تضعه ست البيت.

أما فى الأرض فاعتقد ان مادة الحديث قد اتسع مجالها أكثر وانهما على الأقل كانا يرددان فى كل خناقة« ديالوج »لا يتغير ولم يتغير ولن يتغير بين كل آدم وحواء ما شاء الله . . هى تقول : انت السبب ، وهو يقول : انتى السبب!

*****

فى السينما توغراف

تقدمت السينما عندنا وتطورت، فاختفى مرض السل الذى كان يداهم البطلة وحل محله السرطان، وانحسر مرض فقدان الذاكرة الذى كان يصيب البطل اكتفاء بأن المتفرج مريض دائم بفقدان الذاكرة ولا يعرف اسم الفيلم الأمريكى الذى نقلوا عنه الفيلم العربى نقل مسطرة، كذلك اختفى المنتج تاجر الخردة وحل محله منتج أكثر رقيا وهو تاجر الخيش، وتقلصت سلطات الموزع وأصبح لا يتدخل إلا فى حدود ضيقة مثل تعديل القصة والسيناريو والنهاية واختيار البطل والبطلة والمتفرج أيضا، فهو يطلب أن يكون البطل سباكا ليكون المتفرج سباكا أيضا، يملك القدرة الشرائية امام شباك التذاكر.

وتطورت القصة أو الحدوتة السينمائية، فبعد أن كان أشخاصها البطل والبطلة والشرير والراقصة، أصبح هؤلاء الراقصة والشرير والبطل والبطلة، أو الشرير والبطلة والراقصة والبطل، أما الحدوتة نفسها فقد روعى فيها- منذ اختراع السينما- أن تكون معروفة مقدما حتى لا يغضب أحد الأشخاص خصوصا الرقيب، فالموضوع الجديد يعرض الرقيب للمسئولية والمنتج للافلاس والموزع لخسارة الصفقة، ورقصة فى كباريه مع غنوة مع خناقة كاراتيه أبرك وأضمن من أى فكرة جديدة.

والحق أن السينمائيين حاولوا طرق باب الجديد والأنفع والأجدى ولكن المحاولات تعثرت، ففى مشروع فيلم عن الزعيمة النسائية هدى

شعراوى اقترح الموزع ان يقام حفل كبير لهدى شعراوى بعد اشـتراكها فى أول مـؤتمر نسـائى عـالمى وأن تحـيى هذا الحـفل الراقـصـة، زوبة الكلوباتية، وتظل ترقص بالكلوب على رأسها الى ان تقع على الأرض مغمى عليها، ويقرر الطبيب ان زوبة الكلوباتية حامل وأن زوجها هرب مع واحدة اسمها زكية العمشة، ومن هنا تبدأ هدى شعراوى فى علاج هذه المشكلة الاجتماعية طول الفيلم الذى يشرح اهدار حقوق المرأة وعذاب زوبة الكلوباتية فى مواجهة أفعال ضرتها زكية العمشة.

لكن قيل ان الرقابة رفضت فكرة الفيلم.

فى مشروع انتاج فيلم عن الزعيم أحمد عرابى غير الموزع القصة بفكرة أجمل وهى أن يبدأ الفيلم بأن يتوجه البكباشى مراد- أحد مساعدى عرابى الى الكباريه أثر أزمة عاطفية فيظل يسكر ثم يسكر حتى تتلقفه الراقصة المالطية تينا وتغنى له بالعربى حبيتك يابن الايه، وتمضى قصة الحب بين تينا والبكباشى مراد طول الفيلم داخل الكباريه وتعرف ان السبب فى هزيمة عرابى هى تينا جاسوسة الانجليز.

لكن قيل ان الرقابة رفضت فكرة الفيلم.

وفى مشروع انتاج فيلم عن أمير الشعراء أحمد شوقى، حفل السيناريو بمناظر باريسية وأندلسية خلابة، لكن خلافا تافها دب بين المخرج والموزع، فالمخرج أسند دور أحمد شوقى الى أحمد مظهر بينما صمم الموزع أن يقوم بالدور أحمد عدوية.

*****

الذارات غرامية

أطلعتنى شاعرة غنائية على أغنية لا أذكر نص مطلعها وإنما هو قريب من هذا الكلام. فاكر نفسك مين تفوتنى فى عذاب وأنين.. فكرك ح تروح منى فين دنا أضيعك فى غمضة عين.. وتمضى سطور الأغنية فى تهديدات غامضة، وواضح من سياق الكلمات أن ليس من بين هذه التهديدات الهجر أو الصد، بل الضرب والأذى وربما القتل.

ولم أدهش لهذه الاتجاه، فنحن فى عصر قتل الرجال ودفنهم فى الأكياس البلاستيك، وقد بدأت بوادر هذه الموجة بداية غير واضحة فى الستينات عندما قالت أم كلثوم: للصبر حدود، إذ حملت كلماتها وألحانها لهجة تهديد وإن كان تهديدا بغير القتل، ثم جاءت مطربات الثمانينات بأغان تصادمية مع الرجل فهذه تغنى أغنية اسمها «انذار» واخرى تغنى «مش حتنازل عنك»، والأرجح أن المعنى الذى ترمى اليه: مش حاتنازل عنك إلا جثة.

والذى لاشك فيه أن هذه الأغانى ترمز الى العصر الجديد الذى يسود فيه العنف النسائى فالأغانى - على مدى الزمان - تعتبر مؤشرا لمركز المرأة وموقعها من المجتمع وعلاقتها بالرجل قوة أو ضعفا.

خذ مثلا أغانى موسيقار الأجيال عبدالوهاب. ففى الزمن الذى كانت فيه المحبوبة أسيرة التقاليد خلف الأسوار كان عبدالوهاب يغنى لها من

خارج الأسوار . مريت على بيت الحبايب وهو يصف اللحظة التى وقف خلالها يتطلع الى البيت بأنها «لحظة هنية» وذلك أن مجرد المرور بالبيت كان انجازا عاطفيا هاما . وهو بلا شك انجاز محفوف بالمخاطر ، فلو اكتشف أهل الحى أو «أولاد الحتة» أن عبدالوهاب جاء للبصبصة لبيت بنت الحتة - البيت وليس البنت نفسها - فسوف يوسعونه ضربا اليما ويشيعونه رجما بالحجارة ، إذ كان ذلك العصر هو العصر الحجرى للحب . وهو بعد ذلك يتمنى ويحلم بأن يأتى اليوم الذى تغادر فيه المحبوبة بيت الحبايب الذى يمر عليه ، وأن يلتقى معها فى جلسة رومانسية . فيقول عبدالوهاب : امتى الزمان يسمح يا جميل واقعد معاك على شط النيل ، ثم يتحقق الحلم وتجلس معه المحبوبة على شط النيل ، فنراه يأمل فى تنوع الجلسات الرومانسية على النيل وغير النيل فيهمس اليها : اسمح وقوللى يانور العين حشوفك امتى واقابلك فين . ولأن العاشق طماع ولا يشبع من لقاء المحبوب ، فنرى الذى كان يكفيه ويرضيه مجرد المرور على بيت الحبايب فيقول لها : أحب اشوفك كل يوم .

وزمان كان العاشق يبكى بحرقة إذا أحس أنه مهدد بفقدان الحبيبة . ففى عصر الحرملك والأسوار والمشربيات كانت المرأة عملة صعبة ، وكان من العسير الحصول على محبوبة أخرى للسلوى والنسيان ، غير أن تطور الزمن أعطى حرية الاختيار . فنسمع عبدالوهاب يقول : لا موش أنا اللى ابكى لو جار على هواك ، والأغنية تدور حول هذا المعنى الدارج : مع ستين ألف سلامة الباب يفوت جمل . وهى لهجة جديدة لم يسبق لعاشق أن قالها من قبل ، ولكن الأزواج يقولونها كثيرا طبعا .

وفى الحرملك، لم تكن المحبوبة تعرف القراءة والكتابة ولذلك كانت وسيلة الاتصال هى «المرسال» أي شخص يقوم بمهمة توصيل الكلام بين الطرفين، ثم لما تعلمت المرأة أصبحت تمثل عبئا على رجال البريد، واعترفت هى بذلك وقالت: البوسطجية اشتكوا من كتر مراسيلى!

ومع الاختلاط فى الجامعة والعمل لم تصبح المرأة هى العملة الصعبة النادرة، فظهرت أغان تقول: ما تفكريش عشان بحبك مقدرش يوم استغنى عنك، ثم مع العصر المادى ظهرت الأغانى التى تعبر عن حب المنفعة وزواج المصلحة فسمعنا أغنية تقول: بحبك لا.. محتج لك آه. وهى أغنية تسفر عن نفعية واضحة بلا خجل، وأنت تستنتج أن البنت التى يغنى لها الولد هذا الكلام عندها شقة تمليك أوأن أباها صاحب نفوذ: وزير، أو أن أمها صاحبة فلوس: دلالة جمعية.

وهكذا يتغير منطق الأغانى وفقا لتطور العلاقة بين الرجل والمرأة، وليس غريبا بعد ذلك أن نسمع قريبا مطربة تغنى: اتشاهد على روحك يا خسيس نويت اعبيك جوه الكيس.

*****

المأذون .. وعقبات أخرى !

يطالب معظم الشباب باستبعاد المأذون الشرعى من عملية عقد الزواج لأنه أصبح يشكل عبئا ماليا بسبب المغالاة فى اتعابه التى لا تتناسب اطلاقا مع الجـهد الذى يبذله . خاصة أن بعضهم يعتبره جهدا مؤذيا .

والشكوى من المأذون تبدو أمرا عاديا ، فبين معظم الناس وبين المأذون حزازات وضغائن اثر واقعة حدثت ، وهى واقعة معروفة عند الفلكيين بدخول زحل فى برج الجدى ودخول الرجل بيت الزوجية .

وفى رأيى أن الشكوى من المأذون تحسب له ولا تحسب عليه ، فالرجل يبالغ فى الأتعاب ويفتعل التكاليف بهدف نبيل وهو ان يجعل طريق الانسان اليه صعبا ووعرا ، ورغم هذا كله فالانسان يسعى دائما الى المأذون لأن النفس أمارة بالزواج . .

فما من انسان الا ويعرف عاقبة المثول بين يدى المأذون ، تلك العاقبة التى تتمثل فى رحلة طويلة تبدأ بأن يبحث كل طرف عما يسعد الآخر ، وتنتهى احيانا الى ان يستقر الزوج فى كيس بلاستيك وبئس القرار .

بل ان المأذون وتكاليفه واتعابه يعتبر اسهل العقبات فى طريق الزواج فهناك المهر الذى هو رمز لاعزاز العروس ومكانتها فى القلب ، وهو ايضا امتحان فى القدرة على المسئولية والحماية والعطاء ومن نعم الله ان الذى

يقبل على الزواج يكون عاشقا مخدرا بالهوى فلا يشعر بما يجرى له حتى يفيق بعد فوات زمان العسل.

فالرجل فى مسعاه الى انثاه يكتب وثيقة رسمية بالتنازل مستقبلا عن كافة حرياته كحرية التعبير وحرية الرأى وحرية التجول خارج منزل الزوجية بعد ساعات العمل ولا يبقى له من الحريات إلا حرية الاشارة من خلف ظهرها كأن يلوح بيده فى احتجاج الضعيف المقهور ولولا حذر الحب لما ارتضى العريس فى بعض قبائل الهند ان يرميه اهل العروس - حسب التقاليد - بالشتائم والاهانات.

وهو تقليد محمود بلا شك يهدف الى تطعيم العريس وتعويده على طبيعة الحياة الزوجية. وخدر الحب ايضا هو الذى يجعل العريس فى بعض قبائل الهند الحمر ملزما بتوريد الهدايا والعطايا الى اسرة الزوجة حتى بعد سنوات طويلة من ليلة الزفاف. وخدر الحب كذلك هو الذى يحتم على العريس فى بعض قبائل شرق افريقيا ان يخضع لطقوس الزواج - فيصارع نمرا او فهدا أو أسدا حسب طلب اهل العروس وعادة يعود العريس محمولا على الاعناق الى مدافن القبيلة. وما من مجتمع - قديم او حديث الا ويطلب من العريس ان يقيم الدليل على التكفل بعروسه بالنجاح فى سباق الحواجز والمصاعب لكن هناك دائما الشاب الذى يتطلع الى زواج خنفشارى الطابع نسبة الى بلاد خنفشاريا - اذ يحكى ان رجلا قال لصديقه تصور انك فى خنفشاريا تستطيع بثلاثة دنانير ان تتزوج وتشترى كيلو كباب وزجاجة شمبانيا ففكر صديقه لبرهة ثم قال.. على كده تبقى الشمبانية مغشوشة.

*****

ربنا يشفى

الاضطراب العقلى يجتاح العالم . والمجانين انتشروا فى كل مكان، ومعدل مرضى العقل وصل الى واحد من كل اربعة اشخاص فى دول الغرب .
وفى الغرب والشرق هناك ملايين يعانون من دورة الاكتئاب الثابتة بسبب الفشل فى الحب وهناك ملايين يعانون من دورة الاكتئاب الثابتة بسبب النجاح فى الحب الذى ينتهى بالزواج . فنتيجة الحب فى الحالتين سبب قوى للاكتئاب .

ولأن الانسان السوى اصبح فى ندرة الماس فقد نادوا فى بعض الدول بأن يكون من شروط ممارسة العمل العام او دخول المجالس النيابية اجراء اختبارات نفسية وعقلية لابد ان ينجح فيها المرشح للوظيفة او المجلس والاقتراح نافع ومفيد غير ان هذه الاختبارات فى رأيى - لو تم اجراؤها فقد يتعذر فى بعض البلاد ايجاد العدد المطلوب لتسيير أمور الدولة .

ثم ان تطبيق هذا الاقتراح سوف يجعل المرشح الذى سبق له دخول مستشفى الامراض العقلية فى وضع افضل . اذ سيكون معه شهادة رسمية بأنه عولج واصبح عاقلا . وبذلك تكون فرصة خريج مستشفى الامراض العقلية افضل من فرصة من لم يتم فحصه .

واذا اتيح لك ان تقلب فى برقيات وكالات الأنباء فسوف تكتشف ان الجنون اصبح سمة العصر .

ففى امريكا ـ مثلا ـ اختار عريس ان تكون منصة زفافه على سقالة متحركة خارج نوافذ ناطحة سحاب ضخمة اذ جلس الى جوار عروسه وهما مربوطان بالأحزمة بينما وقف المدعوون بباقات الزهور فى الشارع يتطلعون الى العروسين المعلقين فى الدور الثلاثين . ومن المؤكد ان هذا العريس ـ يثبت ـ بما لا يقبل الشك ـ ان الاقدام على الزواج لا يحتاج الى اى عقل .

وفى أمريكا ايضا اقيمت مسابقة لمن يضرب رقما قياسيا فى السعال ، وفاز فيها شاب ظل يكح لمدة اربع وعشرين ساعة متواصلة؟

والذى يقرأ صفحات الاعلانات الصغيرة فى الصحف الاميريكية او الانجليزية يستطيع ان يشعر بمدى ما وصل اليه العالم المعاصر من بذنجان .

هذا مثلا اعلان نشر فى صحيفة اقليمية بتكساس . نحن ندعوك الى زيارتنا لترى بنفسك كم هو مريح التابوت الذى ستنام فيه النومة الأبدية شعارنا الابتسامة وفى صحيفة بولاية اوريجون نشر هذا الاعلان الذى يستهين بذكاء الزبون ويعتبره غبيا :

لماذا تذهب الى مطعم اخر ليغشوك مادمت تستطيع ان تأتى الى مطعمنا؟ واذا كان علاج المجانين عند الاطباء العقليين والنفسيين . فلنحاول ان نستشف من الاعلان التالى مدى السلامة العقلية عند اطباء العقل والنفس : بعقد نادى الاطباء النفسيين اجتماعه الاسبوعى يوم الاربعاء الساعة الثالثة للتدريب على المواجهة بالمسدسات عند اللزوم .

وهذا الاعلان يرفض فيه المعلن الكشف عن اسمه .

انا مستر × عميل فى صالون حلاقة جونز سبونز ارجو منه الا يأكل الثوم قبل ان يحلق لى شعرى وان يكف عن احاديثه المملة اثناء الحلاقة .

وهناك اعلانات صغيرة كثيرة تتنوع فيها درجة الخلل العقلى .

سيدة فى السادسة والثمانين تطلب عملا لمحدثة لبقة .

انا س . ب . ف اعلن اننى تركت بيت الزوجية وسددت جميع الفواتير المطلوبة منى حتى الأحد الماضى واخذت معى السرير الذى أهدته لى أمى .

وفى نفس العمود .

انا مسز س . ب . ف أعلن ان زوجى هرب من البيت يوم الأحد الماضى وسرق السرير .

ثم هذا الاعلان

مقعد حب «لف سيت» لشخصين من نسيج الكانافاه للمقايضة بمقعدين منفصلين بعد ان اصبح مقعد الحب لا لزوم له .

ثم ادع الله ان يشفى ذلك الجنتلمان الذى نشر هذا الاعلان انا الجنتلمان الذى رفس السيدة فى المسرح وارجو منها ان تقبل اعتذارى .

فأنا مهذب جدا والدليل على ذلك اننى صعقت بعد ان رفستك ياسيدتى فلم استطع ان اقدم اعتذارى فى حينه وأرجو يا سيدتى ان تتأكدى اننى لست معتادا على الرفس واقسم اننى لم أرفس اى سيدة منذ أن انفصلت عن زوجتى .

*****

سيجارة من فضلك ..!

لم أهجر السيجارة لما قيل إنها تسبب الشيخوخة المبكرة، وكلام فارغ طبعا فالانسان يمكن ان يعيش فى شباب دائم مع السيجارة لو حرص على شيئين: ان يكذب فى سنة وان يصبغ شعره.

كذلك لم اهجر السيجارة انسياقا وراء حكاية سرطان الرئة فانني لا اتصور كيف يمكن ان تكون حياة الانسان لو انساق وراء كل ماقد يطلع به علينا العلماء من ان الأكل يسبب سرطان المعدة والمشى يسبب سرطان القدمين والشم يسبب سرطان الانف والحلاقة تسبب سرطان القفا.

بل ان تاريخ الرجل مع السيجارة ملىء بالتضحيات من أجلها فعند بداية انتشار التدخين كان المجتمع السويسري ينظر الى الرجل المدخن باعتباره فاسقا وغشاشا وخرب الذمة والا تقبل شهادته امام اى محكمة كالقرداتى ورغم ذلك رضى الرجل السويسرى بكل هذا الهوان فى سبيل السيجارة.

وفى بعض ولايات المانيا كان قطع الانف هو العقوبة التى تنتظر اى رجل يضبط متلبسا بالتدخين. ومع ذلك كان الالمانى الذى تم قطع انفه يعاود التدخين بمنتهى الاطمئنان لأن الانف الذى نص القانون على قطعه قد قطع فعلا.

وفى تركيا كانت عقوبة المدخن ان يشد وثاقه وفى حفل غير عائلى وغير بهيج يتجمع الناس للفرجة على ادخال الشوبك الذى يدخن فيه داخل انفـه حـتى يدمى ويعلن بأعلى صـوته على الملأ انه تاب عن التدخين.

وبينما جردت حكومة انجلترا حملات متواصلة على المدخنين. أصدر البابا فى الفاتيكان امرا كنسيا بتحريم التدخين.

وذهب هذا كله وبقيت السيجارة.

غير انى قررت ان اهجر التدخين تحديا لصديقى الجراح الشهير الذى كان قد أعلن بيننا اقلاعه عن التدخين واتهمنى اننى عاجز وضعيف امام السيجارة فرأيت أن اقدم الدليل على ان ارادتى فولاذية، وبعد اربع وعشرين ساعة من امتناعى عن التدخين شعرت ان فى داخل دماغى مدينة ملاهى: شىء يدور من اليسار الى اليمين وشىء يدور من اليمين الى اليسار وشىء نازل وشىء طالع ولم أعد اعرف ما يجرى داخل جسمى من عمليات كيمائية وفسيولوجية نتيجة الانقطاع الفجائى عن تدخين مائة وعشرين سيجارة فى اليوم.

وفى اليوم الثالث أحسست اننى مشتاق اليها وعندى لوعة وحالتى هباب وبدأت أتعرض للحظات رهيبة من الضعف شعرت معها ان المعركة بينى وبين السيجارة غير متكافئة، فان تأثير غيابها عنى يزداد عنفا فى نافوخى وجهازى العصبى وكيانى كله، بينما هى لا تشعر بى ولا يعنيها أمرى سواء اقتربت منها او ابتعدت وقلت لنفسى: يحسن بك ان تعترف انك أبله، فأنت اشبه بالعاشق المبتدىء الساذج الذى يتحدى غانية تمرست بتجارب الليالى.

كان غيرى اشطر!

فان مارك توين يقول ان الاقلاع عن التدخين مسألة سهلة جدا بدليل أنه اقلع عن التدخين عشرين مرة ان حواء تسببت فى طرد آدم من الجنة الى الدنيا ومع ذلك لم يحاول آدم الخلاص منها، والسيجارة تتسبب يوميا فى طرد آدم من الدنيا الى الآخرة ومع ذلك لم يحاول ايضا الخلاص منها.

وما أشبه السيجارة بحواء. نفس السحر الغامض والمثير الذى يصعب الخلاص منه وتعز مقاومته.

لكن رغبتى فى ان تكون ارادتى فولاذية امام صديقى الجراح الشهير جعلتنى أقاوم. وكنت ادعو الله ليل نهار الا تنجلى التجربة عن ان إرادتى من البسبوسة وليست من الفولاذ بينما الجراح الشهير كان يؤكد لى أن البسبوسة على شىء من الصلابة والتماسك ولا يصح ان اشبه بها ارادتى المهلبية!

وشملت توسلاتى الى الله ان أواصل التحدى وان أدحر صديقى الجراح الذى كان يبدو فى حالة بهجة دائمة رغم انقطاعه عن التدخين بينما أنا فى هم مقيم ومضت تسعة أيام ثقيلة عادت بعدها الابتسامة الى حياتى فى اليوم العاشر، فقد زال الكرب وحان لى ان اتيه وأزهو وسط الاصدقاء بقوة ارادتى وكيف قهرت السيجارة التى لا تقهر!

- ولا سيجارة؟

- ولا سيجار.

- بايب؟

- أبدا.

- استعضت عنها بالأرجيلة؟

- اطلاقا

وتلقينا ـ الجراح الشهير وأنا ـ تهانى الاصدقاء على هذا الانجاز الصحى الضخم الذى حققناه واصبحنا القدوة والنموذج العظيم لأهل الحكمة والارادة القوية.

وفى اليوم التاسع عشر التقيت فى أحد شوارع أثينا بصديقى الجراح الكبير، وكان فى يدكل منا سيجارة لم يفلح فى القائها بسرعة قبل ان يراه الآخر فطوال تلك الفترة وكل منا يدخن سرا من خلف ظهر الثانى فقد اكتشفنا أن الاقلاع عن التدخين له نهاية مريحة جدا هى العودة الى السيجارة!

لكننى هجرت السيجارة فعلا ليس بأمر الطبيب ولا بقوة الارادة، بل ببركة دعاء الوالدين.

وتلك قصة أخرى..

*****

.. وبركة دعاء الوالدين !

بعد عشر سنوات من المحاولة الأولى للاقلاع عن التدخين نجحت فى قهر السيجارة الى الابد! وتلقيت دعوات لا تحصى من المنتديات والجمعيات لاشرح كيف تحقق لى النصر فى تلك المعركة الشرسة وكيف صنعت ارادتى الحديدية المعجزة!

وكنت اعتذر محتجا بأن من الغرور وثقل الظل ان يتحدث انسان الى الناس عن ارادته الجبارة فى تحقيق هذه المعجزة .

والحقيقة التى لم افصح عنها اننى لم اقم بأى جهد، فلا هى معجزة ولا هى مذهلة، والمسألة كلها تعود الى بركة دعاء الوالدين، واكون كاذبا اذا ادعيت ان ارادتى فولاذية، وإننى قلت للسيجارة لا فكانت هى لا، ثم لكى تكون ارادتى فولاذية يجب ان تكون لى اولا ارادة استعملها، فالمتزوج عادة لا يعتمد على ارادته، بل ان الزوجة تتخذ كل القرارات لتريح ارادة زوجها من العمل وذلك من باب التعاون الزوجى، وقد تحقق للعديد من الازواج الاقلاع عن التدخين بفضل ارادة الزوجة التى ترى عادة ان مصاريف السجاير ينبغى ان تضاف الى مصروف يدها .

غير ان زوجتى لم تمارس اى ضغط والحق يقال، والحكاية اننى اصبت بنزلة برد حادة منذ سبع سنوات ورأى الطبيب ان استنشق بخار الجاوى لتنشيط التنفس، ولم اكن اعرف ان بخار الجاوى هذا له رائحة فاقعة

تعذب كثيرا كثيرا ، وادهشني اكثر ان هتلر لم يستخدمه في غرف التعذيب ، فما لبثت اعصاب الشم عندى ان اختلت ، أو ان رائحة الجاوى التصقت بهذه الاعصاب ، فأى رائحة اشمها تترجمها مراكز الشم في المخ الى جاوى ، والسيجارة جاوى والبنزين جاوى والزبالة جاوى ، والكلونيا جاوى ، وتراجعت مشكلة السيجارة وبرزت مشكل انفى ، إذ اصابني الجاوى بما يشبه عمى الشم ، وانتهزت زوجتي الفرصة وأخرجت زجاجة عطرها المفضل ، وهو عطر يسبب لي صداعا رهيبا بمجرد شمه ، والسبب حساسية وليس ثمن العطر .

وقد استدعى ذلك العمى الشمى الذى طال امده ان اتردد على طبيب انف واذن وحنجرة فكان يغمض عيني ويمرر بقطنة صبغة يود تحت انفى ثم يسألني ماذا تشم ، فأقول له هذه رائحة جوافة ، ثم تحسنت واصبحت أميز ـ بشيء من الجهد ـ رائحة الورد البلدى من السمك المشوى .

ولولا بخار الجاوى لما تهيأت لى ابدا فرصة الاقلاع عن التدخين ، فلقد أصبحت نصائح الاقلاع عن التدخين تجارة رابحة اذ هناك كتب لا حصر لها مثل اطفيء سيجارتك الآن وداعا للسيجارة . . الى الآخرة ، وهى كتب حققت الغرض منها فملأت جيوب مؤلفيها بفلوس المدخنين الذين لم يقلعوا عن السيجارة وفى أمريكا رأيت معاهد ترويض المدخن على فرق السيجارة حتى يقلع عن التدخين خلال اسبوع واحد مقابل خمسمائة دولار ، وهى فعلا تشفيك من السيجارة خلال اسبوع لكنك ستعود الى السيجارة فى لحظة انفعال ندما وحزنا على الخمسمائة دولار .

ولا أظن ان هناك طريقة علمية مؤكدة للاقلاع عن التدخين او الاقلاع عن حب شخص ما ، فالسيجارة مثل المرأة المعشوقة التى استولت على

كيـان رجل واصبح هواها فى دمه وهو فى تمرده على اذلالها له يلجأ للاخرين طلبا للرأى والمشورة، متمنيا ان يشيروا عليه بما يوافق هواه وغرامه بها، فالعاشق الذى يستشير الآخرين ينفذ غالبا ما يريده هو : ما أحلى الرجوع اليها. بينما العاشق الذى ينوى حقا التحرر من حب لا يستشير أحدا، بل يفعلها فى صمت واصرار فطلب النصيحة هو مجرد «مماطلة» او تماحيك والذين يقدمون النصائح فى كتب الاقلاع عن التدخين يشبهون تماما الرجل الذى وقف مع مساعده فى الشارع يبيعان الدواء العجيب الذى يطيل العمر حتى ٤٠٠ سنة، ويزعم البائع للواقفين حول انه شخصيا بلغ من العمر ٣٦٠ سنة بفضل تعاطيه الدواء العجيب الذى يبيعه فلما سألوا مساعده هل صحيح أن البائع عمره ٣٦٠ سنة؟ أجاب قائلا بأنه لا يعرف لأنه يعمل مساعدا له منذ ١٥٠ سنة فقط.

*****

أهل الرجيم .. !

ما أن أقلعت عن التدخين حتى قفز وزنى فى أمد قصير من سبعين كيلوجراما الى ثلاثة وثمانين كيلوجراما، فنصحونى بالذهاب الى اخصائى فى علاج السمنة امتدحوه كثيرا. وعندما رأيت ذلك الطبيب الكبير ارتفعت معنوياتى، فقد كان كبيرا فعلا يزن حوالى ١٤٠ كيلو وبدوت غزالا رشيقا بالنسبة الى حجمه لكنى علمت ان اطباء علاج السمنة ليسوا جميعا على هذه الصورة، فالكثير منهم يزن ١٢٠ كيلوجراما فقط.

كان الطبيب يتنفس بصعوبة من فرط ما يحمل صدره من شحم ولحم وهو يحذرنى من ان السمنة معناها تصلب الشرايين والسكر وحصوة المرارة وتعب عضلة القلب، وما ان نطق الطبيب بهذه الكلمات حتى لهث من المجهود الذى بذله فى نطقها، وجلس يلتقط انفاسه، ثم كتب الطبيب لى رجيما قاسيا لابد ان اتبعه وعرفت ان الرجيم القاسى لا يضايقك أبدا اذا كنت انت الطبيب الذى تكتبه للآخرين كان الرجيم مجرد خضراوات مسلوقة، لكنه اتاح لى الحرية فى الاختيار ابتداء من الفاصوليا حتى البرسيم.

فى الحديث عن الاتعاب قال لى الطبيب ان كل كيلو انقصه سوف ادفع مقابله ٢٠ جنيها وكل كيلو ازيده عن الوزن الذى جئت به للطبيب

سوف ادفع عليه ٢٥ جنيها وثبت لى بذلك ان لحمى اغلى من البتلو ونصحنى الموسيقار الكبير الامبراطور عبدالوهاب ان استعمل قوة الارادة ولا ألجأ الى طبيب . ودعانى الى ان أجرب أكل الرجيم الخاص به واستأثر هو بالفرخة المسلوقة ، أما طعام الرجيم الذى دعانى إلى أن أجرب قوة إرادتى فيه فالطبق الأول منه لم أتبين هويته هل هو أرز كلا ليس أرزا . لحم مفروم؟ اللحم المفروم لونه معروف وطعمه ايضا هل هو شوفان او كويكر او تس؟ ابدا .

– ما هذا يا امبراطور؟

– قال الامبراطور : كل . . كل هذا شيء مفيد جدا

مضيت آكل ذلك الشيء حتى استقر رأيي على انه نشارة خشب وهذا يبدو واضحا فكرت ان اضع عليها كتشب لكن الاستاذ عبدالوهاب قال ان الكتشب لا يتمشى مع الرجيم وعاد يقول : كل . . كل بالهنا والشفا بينما كان الاستاذ عبدالوهاب منهمكا فى الفرخة المسلوقة كنت احاول ابتلاع نشارة الخشب بصعوبة بالغة ممكن يكون لها طعم آخر لو رششت عليها «مية طرشى» ناديت السفرجى : هل أجد عندك مية طرشى؟ ارتفع صوت عبدالواهاب مستنكرا : أعوذ بالله . مية طرشى ؟؟؟ اقترح الأستاذ عبد الوهاب أن أعصر على هذا الشيء الذى آكله ليمونة، عصرت ليمونتين . لكن النشارة وقفت فى حلقى .

كدت اقول له ادينى حتة من فرختك وخلصنى وكأنما أحس بنواياى فبادر يقول للسفرجى : هات له الكفتة . أكلت من الكفتة واحدة ثم اثنتين . انها بلا طعم ولا رائحة معقول هذه كفتة؟؟

سألنى الاستاذ عبدالوهاب : لذيذة . . مش كدة؟؟

لم أملك إلا أن أقول : جدا . فأمر السفرجى بأن يعد لى ربطة من الكفتة آخذها معى لتكون وجبة العشاء . وقد رحبت بذلك أملا فى معرفة اصل هذه المادة التى آكلها والتى ليس لها بالكفتة أية صلة . غير ان قريبى الكيميائى رفض ان يحللها مكتفيا بأنه واضح جدا من طعمها نها قش مضغوط .

تعلمت من الاستاذ عبدالوهاب الدرس الأول فى قوة الارادة . فهو يستمتع برائحة الطعام المسبك دون ان يأكله . . يميل على دقية البامية ويستنشق رائحتها مبهورا ثم يأكل الخضار المغلى .

ولكى أثبت لنفسى قوة الارادة وضعت امامى على المائدة فى البيت فتة بالخل والتوم ، والى جواره طبق الخضار المغلى الذى سأتناوله وبدأت انشق رائحة الفتة ، شعرت فى النهاية بالراحة بعد الصراع فقد أكلت طبق الفتة .

وأدركت كم هو بائس الانسان الذى على رجيم فى بلادنا فهو يتعرض لحرب كيماويةرهيبة تتمثل فى استنشاق تقلية الملوخية أو فتة بالخل والتوم ، وهى غازات تدمر مراكز الرجيم فى المخ وتحدث شللا فى عصب الارادة فينهار الانسان . مع ملاحظة ان هذه الغازات عديمة التأثير على الانسان الاوروبى ومن هنا جاء القوام رشيقا فى النساء والرجال . . ذهبت الى الطبيب بعد اسبوع ، فوجدت الطبيب قد زاد خمسة كيلوجرامات ! .

هل يمكن احترام الرجيم فى بلادنا ونحن نحفل بالأكل على هذه الصورة فجعلنا منه مظهرا للاحتفال بالمناسبات واعتبرنا الأكل رمزا للصفاء والمودة فحلفنا وحياة العيش والملح، وحتى اغانينا حشوناها بكل ألوان الطعام ابتداء من أكلها جبنة وزيتون وتعشيني بطاطا الى: وانشا الله آكل أنا عيش حاف..

ذهبت الى الطبيب فى الأسبوع التالى وأنا اعرف اننى قد زدت كيلو، لكننى لم أجد الطبيب، فقد نقلوه الى مصحة فى الخارج للتخسيس. وعرفت انهم حبسوه فى غرفة حتى لا يصل اليه اى طعام وبات يعيش على الماء فقط وساءت حالته النفسية تمام، وبدأ اصدقاؤه يرسلون اليه الزهور والورود ليبثوا فيه روح التفاؤل والأمل، وتحسنت حالته بتوالى ارسال الزهور، وتبين انه كان يأكلها.

بعد شهور نقص وزنى كيلو وراء كيلو دون طبيب ولا رجيم، فقد اكتشفت طريقة تسم البدن: الجلوس امام التليفزيون.

*****

من الخشب إلى الذهب وبالعكس !

يحتفل الانسان بعيد زواجه الفضى بعد خمس وعشرين سنة، وبالعيد الذهبى بعد خمسين سنة، وعندما يحل العيد الماسى يكون كل من الزوجين قد حمل غالبا لقب المرحوم، اى رحم الله كل منهما من الآخر !

وفى اثناء زيارة للولايات المتحدة اكتشفت ان هناك عيدا للزواج كل سنة من السنة الأولى حتى العاشرة واسماؤها بالترتيب . . العيد الورقى، العيد القطنى، العيد الجلدى، العيد الكتانى، العيد الخشبى، العيد الحديدى، العيد الصوفى، العيد البرونزى، العيد الخزفى والعيد القصديرى، ثم يحتفلون بالعيد كل خمس سنوات بعد ذلك، ففى السنة الخامسة عشرة العيد البللورى . وفى العشرين العيد الصينى وفى الخامسة والعشرين الفضى وفى الثلاثين العيد اللؤلئى، وفى الخامسة والثلاثين العيد المرجانى، وفى الأربعين الياقوتى نسبة إلى الياقوت الأزرق، وفى الخامسة والأربعين السفيرى، نسبة الى الياقوت الأزرق. وفى الخمسين الذهبى، وفى الخامسة والخمسين الزمردى، ومن الستين الى الخامسة والسبعين الماسى !

والحقيقة ان اسماء هذه الأعياد ـ وبالذات من الأول الى العاشر ـ حيرتنى كثيرا فى البداية، ثم بعد امعان وجدتها تفسر نفسها بنفسها،

فلا شك أن العيد الورقى فى السنة الأولى هو عيد توقيع تلك الأوراق التى يتم بها تحديد اقامة الطرفين فى مكان واحد، وليس من المحتمل - كما قد يفسر البعض - ان الرجل بعد تجربة سنة زواج يرسل اليها ورقتها فى العيد الورقى.

واستبعد ان يكون العيد القطنى - فى السنة الثانية - له صلة بالقطن الطبى الذى يستعمل لتطبيب الجروح اثر الاشتباكات القتالية فى البيت، فالوقت مبكر لمثل هذه المعارك الدموية.

أما عن السنة الثالثة - العيد الجلدى - فمن المرجح ان الانسان المتزوج تحدث له فى تلك السنة تغيرات جلدية فيبدأ الغلاف الخارجى للوجه فى اتخاذ فورمة الزواج كالبوز الضارب والشفاه الممطوطة فى اشمئناط وتكشيرة الجبهة . . الى اخره.

ومن المؤكد ان العيد الخشبى وثيق الصلة باستعمال المنتجات الخشبية للدفاع عن النفس كالعصا والقبقاب الحريمى ذى الفيونكة. يؤيد ذلك ان العام الذى يليه هو العام الحديدى، اذ نرى هنا تطورا من الخشب الى الحديد حيث يحتاج الحديد فى هذه المرحلة الى رخصة سلاح.

وفى العام السابع يتبدد غالبا دفء الزواج ويبدأ الرجل فى الاعتماد على الحلول الذاتية للتدفئة كلبس الصوف، ذلك هو العيد الصوفى، واذا كان العيد العاشر هو العيد القصديرى اى الصفيحى فلا شك ان صمود الاثنين فى المعارك الطاحنة بينهما حتى العام الخامس والعشرين هو عيد فضى يستوجب الاحتفال بنجاة كل منهما من يد الآخر.

ولأن الانسان ميال الى خداع نفسه، فأنه يتعمد احيانا الا يسمى الاشياء باسمائها فالتسمية المنطقية التى ينبغى ان تطلق على كل عيد زواج هى ان يقال مثلا فى العيد الثامن، الذكرى السنوية الثامنة للحب طيب الله ثراه!

*****

الكرسى الكهربائى

زارنى شاب من اقربائى يرجونى ان اقنع عروسه بأن تتخلى عن التقاليد البالية فى اقامة الفرح مع استعداده لوضع نفقات الفرح رصيدا باسمها فى البنك .

ثم سألنى بالله عليك ما معنى أن أمشى فى زفة ومن حولى الراقصات وما معنى ان أجلس فى كوشة محاطة بالورود ، وما معنى هذه الكوشة نفسها .

وسرحت بخواطرى : حقا ما معنى هذه الكوشة؟ أنها ليست الا قفصا للفرجة عليك ياولدى وكأنك فى حديقة حيوان وهى قفص لا ينقصه غير لافتة مكتوب عليها هذا العريس موطنه المكان الفلانى . تم صيده يوم كذا ـ ويتم ابتداء من الليلة استئناسه ليصبح اليفا .

ولم أقل لقريبى العريس ان عنده حقا فيما يسعى اليه . فالهدف من الفرح هو تحقيق ركن العلانية فى الزواج ليعرف الكافة فى كل مكان . ان فلانا قد تزوج من فلانة . ولو اننا استبعدنا الفرح فسوف يتحقق ركن العلانية ايضا ويعرف الناس ان فلانا قد تزوج فلانة عندما يسمعون الزعيق الذى يصدر عن الشقة بعد شهر العسل .

لذلك يمكن الاستغناء عن الفرح بنشر صورة العروسين وكل منهما يسقى الآخر الشربات من كأسه وهذا يرمز الى ان كلا منهما سيسقى

الآخر من كأس الزواج هل هذا الشاب جاد فى ثورته على التقاليد البالية التى تبدد المال بلا مقتض على الافراح والليالى الملاح حتى ولو كان كذلك . . لماذا لا يضحى ويسعد خطيبته بالفرح والجلوس فى الكوشة ويسعد معه الآخرين ايضا .

ان التطلع الى عروسين يجلسان فى الكوشة امر يسعد كل امرأة ويذكرها بليلة العمر ، ويسعد الأمهات والآباء وهم يتمثلون ابناءهم وبناتهم فى تطلعاتهم الى العروسين ، كما ان بعض المدعوين من المجربين والحكماء يجدون متعة فى التطلع بكثير من الحيرة والدهشة الى رجل يتزوج طواعية .

والأرجح - قلت لنفسى - ان المسألة ليست مسألة تقاليد يحاول العريس ان يقاومها فلعله يخشى الجلوس فى كوشة الزفاف تجنبا للمشاعر والافكار التى انتابت عرسانا من قبله فغافلوا العروس وهربوا من الكوشة وكتبت لهم حياة جديدة .

ولعل هذا هو الهدف الرئيسى الذى كان ينشده مخترع الكوشة . الذى يهرب منها لا يصلح للزواج والذى يصمد فيها هو الزوج الصالح . فالعرسان فى الدنيا كلها يتعرضون بشكل أو بآخر لعمليات اختبار قاسية تمتحن خشونتهم ومدى تحملهم للمسئولية بأعصاب هادئة متزنة . ففى شبه القارة الهندية مثلا مجتمعات تحرص على شتم العريس بالفاظ مقذعة وهو يواجه هذا كله بالابتسام للتدليل على ان اعصابه قوية ومؤهلة لاخطار الزواج وفى جزيرة بالى يخطف العريس عروسه بشكل رومانسى وينتهى به الأمر غالبا بنقل العريس الى عنبر الكسور . وفى

مجتمعات افريقية يضربون العريس بالسهام غير السامة حتى يخرجوا الشيطان من جسمه ويصبح ابن حلال . وفى مجتمعات اخرى يطلقون على العريس اسدا او فهدا لاختبار قوة احتماله . وكثيرا ما يحتفلون بهذا العريس بعد ذلك احتفالا مهيبا فى مدافن الأسرة .

*****

شواربه !

كان الرجل زمان يوصف بأنه له شوارب يقف عليها الصقر.

وعندما اكتشفت المرأة ان الارنب له شوارب ايضا لم تعد تخاف شوارب الرجل فواجهته بالساطور والسكين وذبحته ذبح الارنب، ومنذ ان ظهر الشنب تحت انف الرجل وهو مشكلة. فعندما طال شارب الانسان البدائى اكثر مما ينبغى كان هذا الشارب اسهل واقرب موضع تجره منه المرأة ساعة الخناق، وتلا ذلك عصور استنكرت فيها مجتمعات ظهور الشارب فى وجه الرجل واعتبرته من علامات البلاهة والشذوذ العقلى مثل تأليف المسلسلات وحتمت مجتمعات اخرى ازالته بقوة القانون. واعتبر الرومان ظهور الشارب بدون لحية عند الفرنسيين من سمات الهمجية والتخلف. وعندما انتشر الشارب المبروم بالكوزماتيك فى العصور الحديثة كان ذلك بقصد اتخاذ مظهر سبع البرمية وارهاب المرأة تقليدا للولاة والحكام العثمانيين الذين كانوا يرهبون الناس بالشوارب البريمة التى يقف فوقها الصقر.

وقد ثبت ان الرجال لا يملكون من أمر شواربهم شيئا. فما وجد شارب فى وجه رجل الا برضا امرأة ولا ازيل شارب الا برغبة امرأة ففى انجلترا كان هناك قانون سائد منذ العصور الوسطى حتى القرن الماضى يمنع اطلاق الشوارب، فلما احبت الملكة فيكتوريا الامير البرت بشاربه

الاشقر المسبسب صدر قانون يمنع العسكريين فى الجيش الانجليزى من حلق شواربهم اكراما لشنب المحبوب .

ورغم استنكار الرومان للشارب الا ان كليو باترا لو كانت قد طلبت من انطونيو اطلاق شاربه لاستجاب على الفور، لكن الملاحظ ان كل مشاهير العشاق فى التاريخ بدون شارب مثل انطونيو فالنتينو وكازانوفا وروميو ودوق وندسور، غير ان النساء اذواق ومذاهب فهناك امرأة مصابة بهوس النظافة وترى ان الشارب يجب ازالته والقاؤه فى الزبالة . وأخرى فيها ذكاء ترى الابقاء على شارب زوجها حتى يتوهم انه سبع البرمبة وسى السيد صاحب الأمر والنهى .

اما بعيدا عن الجنس الآخر . فأن اطلاق الشارب او ازالته تعتبر مسألة ذوق واستحسان فهناك انسان يتصور ان تناسق ملامحه لا يكتمل الا بالشارب بينما يرى انسان اخر وجوب ازالته خصوصا اذا كان هذا الانسان ست .

*****

ساطوريات !

لا اظن ان النسـاء اللاتى يقـتلن ازواجـهن ذبحـا يشكلن ظاهرة تثير القلق فلا تزال المرأة هى المرأة التى عـرفـهـا الرجل : العـاطفـة والدفء ومنتـهى النعـومة والبـسـمـة الحلوة وهى تجلس امـامـه الى المائدة وهو يتناول الكفتة التى دست له فيها السم .

والرجل ينفرد بجريمة اشد بشاعة من الدبح بالساطور وهى جريمة الاغتصاب التى لا ترتكبها المرأة ابدا .

كذلك هناك جـريمة ارتكبها شـاب يابانى اذ أحب طالبة هـولندية ثم ذحبها وأكلها ونحن حتى الآن لم نسـمع عن امرأة اكلت رجـلا . فكل النساء والحمد لله من هذه الناحية نباتيات .

ويدل استقراء الاحـصائيات ان الجريمة النسائية تمثل اقل من ٣٪ من مـجمـوع الجرائم فالعـاطفـة هى المحرك الأول للجريمـة عند المرأة إذ ان الجرائم النسائية التى تتصدر الاحصائيات شهادة الزور من أجل حبيبها والقتل بالسم غيرة وانتقاما وخطف الأطفال لتشبع أمومة حرمت منها علمـا بأن الأطفـال الذين تخطفـهم النسـاء بينهم دائمـا عـدد كـبـيـر من الرجال!

ان علينا ان نبحث بكثير من الانصاف عن الاسباب التى تدفع امرأة رقـيقـة على التـحـول الى جزارة تذبح الرجل وتقـسم لحـمه الى بفتـيك

واسكالوب وفيليه والسبب الأول فى رأيى ان الرجل يعتبر البيت مكان راحة واسترخاء بينما الزوجة تعتبره مكان عمل . وقد أدى خروج المرأة الى العمل الى انها اصبحت تعمل ورديتين متعاقبتين خارج البيت ثم داخل البيت مما يشكل ضغطا عنيفا على جهازها العصبى وقد بات واجبا على الرجل اثناء وجـوده فى البـيت ان يتـخلى عن ارتداء مـلابس الاسترخاء التى تريحه وان يرتدى الملابس التى تريح زوجته وهى مريلة المطبخ .

والسبب الثانى أن الزوجة مع هذه الضغوط العصبية لا تجد من جانب الزوج همسة الحب أو لمسة الحنان وقد اعتادت هذا الجفاف العاطفى لدرجة أن صديقا دخل البيت وقبل زوجته واقترح عليها أن يقضيا الأمسية فى مطعم ثم قبل يدها وربت عليها ، فانسحبت بهدوء ودخلت الغرفة تطلب أمها فى التليفون وهى تبكى : ماما . . محمود اتجنن . .

والسبب الثالث أن الزوجة التى تقوم برعاية الأولاد والطهو والنظافة وادارة البيت تقوم أيضا فى وقت فراغها بمهام ثقيلة وهى تسلية الزوج والحديث من طرف واحد الى شخص نكدى وغير مسل بالمرة ، الأمر الذى يفضى بها فى النهاية الى أن تتصرف بحماقة ، أو تقلد تلك الزوجة التى غاب زوجها فأبلغت أوصافه الى الشرطة بأنه طويل القامة كثيف الشعر بينما هو قصير وأصلع حتى لا يعثروا عليه .

*****

قرء يقر !

تعيب على بعضهن أننى أسخر من الزواج .

وليس صحيحا اننى اضحك أو أسخر من الزواج ، المسألة هى أننى اعتدت ان ابتسم امام الكوارث ، فللزواج سبع فوائد ، وأهم ميزاته الاستقرار ، وهو يوصف بهذه الصفة بالذات لأسباب كثيرة أهمها :

أولا : أن كلا من الطرفين يستقر نفسيا بعد اختيار شريك الحياة بشكل نهائى ، ويبدأ كل منهما مرحلة التفكير بهدوء ليحصى أخطاء هذا الاختيار .

ثانيا : ان كلا من الطرفين يستقر على رأى لابديل له وهو أن يؤهل نفسه لمعاشرة انسان من الصعب التكيف معه بسهولة بعد اكتشاف حقائق جديدة كانت خافية أيام الغرام والتنهدات .

ثالثا : لأن كلا منهما يستقر على ترويض نفسه للتعايش مع الآخر راضيا بتقديم التنازلات . وغالبا ما يلتقيان فى كل النقاط ، وقد لا يلتقيان إلا فى نقطة واحدة هى نقطة الشرطة .

رابعا : الفعل «قر» تعتبر مشتقاته قوية الصلة بالزواج ، ومنها استقر الرجل استقرارا أى انتهى به المطاف لاهثا فى مقر الزوجية بعد أن ظل يطاردها حتى أوقعت به . وزمان كانت صورة زفاف جدى تظهر فيها

جدتى واقفة والعريس جدى جالسا تعبيرا عن أنه «سى السيد» الذى تقف له هى احتراما فى حضوره وقد تغير هذا المفهوم تماما فأصبحت صورة الزفاف تمثلهما وهما جالسان معا فى الكوشة تعبيرا عن أنه جلس ليستريح بعد الجرى وراءها. بينما هى جالسة تستجمع أنفاسها لتجرى وراءه فى البيت.

خامسا: الفعل «قر» كما جاء فى قاموس مختار الصحاح- اشتق منه أيضا قرقر، يقرقر، قرقرة. والقرقرة تحدث عندما يواجه الزوج موقفا عسيرا امام الزوجة، فالقرقرة- لغة- هى صوت كركبة البطن عند حدوث الخوف.

سادسا: ومن الفعل «قر» يقال فى شهر العسل: فلان قر عينا بعروسه، وفلانة قرت عينا بعريسها فكل منهما قرير العين أى بارد العين، لأن العرب كانوا يقولون أن للحزن دمعة حارة وللسعادة دمعة باردة، أما بعد أيام العسل فلا يقال أن كلا منهما قر عينا بالآخر بل يقال طلعت عينه من الآخر.

*****

رقابة عليك !!

أقابل من وقت لآخر فنانين تتعثر أعمالهم فى الرقابة، فهذا يشكو من تعنت مدام فلانة وهذا يحكى عن تزمت مدام علانة، فكل الرقابة ستات!

ورغم الشكوى المستمرة من الرقيبات إلا أننى أؤمن بأن هناك وظيفتين لا تصلح لهما إلا المرأة مأمور الضرائب والرقيب على المصنفات الفنية!

عن مأمور الضرائب مثلا يمكن القول بأن أحدا لا يستطيع أن يحاسب الرجل حسابا دقيقا ومضنيا إلا المرأة ويمكن التأكد من ذلك بمراجعة إحصائيات حوادث الضرب الذى أفضى الى موت! وعن الرقيب، فتلك هى وظيفة المرأة: رقيبة طول العمر، فهى الأم التى نبدأ معها رحلة الحياة بـ عيب يا ولد. ما تعليش صوتك. نزل رجلك من على الكرسى. امضغ الأكل وبقك مقفول. تاكل العيش بس.. المسمار اللى فيه لا.

والأم أيضا هى التى تعاقبنا أطفالا إذا خرجنا عن النص وعملناها فى الفراش. هذه الرقابة هى التى تضع أسس سلوكياتنا السوية فى الطفولة. ثم لا نلبث أن نشب عن الطوق لتتحول المرأة الى رقيبة من نوع آخر، فهى هنا تأخذ دور بنت الجيران وتضيف الى سلوكنا الطيب. النظافة وحسن الهندام والحرص على «المواعيد»!

ثم وهى مخطوبة تبدأ دورا رقابيا جديدا بالحذف والاضافة .

بالحذف مثلا : ياريت تقلل السجاير . باكره ريحة الخمرة . اذا كنت بتحبنى صحيح احلق شنبك ، وبالاضافة مثلا : اذا كنت بتحبنى صحيح تربى شنبك !

وما أن تدخل المرأة المرحلة الزوجية حتى تتعاظم سلطاتها الرقابية لتشمل كل شيء ابتداء من اختيار البدلة والقميص وربطة العنق . الى الكلام الذى يمكن أن يقوله- وسط الناس والزيارات والذى لا يصح أن يقوله : مستخدمة فى ذلك نظرات العينين وضرب رجله من تحت مائدة الطعام حتى يخرس .

وفى عصر انفلات السلوك نحن فى أشد الحاجة الى المرأة فى جهاز الرقابة ، فهى تتمتع بحساسية مرهفة وغير عادية بالنسبة لأى مؤثر يخدش الذوق والحياء أو فيه شبهة خروج عن الآداب ، ولهذا السبب ، فإن وجود امرأة فى مكان به رجل يدفع الرجل دائما الى الحرص على الفاظه وتصرفاته ، إلا إذا كان هذا الرجل زوجها .

*****

بنت الزمار

أخيرا عرض تليفزيون القاهرة فيلم كليوباترا، وهو ليس الفيلم الوحيد الذى تنتجه هوليود عن ملكة الخلاعة فى التاريخ!

والسينما الامريكية تحتفل كثيرا بالتاريخ الفرعونى فقدمت انتاجا ضخما متميزا لأفلام عديدة مثل المصرى وبن هور والوصايا العشر وغيرها. بينما نحن نشكر السينما عندنا لأنها لم تقدم أى انتاج تاريخى فرعونى، فهذا يحفظ لتاريخ الفراعنة عظمته وجلاله، إذ لو كنا انتجنا أفلاما عن العصر الفرعونى لكانت هذه الأفلام من عينة: خوفو وتى تى الغازية- حنطينى يا حبيبتى- حب ولعب وجعة- حرامى المسلة- خنفرو ملك الكراتيه.

ومع ذلك فالسينما عندنا- والحق يقال- لم تتجاهل تخليد قديمات المصريات فقدمت مشكورة أفلاما كبرى عن زوبة الكلوباتية وعزيزة شخاليل وتفيدة استك!

ولست أدرى سر الاهتمام البالغ بالسيدة كليوباترا رغم أنها لا تمت لمصر بصلة، فهى يونانية لحما ودما واسما أيضا إذ معنى اسمها باليونانية سيدة الجميع أو ست الكل.

وكليوباترا هى بنت بطليموس الزمار الذى كان يقضى وقته فى عزف الناى، وقد حظيت- عن طريق ملفها فى مكتب الآداب- بشهرة تاريخية

طغت على شهرة جميع ملوك البطالمة والست «كليوباترات» اللاتى قبلها إذ أن لقبها الرسمى فى الحكم كليوباترا السابعة.

بل أنها تفوقت على شهرة ملكات مصريات فاضلات كان لهن اسمى قدر ومكانة عند المصريين مثل تى ونفرتيتى وحتشبسوت، ولقد أسرفنا فى الاحتفال بهذه الغانية فأطلقنا اسمها على حى كليوباترا بالاسكندرية، وكليوباترا المحطة، وكليوباترا البلاج، وكليوباترا سوبر كينج سايز وكليوباترا عبدالوهاب.

ويقول عبدالوهاب فى أنشودة كليوباترا: هذه فاتنة الدنيا وحسناء الزمان.. هل حقا كانت فاتنة؟؟ ان التمثال النصفى الذى عثر عليه الأثريون بعد عهدها بأكثر من ألف عام يكشف بوضوح أن جمالها لم يكن باهرا أو غير عادى، كذلك صورتها - لبروفيل - على العملة التى صكت فى عهدها تقرر نفس الحقيقة. ويقول بلوتارك أقرب المؤرخين الى عصرها أنها كانت ذات وجه عادى يميزه أنف أقنى وشفاه رقيقة. إلا أن صوتها كان أنثويا مؤثرا، استطاع ان يضفى على حديثها سحرا خاصا، وقد كانت ممثلة بطبيعتها ولعل تسللها الى قصر قيصر ملفوفة بسجادة يوضح لنا ميلها الشديد الى التمثيل والاخراج أيضا. ويؤكد ذلك أن تاريخها مع المصريين كله محن وآلام مما دفعهم الى ثورات متكررة فى وجهها حتى فرت ذات مرة مستخدمة مواهبها فى التمثيل، فتخفت وتنكرت وسط بدو الصحراء، يساعدها على التمثيل اتقانها ست لغات ولهجات المصريين فى البادية والحضر!

لكن الفن لا يذكر لنا شيئا من نضال المصريين ضد حكمها واكتفى بأن يرسم لها صورة رومانسية أخاذة تخالف حقيقتها تماما. إذ يقول المؤرخ

بلوتارك أنهـا- فى جلستهـا الخاصـة- كـانت سـوقية الألفـاظ و«معلمة» وتتبـادل مع انطونيو النكت البذيئة! غير أن الفن له قوة اقناع أخرى. فصور لنا كليوباترا مجسدة فى اليزابيث تايلور، وصور لنا قيس بن الملوح فى صورة محمد عبدالوهاب يغنى ليلى بجانبى مع أن قيس الحقيقى مضت عليه السنون فى الصحراء دون أن تمتد اليه يد حلاق تغير من شكله «الهيبيز» أو صابونة تغير من رائحته!

*****

كهارب الحب !

أحبك بجنون .

– وأنا أقدرك كصديق .

– لاتحدثينى عن صداقة . انى اعشقك .

– الصداقة أجمل صدقنى .

هذا الحوار يتكرر يوميا فى كل أنحاء الدنيا : انه ينظر اليها فى الاتجاه العاطفى المخالف تماما لما تطلبه هى ، وهى تطلب الصداقة بينما هو العشق ، ولا حل !

لكن اذا صح ما قيل من أن الحب موجات كهربية بين اثنين ، فإن الأمل الوحيد للعاشق التعس الذى يحب من طرف واحد هو التوصل الى حل مشكلة الاحساس علميا . فقد يكتشف العلم سر التنافر أو التجاذب بين رجل وامرأة بتجاذب أو تنافر الكهارب فى المخين . فالمخ– اذا ثبت أن بؤرة كل احساس– تتحكم فيه الكهارب ، ولو تمكن العلم من تعديل هذه الكهارب ، فهذا هو العصر الذهبى للعشاق ، إذ قد يشهد المستقبل رجلا قاموا بتركيب علبة بلاستيك على قفاه تحوى جهازا لتوفيق كهارب مخه مع كهارب مخ المحبوبة ، تماما كتوافق جهازى ارسال واستقبال على موجة واحدة .

وربما رأينا فى المستقبل فتاة خطبوا لها شابا لا تشعر نحوه بأية عاطفة لكنه ناجح وينتظره مستقبل لامع . وهنا يتبادل الاثنان التفاهم حول مخ

كل منهما والقياسات العلمية لارسال المخ بالكيلو سيكل والكيلو هرتز وما إذا كان مخه «ميديام» أو اف . ام.

وسـوف يسـتنتج ذلك وجـود أطبـاء تزخـر لافـتـاتهم بمخـتلف التخصصات : أخصائى فى توفيق الكهارب- دكتوراة فى المخ اف . ام- اخصائى فى تقويم الموجات الغرامية . وفى عيادة هؤلاء الأطباء سوف نرى فتاة تنفر من شاب، ثم لا نلبث أن نرى نفورها قد تحول الى تنهدات حالمة لا لشىء إلا لأن الطبيب وضع بينها وبين الشاب جهاز ترانسفورمر أو محول كهربائى يحيل النفور الى شوق وحنين.

و،لو تم هذا الانجاز فسوف تصبح بيوت المستقبل كلها سعادة وهناء مع تطوير الترانسفورمر ليوجد فى كل بيت مع لوحة عداد النور حيث يقوم بارسال تياراته لينشر التفاهم والحب بين امخاخ البيت. لكن لن يخلو الأمر من خناق ينشب فجأة فى البيت وذلك للسبب الأزلى فى بلادنا: انقطاع التيار!

ولاشك ان كهارب المخ وكيماويات الجسم تتدخل لتحكم تصرفات الحب التى تختلف عن تصرفات الزواج . ففى الحب مثلا تنشط الكهارب فى مركز الاعلام بمخ الرجل فيقول لها كل دقيقة انها جميلة وانه يحبها بينما فى الزواج تقل كهارب مركز الاعلام عند الرجل وتنمحى منه كلمة احبك!

وفى الحب تتعطل مراكز الادراك فى المخ فلا يعرف كل من الطرفين السبب الذى يحب من أجله الآخر بينما فى الزواج تعمل مراكز الادراك

بكفاءة فتبدأ المشاكل عندما لايجد كل منهما سببا وجيها لزواجه من الآخر.

وفى الحب تنشط مراكز خاصة فى المخ فتظهر على الرجل بوادر الكبتومانيا العاطفية فيسرق القبلات منها بينما فى الزواج تضطرب تلك الخلايا فى المخ من الاخريات. وفى الحب تنشط كهارب مركز الذوق فى المخ فيقتصر كل من الزوجين وفق ما يريد الآخر، بينما فى الزواج تزداد كهارب المخ اضطرابا فيتصرف الاثنان وفق ماتريد هى!

*****

العش الهادىء !!

بالمصادفة حاصرتنى مجموعة من السيدات والآنسات فى النادى ، وبدأ التحرش واضحا والأسئلة تنهال فوق رأسى .

سيداتى آنساتى : خلق البيت الهادىء المريح يعتمد على تضحيات الرجل وصبره وطولة باله ، وعليه يقع العبء كله ابتداء من التقرب الى شريكة الحياة حتى اقامة الشركة ، فالتقرب الى شريكة العمر بالغرام والحب مسألة تستدعى السهد والسهر والعذاب والأنين وحياتى أنت ماليش غيرك وفايتنى لمين .

أما اقامة الشركة نفسها فمرحلة فيها جرى ولهث وتدبير تحويشة العمر والحصول على الشقة ، هذا بالاضافة الى استعداد الزوج الطيب للتنازل عن حرياته العامة مثل حرية الرأى وحرية التنقل وحرية التعبير ولو بالاشارة .

واذا كان آدم قد شعر بآلام رهيبة وحواء تخرج من ضلعه ، فهذا يوضح لنا كم يتكلف الرجل للحصول على شريكة الحياة ، ثم تأتى مرحلة التضحيات لاستمرار المسيرة الزوجية . فبعد خروج حواء من ضلعه تأتى قصة التفاحة الشهيرة التى قضمتها حواء ، ومن محاسن الصدف أن زمارة رقبة الرجل التى تتمنى الزوجة أن تقرمها بأسنانها اسمها فى علم التشريح تفاحة آدم!

وممكن جدا خفض درجة التوتر التقليدية بين الزوج والزوجة الى أدنى مستوى وهذا يتحقق بفروسية الزوج وشهامته وتنازلاته، فإذا لم يكن الزوج فارسا وشهما، سيصبح مع الزمن فارسا وشهما رغم أنفه.

ومن سمات الفروسية أن يستمع الزوج ولا يقاطع أو يستمع ولا يرد أو يستمع ولا يعارض أو يستمع ولا حتى يناقش وما أن يبلغ الزوج هذه الدرجة العليا من النضوج فى فن الانصات حتى يصبح ظريفا لطيفا فيه الطاعة والوداعة كذلك الزوج الذى راح يفاوض موظف مكتب التليفونات طالبا مكالمة خارجية مع زوجته بربع أجر لأنه متأكد من أنه سوف ينصت اليها ولن يتكلم كلمة واحدة بعد أن يقول آلو.

ومن أسباب التوترات التقليدية فى الزواج جنوح المناقشات أحيانا الى الحدة لعدم اعتراف الزوج بالخطأ. ولذلك فإن الزوج الذى يسلم بأنه اخطأ وهو على خطأ فعلا فهو يدخل فى عداد العقلاء. أما الذى يسلم بأنه أخطأ وهو على صواب فإنه يدخل فى عداد كبار الحكماء.

ومن أكبر أسباب التوترات التقليدية الارهاق البدنى والعصبى الذى تعانيه الزوجة، ولهذا يجب أن يعطيها الزوج أجازة من أعمال البيت ومسئولياته. فيرسلها مثلا الى بيت أسرتها عدة أيام للراحة، فهذه الراحة يحتاجها الزوج أيضا.

وكثيرا ما يقع الطرفان فى خطأ شائع يسهم فى التوترات. إذ يذكر كل منهما الآخر بالغلطة الكبيرة التى وقع فيها وذلك بترك صورة الزفاف معلقة فى البيت.

*****

فى معمل تحاليل الحب !

ما الذى يحدث عند لقاء المحبوب؟

يقول أهل العلم : ان الحبيب عندما يرى الحبيبة لحظة اللقاء ، فإن التأثير يكون نابعا من المخ الذى يحدث التغيرات التالية عن طريق الجهاز العصبى :
رجفة خفيفة فى أطراف الأصابع- تلعثم فى النطق- جحوظ العينين مع زغللة خفيفة- عدم وضوح الرؤية للحظة- ازدياد افراز العرق- وقوف الشعر- اختفاء الاحساس بالجوع والعطش- ارتفاع ضغط الدم وتغيرات عديدة أخرى بينها ازدياد دقات القلب .

فلماذا ترك الكتاب والشعراء كل هذه التغيرات الكيميائية والحركات غير الارادية وتمسكوا- فقط- بما يحدث للقلب ، وجعلوا من هذا القلب مركزا للحب والغرام؟

يجوز لأن دقات القلب هى المحسوسة أكثر أو هى الايقاع العالى فى سيمفونية الغرام ، واذا كان اضطراب المصران الغليظ من علامات هذا اللقاء ، فمن العسير- فيما أظن- على شاعر غنائى أن يقول : وشفتك تانى . . وانخلع مصرانى . أو يقول وقابلتك يومها وأول ما رأيتك . . اضطرب مصرانى ونابينى حبيتك .

وعن ارتفاع ضغط الدم لحظة اللقاء ، فإننا اذا سمعنا شاعرا يقول : زودتى عليا الهم ورفعتى ضغط الدم ، فهذا ليس كلام عشاق ولكنه كلام متزوجين .

وعن جحوظ العينين والعرق والافرازات الكيميائية لمختلف الغدد فإن العاشق إذا غنى : وقالوا لى عنيك طلعت برد ودمك قايد . وقالوا لى غددك سايحة وعرقك بارد ، فهذا العاشق ليس قطعا فى موعد غرام وإنما فى عنبر الحوادث بالمستشفى اثر حادث أليم . .

ومن هنا أصبح القلب هو الرمز اللطيف للحب رغم أنه مجرد مضخة تضخ الدم فى الجسم وهنا سمعنا عبدالحليم يغنى عن دق القلب اللى زايد دقتين ، وكيف وضع الطبيب السماعة على هذا القلب وشخص المرض بأنه رمش عين ، والظاهر أنه كان طبيبا شرعيا فقد حدد مدة وجود الرمش فى القلب قائلا : بقاله جمعتين .

ولعلنا نلاحظ أن مؤثرات اللقاء في الحب لا تختلف كثيرا عن مؤثرات اللقاء فى الزواج فما إن يعود الزوج مثلا متأخرا وعلى لسانها السؤال الخالد : كنت فين لحد دلوقت ؟ .

هنا نرى نفس مؤثرات اللقاء فى الحب تلعثم فى النطق ورجفة فى أطراف الأصابع تمتد فى هذه الحالة الى مفاصل الركبة مع عرق بارد بالاضافة الى وقوف الشعر ، وهذا «اللقاء السعيد» بين الزوجين اذا حدث عند عودة الزوج فى ساعة متأخرة من الليل مع ظهور آثار معينة على ملابسه مثل الروج أو ألوان الماسكارا أو الحواجب ، أو فتلة شعر طويلة زيادة عن اللزوم . فإن اللقاء فى هذه الحالة يؤدى بالتأكيد الى نفس مؤثرات اللقاء السعيد مثل الزغللة وجحوظ العينين وعدم وضوح الرؤية بسبب الكدمات طبعا . .

*****

الرجل والمهنة

هل تنعكس مهنة الرجل على سلوكه العام؟

لقد لاحظت- مصادفة- أن حارس قفص القرود في حديقة الحيوان يتمتع بحركات ضاحكة ومنتهى خفة الدم ولا ينقصه إلا أن ترمى له بالفول السودانى، بينما كان حارس قفص الأسد وقورا مهيبا كملك الغابة شخصيا، ويبدو أن الحرفة تفرض طبيعتها دائما فالحذاء هو أول ما يلفت نظر صانع الأحذية في شخصك بينما الحلاق يجتذبه القفا، أما الذى ينصرف عنك بشىء من خيبة الأمل إذا رآك فى صحة جيدة هو الطبيب أو الحانوتى.

هل مهنة الرجل تنعكس على علاقاته الانسانية كالحب والزواج؟؟

ان المرأة مثلا قد ترتاح الى الصحفى لأن مهنة البحث عن الأخبار توافق تماما نزعة المرأة الى النميمة فما من امرأة لا تحب النم. ويمكن مثلا تعريف الهاتف بأنه امرأة على سماعة وامرأة اخرى على السماعة الثانية سيرة امرأة ثالثة فى السلك الموصل بين السماعتين.

وقد يكون الزواج من محام متعبا جدا اذا عرفنا أن المرأة تمثل فى البيت سلطة اتهام مستمرة، وبزواجها من محام سوف يتعذر عليها كثيرا ان توقع بزوج احترف الدفاع والمرافعة وربما يبدو المحاسب القانونى زوجا غير مرغوب فيه لانضباطه الحسابى بحكم المهنة واسرافها المالى بحكم

العـادة، ولكن الواقع يثبت ان المحـاسب زوج سـخى اليـد، الظاهر انه ينقلب بعد الزواج من محاسب قانونى الى محاسب على عمره.

والرجل فى السلطة- كالوزير مثلا- ربما يكون متعبا لأنه اعتاد أن يصدر الأوامر والتوجيهات والقرارات ولكن الذى لاشك فيه أن الحياة مع الوزير يمكن أن تكون مريحة جدا لأنه يقول باستمرار كلاما مريحا ووعودا طيبة اسمها التصريحات.

وثمة اعتقاد بأن الطبيب الذى يمسك بالمشرط يقطع ويمزق اللحم الانسانى هو رجل مخيف، ولكن الواقع المدهش أثبت أن الأطباء- بعيدا عن السماعة والمشرط- رومانسيون عاطفيون جدا، خياليون جدا، يظهر بينهم دائما الشعراء والكتاب والموسيقيون والمصورون، وعلى عكس ذلك تتصور المرأة ان الحياة مع كاتب هى أيام متصلة من الكلام العسل الذى تشتهى كل امرأة سماعه، وهى لاتعرف ان عبارة الحب البراقة التى يكتبها الكاتب تكلفه انحناءة طويلة على المكتب وشطب وتمزيق ورق وشرب عشرين فنجان قهوة وتدخين كذا سيجارة والحقيقة أن الكاتب يغلب عليه دائما فى جلسته شرود الفكر، وقد رأت أم كلثوم توفيق الحكيم لأول مرة فى مكتب مصطفى أمين، وراعها أنه كان صامتا شاردا. ولم تصدق أنه توفيق الحكيم صاحب الفكر اللماح والاسلوب الشائق والحوار الجذاب على الورق فسألته أم كلثوم بدهشة:

- ولما انت توفيق الحكيم امال مين اللى بيكتبلك؟؟

وعلى أى حال، يبدو أن المهنة لها أحيانا أثرها فى التصرفات العاطفية بشكل أو بآخر كالباحث العلمى مثلا الذى أراد أن يعرف تأثير القبلة على

عروسه، فجاء بأنثى فأر من فئران التجارب وربطها بأسلاك الأجهزة ثم قبل «الفأرة» وراح يدون النتائج، وكالعروس التى كادت تفطس من قبلة عريسها ليلة الزفاف، واتضح انه لم ينس حرفته وهو يقبلها إذ كان عمله فى النادى نفخ كور الفوتبول.

*****

خيبته !

أين ذهبت هيبة الرجل؟؟

كان جدى زمان له هيبة عظيمة ولم تكن ستى تجرؤ على نطق اسمه مجردا من لقب «سى» سى عمر وسى ابراهيم وسى محمود، وكان لقب «سى» هو اختصار لكلمة : سيدى!

وفى الوقت الذى كانت فيه شوارب الرجل الشرقى يقف عليها الصقر، كان الرجل فى الغرب يستل سيفه للمبارزة اذا مس أحد اناثه.. ففى الشرق والغرب كان الرجل يقوم بدور البطل بينما هو مجرد كومبارس ثم هبت حركات التحرر النسائى تشن حربا على الرجل الذى يستعمر المرأة ويرفع علم الحماية بوصفها تابعة له، ورفعت الزعيمات شعار اللهم احمنا من الرجال أما ضعفنا فنحن كفيلات به ويسقط المستعمر الغاشم والى الجحيم يا كل الرجال!

واستطاعت الزعيمات فى الغرب أن يكسبن المعركةومكنت المرأة فى الغرب من أن تستنبط نوعا جديدا من الرجال هو الرجل الخنفس.

واختفى الرجل ذو الهيبة والنخوة والدم الحار، وأصبحت ملابس المرأة تعلن عن مدى التقهقر لسلطان الرجل إذ كانت الملابس زمان تغطى جسمها كله، فيتم اختصارها الى الميكرو والبكينى.

لقد كان الرجل زمان ذا هيبة عظيمة لا تجرؤ معها ستى على مناقشته أو مجرد الوقوف امامه، وكانت اذا ارادت الخلاص منه دست له السم فى الكفتة وهى ترتجف ذعرا. فأصبحت اليوم تواجهه بالسكين والساطور وتعبىء لحمه فى أكياس وهى ترشف كوب الشاى فى هدوء!

وامام ضياع هيبة الرجل. صارت المرأة تكسب أرضا جديدة حتى وصلت الى أنواع عجيبة من المساواة فأصبح من حق الزوجة مثلا أن تشترى فساتين بخمسة آلاف دولار مادام زوجها قد انفق على نفسه خمسة آلاف دولار لاستئصال المصران الأعور.

والغريب أن كلمة النساء- اتحدت على مستوى العالم- ضد الرجل، فالمعروف أن المرأة لا تتفق أبدا مع امرأة، فالمرأة مثلا تلبس الفستان الثمين الباهر لتسم بدن الصديقات قبل العدوات، وهى لا تطيق رئاسة المرأة فى العمل ولا ترتاح إلا للرجل رئيسا عليها ربما لأنها متأكدة من الضحك عليه، وهى لا تعترف بأن التى امامها امرأة جميلة إلا اذا كانت تقف امام المراية. وهى تنتقص من سنها وتضيف السنين التى أنقصتها من عمرها إلى سن أقرب صديقاتها.

لذلك فإن المنظمات النسائية لا يجمع أعضاءها حب المرأة للمرأة، بل حرب المرأة ضد الرجل. بل من المضحك ان تحرض الزعيمات بيتا كبيرا من بيوت الأزياء- ايف سان لوران- على تغيير ثوب الزفاف! فالحاسة السادسة للرجل دفعته- من زمن بعيد- الى ارتداء زى أسود فى ليلة زفافه. بينما أعطى اللون الأبيض لثوب زفاف العروس معنى رمزيا بأنها الرابحة والسعيدة وهذه وجهة نظر لا ترضى الزعيمات فطلع ايف سان

لوران منذ سنوات على العالم بثوب زفاف من التافتان الأسود مع طرحة من التل الأسود . . رمزا لما سوف تلقاه العروس مع ذلك المخلوق الملعون الذى اسمه الرجل!

لكن برغم تمرد المرأة المستمر وحرصها على تحجيم الرجل إلا أنها أحيانا تعترف ببعض ميزاته حين تودعه الى مثواه الأخير قائلة : يا جملى ، ذلك لأن الجمل- كما نعلم جميعا- يستعمل فى الركوب .

*****

قد يكون حلا

انتقلت حوادث قتل الأزواج الى تونس، إذ انتهزت زوجة فرصة نوم زوجها فقامت بخنقه بمنديل ثم قطعت جثته بالمنشار والسكين الى ثلاثة أجزاء وزعتها فى أكياس بلاستيك على ثلاث مدن تونسية!

ويبدو- بحكم الأمر الواقع- أن صيغة نعى الزوج سوف تتغير قليلا فيقال: البقاء لله.. انتقل فلان الفلانى الى مثواه الأخير بالكيس البلاستيك.

ويبدو أيضا أن المتزوجين- يجتازون عصرا حرجا لا يتطلع فيه الزوج- كما كانت الحال- الى أن يهنأ بحياة سعيدة مع زوجته. بل يتضرع الى الله ان تنتهى حياته معها «بموتة» ربنا.

ان الزواج- فى عصر الأكياس البلاستيك- أصبح يتطلب من الرجل أن يتنازل عن الكثير من أعمال السيادة التى مارسها على مر العصور، فإن أمن الرجل وأمانه وسلامته أصبحت تتوقف كثيرا على مسلكه وتطويع شخصيته للظروف الجديدة حتى ينجو من حد السكين ويفوز بموتة لطيفة مثل السكتة القلبية.

وللوصول الى هذا الفوز يجدر بالرجل أن يضع فى اعتباره هذه التوصيات:

- التـردد على حـديقة الحيـوان ليتـعلم من الجـمل صبـره ومن الفيل هدوءه ومن الحمار قوة احتماله ومن الارنب ذعره ومن الكلب الكف عن النباح وقت أن يأمره سيده بالسكوت .

- أن يكون لبـقا ذكـيا ، اذا اختلف مع زوجـته اختـلافا جـوهريا فى مشكلة ما ، فلا يعلن لها رأيه أبدا .

- أن يظل يفكر ويفكر للوصول الى قرار سديد فى أمر حيوى يتعلق بالأسرة أو الأولاد . وبعد أن يتخذ القرار يوافق زوجته فورا على قرارها المضاد .

- أن يكون له الحرية فى المفـاضلة بين الرأى والرأى الآخـر . فإذا لم يعجبه رأيها عمل برأى أمها .

- أن يحتـرم آدميتها وألا يرهقها بدعوى الواجبات الزوجية ، فمهما كان الزواج عن حب وغرام فعلى الزوج أن يدرك أن كل حبيب يصبح فى النهاية مملا ، ولا ينتظر منها ان تنظر اليها كفتى أحلامها الأول . فلا يوجد فى الدنيا فتى أحلام أقرع وبكرش .

- ألا يقع فى الغلطة التى يقع فيـها الكثيـرون بأن يقـول لهـا أنه على استعداد لكى يمـوت من أجلها فالذى يقول لزوجته أنا على استعداد لكى أموت من أجلك يسـبب لهـا - فى الزمن الطويل - خـيبة أمل شديدة لأنه يجثم على قلبها ولا يموت .

*****

الطفل أبو شنب !

سألتنى المذيعة : يقولون دائما ان الرجل طفل كبير وان المرأة اذا ارادت سعادتها معه فعليها ان تعامله كطفل . . فما هو وجه الشبه بين الرجل والطفل فى رأيك؟

وقلت للمذيعة ان هناك اوجه شبه عديدة بين الرجل والطفل، لعل اهمها - من وجهة نظر المرأة - ان كلا من الرجل والطفل فى حاجة مستمرة إلى ان «يتربى» .

ثم نحن نلاحظ ان الطفل يعبر عن احتياجاته بالبكاء ويكف عن البكاء عند تحقيقها، كذلك الرجل فى حالة الحب، فهو يبكى للمحبوبة طلبا للوصال والصلح وارحمنى وكلمنى ويا سامع ندايا تعال شوف بكايا .

كذلك نلاحظ ان معظم العشاق لايحفظون العهود ولا الوعود وهذا بالطبع شغل عيال واطفال .

والتربية النفسية الصحيحة للطفل تقضى بان تلاعب الام طفلها فى السنة الاولى بان تختفى عنه وتتركه يبحث عنها حتى يتدرب على تشغيل فكره والتقليل من اعتماده عليها بمواجهة المواقف الصعبة . وكذلك تفعل المحبوبة مع الطفل الكبير ابو شنب الذى هو الرجل، اذ تختفى عنه ثم يتضح ان سبب اختفائها انها وجدت عريسا اغنى منه .

والطفل عادة يبدأ التفاهم مع من حوله بقليل من الكلمات، ويميل الى التعبير بالاشارات فيقبل الهواء اشارة للقبلة او يرفع يده باى وكذلك يفعل العاشق مع بنت الجيران عبر النوافذ والشرفات.

وتنصح التربيــة السليــمــة بان تحكى الام للطفل فى السنة الاولى حكايات كثيرة لكى تنمى قدراته العقلية وتغرس فيه فضيلة الانصات وكذلك تفعل الزوجة فى السنة الاولى من الزواج والسنة الثانية والسنة العاشرة ثم العشرون.

وتعتبر اللعثمة من صفات الطفولة فنجد الطفل ينطق حرفا وينتظر ليتغلب على عجزه ثم ينطق الحرف التالى، واحيانا يعجز عن النطق عندما تتقلص عضلات الحنجرة نتيجة الخوف او الرهبة فتحول دون خروج الكلمات، وكذلك يفعل الرجل عندما تضبط زوجته منديلا فى جيبه به إحمر شفاه.

ومن سمات الطفولة ان الطفل يأكل بلا تفكير كل ماتمتد اليه يده او اى شيء يقدم اليه، وكذلك الرجل وهى تقدم اليه طبق الرز بالبشاميل مع سم الفار.

*****

النساء قادمات

المرأة فى طريقها الى حكم العالم اللهم احفظنا!

حتى في ولاية تكساس التى تتميز بالرجال الاشداء او «التفاجايز» قصقصت المرأة شوارب الرجال واستولت على الحكم، فتولت ان ريتشاردز وزارة الخزانة فى الولاية، واصبحت ليلى كوكريل رئيسة لبلدية سان انطونيو، وقبلها رأست انيت شتراويس بلدية هيوستن!

وواضح ان المرأة سوف تستولى على قيادة العالم، فهى فى بريطانيا والنرويج والفلبين وباكستان ونيكاراجوا رئيسة دولة ورئيسة وزراء، وكان هناك قبل ذلك انديرا غاندى وفبجايا لاشكيمى وبندرانيكا وكاينج تسنج، ومن المتوقع ان تضاف الى قائمة حاكمات الدول تاكاكو دوى زعيمة الحزب الاشتراكي اليابانى!

ولايمكن ان يكون وصول المرأة الى قيادة الدول على هذه الصورة وليد مصادفة، بل هو بالتأكيد نتائج مخطط نسائى محكم، بدأ بالثورة على الرجل فى اوروبا وامريكا، ثم استئناس الرجل وتحويله الى خنفس اليف يضع القرط فى اذنه ليعلن عن عصر الرجال الاغوات!

وفى السويد الآن حركة نسائية تطالب بتبادل المواقع، فيلزم الرجل البيت يطبخ ويغسل ويدادى العيال ويحضر الرضعة بينما تتفرغ المرأة

للعمل وشغل المناصب العليا دون الرجل . وسوف تصل المرأة السويدية الى اهدافها لان الرجل هناك مؤدب ومذهب ومطيع واليف جدا، وهى خطوة سوف تعقبها خطوات جديدة الى ان تستولى المرأة على العالم ليصبح حكمها عنصريا يقوم على اضطهاد الرجل تشفيا وانتقاما، وسوف تظهر الجماعات النسائية المتطرفة لتنادي بوجوب التخلص من الرجل بالمذابح الجماعية حتى تسلم البشرية من شروره، فمنذ الازل وهو يشعل الحروب ليحرق قلوب الامهات، ولابد ان امبراطورية النساء سوف تسخر التقدم العلمى لنقل الحمل من بطن المراة الى بطن الرجل، وسوف يموت فى هذه التجارب العلمية مئات الالوف من الرجال ذوى البطون المنفوخة وسوف تنشط لجان حقوق الانسان تناشد حاكمات العالم بوضع حد لابادة الرجال، غير ان الرجال -من جانب اخر- سوف تتكون بينهم جماعات تطالب بالمساواة مع الجنس الحاكم، وسوف تتضاعف المنظمات السرية التى تقود حزب تحرير الرجل عن طريق العنف، ومن الاخبار التى سيطالعها القارىء فى ذلك الزمن القادم: اكتشفت السلطات المختصة فى كشاكاوانيا عبوة ناسفة فى قلم روج السيدة رئيسة مجلس الوزراء الكاشكاوانى وتم ابطال مفعولها قبل لحظات من تناول رئيسة الوزراء لقلم الروج لتطلى شفتيها، والمعروف ان السيدة رئيسة وزراء ليمونيا راحت ضحية حادث مماثل اذ تم حشو باروكتها بمادة ناسفة، وقد اعلنت منظمة «الموت للنسوان» مسئوليتها عن الحادث!

المنكوب .. !

قال لنكولن ان المرأة خلقت من ضلع آدم بالذات حتي تكون دائما تحت ابطه ليحميها ويرعاها ويبدو ان تفسير لنكولن كان شديد السذاجة ، فلم يدرك من الذي ينبغي ان يحمي الآخر ، اذ لم تكن الدراسات العلميـــة قد ظهـرت في الافق لتكشف ان الرجل مخلوق غلبان يصعب على الكافر !

فقد كشفت الدراسات ان المنتحرين من الرجال اكثر من النساء بمراحل ، وان بين كل اربع حالات انتحار امرأة واحدة فقط ، كما تبين ان المرأة قلما تنتحر بسبب رجل بل بسبب امراة اخرى غالبا اذ يبدو ان النساء مخلوقات مدهشات حقا ، فالنساء يكرهن النساء .. والرجال ايضا !

بينما ظهر ان المرأة سبب اساسى لجنون الرجل ، وان عدد الرجال فى المصحات العقلية يتفوق على عدد النساء ، وتعتقد النساء ان هذه مسألة لاتدعو للدهشة ، لان عدد المجانين من الرجال خارج المصحات العقلية يشمل الرجال جميعا !

ولما كانت المرأة لها الاولوية فى الانقاذ عند وقوع حوادث او كوارث ، فقد تبين ان الكوارث التى لم يتدخل فيها رجال الانقاذ يرتفع عدد القتلى والمصابين من الرجال بنسبة تفوق عدد النساء وفى حوادث الطرق والحوادث اليومية العادية يرتفع عدد القتلى من الرجال ، ولابد ان هذا

العدد قد تضاعف بعد النشاط النسائى الكبير فى تعبئة الرجال داخل اكياس بلاستيك!

والمرأة تتمتع بجهاز عصبى عالى الكفاءة يتيح لها تحمل المفاجآت العنيفة بثبات، ومنذ سنوات مثلا انفجرت قنبلة فى جناح مسز تاتشر بفندق برايتون وقتل احد وزرائها وجرح كثيرون، وخرجت هى من الفندق فى ثبات مذهل بعد ان اجرت لمسة سريعة فى زينتها، لكن العلماء لايطلقون وصف المرأة الحديدية على مسز تاتشر وحدها، فكل امرأة عندهم هى امراة حديدية من الناحية العلمية، اذ هى تولد مزودة بأسباب الصحة والبقاء لاعتبارات الحمل والولادة وحفظ النوع فهى لاتلتقط الامراض المعدية بسهولة كالرجل -خصوصا وهى حامل- كما ان كيميائيات جسمها تعمل بدقة وانتظام، وهى تستطيع ان تتكيف مع اى بيئة مناخية بعكس الرجل. فجسمها مزود بترموستات دقيقة يجعلها تحتمل الحرارة العالية او البرودة القاتلة، وفى البلاد التى يموت فيها الناس من الحر او البرد، لاتوجد بين الضحايا عادة امراة واحدة، اذ يبدو ان الطبيعة تبقيها لاسباب انسانية وهى دفن زوجها الذى مات من شدة البرد.

وقد انتهت الدراسات الى ان الرجل يولد وهو يحمل أسباب فنائه، فهو بلا حصانة من الامراض ويتعرض منذ بداية حياته لكافة امراض الشرايين والقلب. ونقص مادة الجابا جلوبين وهى ضرورية لمقاومة الميكروبات، بعكس المرأة التى نادرا ماتمرض بالقلب إذ ان هرمون الاستروجين النسائى يزيل الدهون الصلبة المترسبة على جدران الاوعية

الدموية، بل ان هذا الهرمون تتخلق منه ادوية لعلاج التهابات المفاصل عند الرجال، وفى بحث ميدانى على راهبات ورهبان تساووا جميعا فى ظروف الحياة الهادئة البعيدة عن التوترات والمشاكل والانغماس فى الملذات التى تخرب الصحة، وجدوا ان متوسط عمر الراهبة يزيد على عمر الراهب بست سنوات، وهكذا وصل العلماء الى الحقيقة التى تقول من لم يمت بالكيس البلاستيك مات بغيره.

كذلك من بين ما انتهت اليه الدراسات ان الرجل الذى يتزلج على الجليد يسقط على وجهه بينما تسقط المرأة على ظهرها لان مركز الجاذبية الارضية عندها اكثر انخفاضا من الرجل، وان الرجل ذو قدرة بصرية عالية فى ضوء النهار، بينما المرأة تتمتع بقدرة خارقة على الابصار ليلا، وهى موهبة يبدو نفعها واضحا عندما تنهض المرأة خلسة فى ظلام الليل لتبحث عن الساطور الذى ستطيح به رأسه.

*****

الحب على الطريقة اليابانية .. !

احسن امراة فى العالم تعامل الرجل معاملة «سى السيد» هى المرأة اليابانية! فهى عاشقة رومانسية ومربية للأولاد وخادمة تمسح البلاط وست بيت ممتازة وسيدة مـجـتـمـع عظيـمـة. واهم من هذا كله انهـا لاتعـرف الساطور و الأكياس البلاستيك!

غير ان الحب على الطريقة اليابانية صعب جدا، والوصول الى قلب الجميلة ميتشيكو -مثلا- مهمة عسيرة، فاذا افترضنا انك قطعت المراحل المعروفة: نظرة فابتسامة فسلام فكلام، عز عليك الموعد واللقاء. اذ لو سألت تلك الجميلة هل تحبيننى ياميتشيكو، فسوف تبرز امامك المشكلة الاولى وهى ان كلمة الحب -ومشتقاتها- غير موجودة فى القاموس اليابانى!

ويقول تاكيشى موراماتسو- وهو من أشهر الكتاب اليابانيين- ان الذين يقومون بترجمة الآداب الغربية الى اللغة اليابانية يجدون صعوبة بالغة فيما يتعلق بالتعبيرات العاطفية مثل انا احبك فلا يوجد نظيرها فى اللغة اليابانية، اذ يستخدم اليابانيون الاسلوب غير المباشر للتعبير عن عـواطفهم، واذا كـان بعض اليـابانيين قد بدأوا فى استـخدام تعـبيـر انا احبك، فان هذا التعبير غير مقبول حتى الان على المستوى الشعبى . !

فـاذا انت ادركت الطريقة الصحيحة التى تعبر بهـا عن عـواطفك للجميلة ميتشيكو ثم سألتها هل تبادلك الحب ام لا، فهناك مطب اخر

امامك وهو ان اليابانيين -كما يقول موراماتسو- لايستخدمون بوضوح كلمتى «نعم» و«لا» فهم يستعملون فى حياتهم اليومية تعبيرات مختلفة فيقولون مثلا اهكذا؟ بدلا من كلمة «لا» ثم لديهم تعبيرات عديدة اخرى تحل محل نعم دون ان يفهمها الاجنبى، الامر الذى يجعل الاجانب -كما يقول الكاتب- يعتبرون اليابانيين كذابين ومراوغين، بينما هم فى الحقيقة يستخدمون تلك التعبيرات البديلة لانهم يخشون ايذاء مشاعر الاخرين بالتعبيرات القاطعة الحادة مثلا: لا!

فاذا قالت لك ميتشيكو: اهكذا؟ ردا على سؤالك هل هى تحبك ام لا. فلا تنخدع بابتسامتها اذ من المحتمل ان تستدعى لك شرطة الاداب.

ويقول الكاتب الياباني ان تعبير« هذه المائدة» مثلا له اكثر من عشرة تعبيرات مختلفة، منها تعبير بالغ الرقة وتعبير لايستخدمه الا النساء ورابع تستخدمه المرأة مع الاصدقاء المقربين، ويتحتم على المتحدث اختيار التعبير المناسب وفقا للجنس والعلاقة مع المتحدث والجو الذى يسود الحديث، فاذا أخطأ موظف مثلا مع مدير الشركة فى اختيار التعبير المناسب فهو لا يستطيع ان يطمئن على مستقبله واذا قال رجل لميتشيكو الحسناء «هذه المائدة» بالتعبير الذى تستخدمه النساء فسوف ترقع ميتشيكو بالصوت الحيانى من شدة الصدمة، وربما رددت عبارات يا ميلة بختك يا ميتشيكو يا. فمن المستحيل -والحال كذلك- ان تحب اى يابانية دون ان تكون ضليعا فى لغتها!

كيف تحب حسناء يابانية دون ان تستعمل كلمة حب التى لاتعرفها هى؟؟ عليك - حسب التقاليد - أن تنظم لها قصيدة صغيرة تبعث بها

إليـهـا . تقـول فيـهـا : القـمـر يتـوسط السـمـاء ودمعى يسيـل وانا انظر الى القمر ، هنا تستشف هى عواطفه التى تعبر عن تعلقه بها ، هذه القصيدة القصيرة جدا ترجمتها بالعربى : احب والحب كوانى ومش قادر على بعدك ثانية ولا عارف ايه طعم الدنيا .

واذا كانت ميتشيكو من النساء المتعاليات فهى لن ترد عليك الا بعد عدد كبير من القصائد كذلك يمكنك ان تعتمد على القصائد القديمة الشهيرة ، فاذا كان بيت الشعر يحتوى على عبارات غزل فى شطره الثانى ، فعليك ان تبعث بالشطر الاول فقط ، وميتشيكو التى تحفظ القصيدة سوف تدرك ماذا تعنى برسالتك الشعرية . وهكذا ترى ان الطريق الى الجميلة ميتشيكو يلزمه ان يحوز العاشق رسالة دكتوراة فى الادب اليابانى . . والا اصبح قليل الادب!

*****

كوز الغرام ..

لاشك ان الانسان حيوان غنائى ينزع الى سماع الغناء ويميل اكثر الى ممارسته، فالغناء نوع من النرجسية، اذ كما يحب الانسان رؤية صورته فى المرآة يهوى ايضا سماع صوته مترنما، ولهذا نلاحظ ان الغدد الغنائية عند الانسان تزداد نشاطا فى الحمام، وفى الحمام وغير الحمام الكل يغنى، البعض يغنى فى الخفاء، احيانا حفظا للوقار او خجلا من ان صوته عورة ينبغى اخفاؤها، لكن هناك فئة ضعفت عندهم مراكز الخجل فاصبحوا يغنون بلا حياء، وهؤلاء هم بنوكاسيت من التتار الذين اشعلوا النار فى الحضارة الموسيقية والغنائية .

وهناك من يتهم الرقابة على المصنفات الفنية، ولست ادرى ما حيلة الرقابة فى اغنية تقول لبست له التوب البفته وعزمته على اكلة كفته، فهذا كلام فى راى الرقابة لا يمس النظام العام او الاداب، لان لبس التوب البفته لا يعتبر خطيئة، ولا أكل الكفته يعتبر رذيلة، واذا ما غنى مطرب: ادينى بنطة لحام كوز المحبة اتخرم «والبنطة هى قطعة الحديد التى يتركها السباك تتوهج فى اللهب ليلحم بها الثقوب والمعادن» وبناء عليه فالبنطة ليست كلمة بذيئة، والكوز ليس كلمة نابية، وفى عصر الفن التتارى يرتقى خيال الشاعر التتارى الى هذه الآفاق الجديدة فيشبه غرامه بالمحبوب بسائل فى كوز، ويشبه الجفوة مع الحبيب بثقب فى هذا الكوز يتسرب منه الغرام فيطلب من سباك الغرام بنطة لحام لسد ثقب الكوز: ادينى بنطة لحام كوز المحبة اتخرم؟!

وفى كل عصر توجد الاغانى الهابطة الى جوار الاغانى الرفيعة، ففى الزمان الذى قال فيه امير الشعراء فى الليل لما خلى، وقال رامى من كتر شوقى سبقت عمرى وقال بيرم النسمة احسبها خطاك وقال مأمون الشناوى لو كنت اقدر احب تانى احبك انت. . عندما قال هؤلاء العمالقة هذه المعانى فى رومانسياتهم الشهيرة كان هناك من يقول: ولما تجينى امك تدور عليك ح حطك فى عينى واتكحل عليك، ومن يقول: ياشبشب الهنا يا ريتنى كنت انا، ومن يقول: بعد العشا يحلا الهزار والفرفشة، ومن يقول: انسى اللى فات وتعال بات.

لكن هذه الاغانى الهابطة لم تكن ذات تأثير واغانى العمالقة بجوارها ترتفع بالذوق وتثرى الوجدان غير ان زماننا خلا من اغانى العمالقة فانفرد التتار بالساحة وسادت اغانى كوز الغرام المخروم.

ولا يمكن القول بان على الاذاعة ان ترتفع بالذوق العام. الحقيقة ان الاذاعة -فى العالم كله- انتهت كقوة مؤثرة فى الذوق العام، والسبب عصر الكاسيت، اذ أصبح الانسان العصرى يمتلك اذاعة شخصية تذيع له مايشاء فى البيت والسيارة، وبهذه الاذاعات الملاكى حقق مطرب الكوز شهرة داوية دون ان يقف امام ميكروفون الاذاعة ولا مرة واحدة.

ولن انسى تلك الليلة التى اضطررت فيها الى ركوب ميكروباص اجرة، وكان السائق يردد مع الصوت القبيح المنبعث من الكاسيت انا روميو حبيبك يا جوليا حبينى يابنت الفاصوليا.

ولما ابديت دهشتى من كلمات الاغنية واستفسرت عن اسم الشركة التى انتجتها واسم الجحش الذى يغنيها، اعتبرنى الركاب انسانا شاذا

لاننى ابدى قرفا واضحا ، ومع ذلك توقف السائق وسحب اغنية جوليا بنت الفاصوليا من الكاسيت ، ووضع اغنية اخرى فهمت منها اننى يجب أن أغادر الميكروباص فورا ، اذ انبعث من الكاسيت صوت غوغائى يقول : ايامنا لاممكن ح تعود اتفضل من غير مطرود !

*****

دموعك .. !

لماذا نحترم شكسبير صانع الفواجع بينما نلوم صناع المآسى من مؤلفى المسلسلات رغم انهم مثل شكسبير بالضبط لا يعرفون القراءة ولا الكتابة بالعربى!

لقد افضت الدراسات العلمية الحديثة الى حقيقة غـريبـة وهى اننا ينبـغى ان نبكى من وقت لآخـر ولان الله لا ينسى عباده فقد اوجد لنا مؤلفى المسلسلات الذين يقيمون المآتم المفيدة، فنحن نعيش فى بلاد متربة تحيط بها الصحارى ولاتكفى افرازات الغدد الدمعية لغسيل العين من تلك الاتربة الكثيفة لان الدموع تقوم بعملية غسيل وترطيب وتساعد على انسياب وليونة الجفون وقيل ان المرأة دمعتهـا «قريبة» تظهـر بسبب وبلا سبب حتى تقوم بغسل العين من مساحيق الزينة، اما الرجل الذى يعيش فى مدن نقية غير متربة فان الدموع تطفر فى عينه بين وقت واخر عندما يتذكر انه متزوج.

وقد تبين من هذه الدراسات الدمعية اننا نبكى لاسباب كثيرة نجهلها احيانا، وان الانسان الذى يشكو اعراضا مختلفة كالكابوس وآلام الركبة او الكتف، يتخلص من شكواه اذا تقطع قلبه امام التليفزيون حزنا على الزوجة التى هرب زوجها مع الشغالة بعد ان قتل ابنه الكبير المعترض على زواجه وانتحرت البنت الوسطى لنفس السبب وتأزم حال البنت المتزوجة فانجبت مولودا مشوها صورة طبق الاصل من اسحق شامير.

وقالت الدراسة الدمعية اننا احيانا نقاوم تأثرنا ونعمد الى اخفاء انفعالاتنا ولانسمح للدمعة بالظهور، ثم فجأة تنهال دموعنا فى موقف لا يستوجب انهمارها، وهذا حقيقى، اذكان لى صديق يعمل محاميا شرعيا ثم خلع العمامة ولبس البدلة عند الغاء المحاكم الشرعية ودخلت احاديثه بضعة الفاظ انجليزية، وكنت اراه يأكل الملوخية بالارانب وهو يبكى بشدة وكان يعلل بكاءه بأن الملوخية فى غاية اللذة، ثم دخل مرة الى دار صديق له فوجد ولديه قد رسبا فى الامتحان، وبدلا من ان يقول لهما «هارد لك» بالانجليزية- اى حظ سيىء- بكى وهو يخاطب الاثنين بصيغة المثنى قائلا: هارد لكما.

فلما بدأت الدراميات التليفزيونية فى الظهور اصبحت تساعد فى اجتذاب جانب كبير من دموع الملوخية بالارانب!

وتحذر الدراسة من كبت الدموع الذى يؤدى الى امراض عديدة كالربو والصداع والانهيار العصبى فالخوف والغضب والصدمات والاحزان تحدث تغييرات هامة فى الجسم البشرى وتؤثر تأثيرا مباشرا على الجهاز الهضمى وترفع من ضغط الدم وضربات القلب، لكن الدموع المكبوتة كثيرا ما تجد سبيلا الى ظهورها عند أول فرحة، فبعض علماء النفس لايعترفون بدموع الفرح ويقولون ان الاحساس بالفرحة الصادقة لايمكن ان ينتج عنها دموع. وانما دموع الفرح هى اختزانات الالم الكامنة، فأم العروس هى التى تبكى ليلة زفاف ابنتها من لوعة الم فراق ابنتها. بينما ام العريس تبكى عادة نيابة عن ابنها الذى بلغت به الغفلة الى حد انه يضحك للمدعوين ولا يدرى حجم المصيبة الكبرى التى تنتظره.

*****

مينودراما ..!

من الصعب ان نطالب السينما او التليفزيون بأن نشاهد فى كل وقت انتاجا دراميا على مستوى رفيع. ذلك ان مقياس الدراما الرفيعة هو خلوها تماما من طلقات الرصاص فتصبح متعة عقلية خالصة من التفكير العضلي، فالمسدس هو عضلات الانسان الحديث، وكلما زاد استعمال المسدس فى الدراما دل ذلك على رجاحة التفكير العضلى المتخلف على رجاحة العقل المتحضر.

إن المؤلف الذى يحل المشاكل بالرصاص يلجأ الى ارخص الحلول واسهلها ويدلل على ان التخلف العقلى عنده عاهة مستديمة تصور له القتل كسبب وجيه للرد على الراى الاخر، ومن المستحيل ان نجد مفكرا اصيلا يلجأ الى استعمال الرصاص فى الرواية الا اذا كان مجرما.

ولأن المفكرين قلة نادرة، فان انتاجهم لايفى بحاجة التليفزيون النهمة الى ملء ساعات الارسال، ولذلك يضطر التليفزيون الى التعامل مع مؤلفى المسلسلات رغم ان معظمهم لايزال تحت العلاج او فى حالة نقاهة عقلية.

ان الدراما المكتملة التى تتسم بالعمق فى تناول المشاكل هى اشبه بالبيت المتحضر الذى يسوده التفاهم العقلى الهادىء، وحتى عندما تتأزم الامور فى مثل هذا البيت فلا تسمع ابدا صوت الرصاص لان الزوجة تفضل قتل زوجها بالسم.

وفى الدراميات العالمية نجد تنوعا شائقا فى الموضوعات بينما نجد ان الحب هو الموضوع الاساسى فى رواياتنا باعتباره اهم حدث درامى فى حياة الانسان، وهو موضوع واحد لكنه يتكرر باشكال مختلفة من رواية الى اخرى فنحن مثلا يمكننا انتاج فيلم عن قصة كفاح خاضها انسان لكى يعلم نفسه، فالتعليم اصبح مجانيا استفاد منه الجميع وتعلموا ماعدا مؤلفى المسلسلات.

والوظيفة اصبحت مضمونة بتعيينات القوى العاملة، والعلاوة دورية للناجح والفاشل، والفصل ممنوع فلا معنى ان نشاهد فيلما يصور عناء البحث عن عمل، ثم التمسك بهذا العمل والحرص عليه وتقديسه كما رأينا فى فيلم «العزيمة» القديم مثلا.

وهناك عامل اخر هو ان معظم المشاكل الحيوية التى يتولى الانسان حلها بنفسه فى العالم كله اصبحت الدولة عندنا تتكفل بها ليبقى الانسان بعد ذلك متفرغا للحب وما ينتج عنه من اثار كالزواج والانجاب وتربية الاولاد والمعارك الزوجية وحيرة الزوجة فى اخفاء جثة الزوج.

ومع ذلك يمكننا ان نجدد فى موضوعات الحب والزواج وفق تطورات العصر. فالرجل المعاصر يصبح بعد زواجه خبيرا فى التقويم والفلك، فلابد ان يكون كل مولود له من مواليد برج الميزان وفى اول اكتوبر بالذات لزوم القبول بالمدارس. وهنا نجد مادة خصبة للدراما، فتحكى القصة عن رجل اخطأ فى حساباته الفلكية فجاء الولد من مواليد برج الجدى اى فى ديسمبر او يناير وطبعا لم تقبله المدارس فيصبح شابا منحرفا يروى مأساته ذلك الفيلم الميلودرامى او المسلسل المؤثر «شرخ فى

فى رأس والدى» يقتل فيه ذلك الابن المنحرف اباه وامه وخاله وعمه ومع الحلقة الاخيرة يكون المسلسل قد قتل جميع المشاهدين من القرف .

كذلك يمكن ان نشاهد مسلسلا يتزوج فيه الشاب بعد قصة حب عنيفة ثم يقرر الطبيب ان سيقان الزوجة ضعيفة جدا لاتحتمل الوقوف فى طوابير المجمعات ، فيتمزق الرجل بين حبه لزوجته وخوفه من عاقبة عدم وقوفها فى الطابور فينتحر الزوج ثم ينتهى المسلسل نهاية سعيدة فتكف الزوجة عن الوقوف فى الطابور بعد زواجها من مدير المجمع المليونير .

*****

يا هذا .. !

جلست مع بعض اطفال الاسرة اجاملهم بمشاهدة برنامج الاطفال فى التليفزيون، فاتضح لى انهم الذين يجاملوننى فى الفرجة على هذه البلاهات، اذ كانوا يتغامزون وانا اصطنع الضحك على مايجرى فوق الشاشة من سذاجة وتخلف عقلى !

وزمان كان الجد اذا سأل ابنه : اشى عدى البحر ولا اتبلش؟ قال الولد : العجل فى بطن امه، والآن إذا قال نفس الجد لحفيده : إشى عدى البحر ولا اتبلش قال الحفيد على الفور : الطائرة، والفرق بين الردين هو نفس الفرق بين جيل مشرق يعايش عصر الليزر والروبوت وجيل غارب عن العصر عايش حواديث امنا الغولة والشاطر حسن، وهو جيل لايزال يقحم نفسه فى تأليف البرامج التليفزيونية للاطفال او الكتب التربوية المقررة عليهم فى المدارس.

وطفل العصر هو الذى تساءل مرة بدهشة : لماذا ترسمون امنا حواء بسرة فى بطنها مع انها لم تولد من ام ولم يكن لها حبل سرى؟ وهو الطفل الذى يجب ان يرتفع الى مستواه برامج الاطفال والكتاب المدرسى والمدرس، إذا تساءل الطفل : إذا كان الهدف من سقوط المطر هو أن تنبت لنا الأرض القمح والفواكه والزهور فما هو الهدف من سقوط المطر فوق اسطح منازلنا؟

بل إن مؤلفى كتب اللغة بالذات التى يدرسها اطفالنا دأبوا على سلوك مسلك عدوانى تجاه لغتنا الجميلة بتعبئة مشاعر أولادنا ضد لغتهم بكتب سيئة العرض ثقيلة الظل، والدنيا تتغير ولكن هذه الكتب المتكلسة لا تتغير ابدا، خذ مثلا: ضرب زيد عمرا هذه الجملة لم تتغير منذ قرون، شبع خلالها زيد ضربا فى عمرو والاجداد واباؤنا الاوائل احيطوا علما جميعا بامر عمرو الذى ضربه زيد، وسوف يظل زيد يضرب عمرا فى كتب النحو الى يوم الدين دون ان يفكر احدا فى تخليص عمرو من زيد، والنتيجة -على مستوى الوطن العربى- ان زيداً لايضرب الا عمرا ولا يضرب «كوهين» ابدا.

ان مشاهدة حلقة من مسلسل «تعلم الانجليزية» وماتحفل به من مواقف ضاحكة وجذابة تجعلنا نتحسر على لغتنا الجميلة التى تمثل شبحا يفزع اولادنا، والمعلم نفسه معذور لانه اصبح اسير هذه المناهج المحنطة التى تحرض على كراهية اللغة، وهو ان لم يكن تحريضا بسوء اسلوب العرض كان تحريضا بالتقعر. ولكم عانيت انا شخصيا من الاستاذ الجهموشى مدرس اللغة العربية، كان اذا خاطب احدنا قال: ياحاك الله، وكنا نظن انه يتمنى ان يكبر كل منا ويكون له لحية، ثم عرفنا انها شتيمة معناها قبحك الله، ثم استمر طويلا ينادينى : ياهذا حتى اننى بدأت اصحح لابى وامى الخطأ الذى يقعان فيه وان اسمى هذا وليس احمد، وكان يقول لى انا محيار فى أمرك يا هذا، وكان هذا الذى هو أنا يسائل نفسه ما معنى محيار، ولماذا هو محيار وانا حمار، ثم عرفت بعد سنين ان محيار تعنى شدة الحيرة.

وذات يوم جاءنا الاستاذ الجهموشى وقال فى نبرة اسى ان يحيى افندى سكرتير المدرسة اختطفته ام قشعم او كما ينطقها : ام قشعمى «واصابنا ذعر عظيم اذ اعتقدنا ان سكرتير المدرسة اختطفته امنا الغولة من على باب المدرسة ، وان امنا الغولة تكنى بهذا الاسم بعد ان انجبت قشعم ، ثم عرفنا فيما بعد ان ام قشعم هى المنية او الموت الذى يقصف عمر الانسان .

ثم بدأ الاستاذ الجهموشى يقول لى : هل لديكم سحنجل يا هذا؟ وهل نظرت الى السحنجل فوجدت رأس الحمار؟ فكنت الح على ابى وامى ان يكون لدينا سحنجل حتى اجد رأس حمار؟ لكن المشكلة ان ابى لم يكن يعرف اين يباع هذا السحنجل واخيرا رايت راس الحمار عندما عرفت ان السحنجل هى المرأة التى اقف امامها .

*****

يلسل .. يسلسل .. !

كما ان فى الانسان غريزة حب القتال التى تدفعه الى الزواج، ففيه ايضا غريزة حب الحواديت التى تدفعه الى مشاهدة المسلسلات!

وحب سماع الحواديت من الغرائز التى تنشط عند الانسان فى الطفولة المبكرة، اذ يستمع بشغف شديد الى حواديت جدته التى تجعله فيما بعد يفطس من الضحك على سذاجة مسلسلات التليفزيون بالمقارنة الى حواديت الجدة.

وفى قصة شهر زاد نرى كيف طغت غريزة حب الحوادت عند شهريار على رغبته فى الانتقام من شهر زاد التى تعتبر اول مؤلفة مسلسلات فى التاريخ، وفى الاساطير الغابرة ما يؤكد ان الحدوتة وجدت منذ ان وجد الانسان، ويقال ان علماء الانثروبولوجى عثروا على بقايا هياكل عظمية مهشمة لنساء الانسان الاول، واتضح ان انسان الكهف كان يقول لزوجته، قولى لى حدوته وان طلعت زى مسلسلات التليفزيون سوف اسحلك من شعرك.

وفى رايى ان كل انسان يجب ان يتحمل وحده مسئولية مشاهدة هذه المسلسلات مادام قد جلس امام التليفزيون بمحض اختياره دون اكراه ودون ان يخلع له احد اظافره او ينفخه، وليس من حقه بعدها ان يشكو من السلوك العدوانى الذى تعرض له ويصبح من المحتم عليه فى هذه

الحالة ان يتقبل كـافة الافكار الناجـمة عن الاضطرابات العقلية لطائفة مؤلفى المسلسلات، ووجب عليه ان يدرك تماما وهو يتابع الشخوص المتحركة امامه على الشاشة انه يتفرج على نزلاء معهد شواذ. فهذا ممثل يصيح بلا سبب، وهذا يتشنج بلا مبرر. وذاك يقطع الغرفة جيئة وذهابا ثم يتوقف مـحملقا فى الهواء قبل ان يرد تحية القاها عليه ممثل اخر من دقيقتين، والجميع لايتحدثون -ككل البشر- وهم يقفون وجها لوجه، بل يتخاطبون وكل منهم يعطى للآخر قفاه!

فاذا ارتضى انسان ان يقتطع من وقته ليتفرج على هؤلاء ومايفعلون فبأى حق يشكو بعد ذلك العدوان على عقله؟ لست طبعا من انصار الديكتاتورية والقمع فاطالب بمنع المسلسلات لكنى احترم ارادة الانسان واختياره، ولابد من اقناع المشاهدين من خلال حملة مكثفة يشترك فيها اطباء الصحة العقلية.

ان مسلسلات التليفزيون ليست بدعة حديثة، بل هى نشأت فى المجتمعات الاولى عندما كانت الارواح الشريرة تتقمص انسانا فيهذى بكلام فارغ وهم يحكمـون وثاقـه ويدونون الحكايات التى تقـولهـا العفاريت على لسانه، وهى حكايات بالغة الغرابة والشذوذ، ولاتزال المسلسلات العربية يظهر فيها رمز لهذا الانسان الذى تتقمصه العفاريت، فنرى فى المسلسل رجلا فى دور ابله مـجذوب، يطوف الحى، ويطبل على صفيحة ويقول كلاما غامضا. واحيانا يخلو المسلسل من هذا المجذوب وكلامه الابله اكتفاء ببلاهة المؤلف.

ومهما قيل عن المسلسلات وسوءاتها، فقد لعبت هذه المسلسلات دورا هاما فى تقدم الطب العقلى فهناك مثلا مستعمرة فى الصحراء

اقامتها جمعية رعاية مرضى الشذوذ العقلى . اذ تترك نزلاءها يؤلفون المسلسلات ، وبدراسة هذه المسلسلات يصل الطبيب اللماح الى مكمن الخلل فى عقل المريض . واكثر المسلسلات نكدا وغما هى تلك التى يكتبها مرضى يحملون عداء سافرا للمجتمع ويؤثرون الانسحاب منه مع احساس قوى بالتشاؤم يدفعهم الى انهاء المسلسل عند الرقم الشؤم ١٣ وميزة هذه المستعمرة التى اقامتها جمعية رعاية مرضى الشذوذ- العقلى انها تعتمد فى نفقاتها على الجهود الذاتية ، فهى تبيع مسلسلات المرضى للتليفزيون .

وبفضل التقدم العلمى امكن وضع افكار المريض تحت السيطرة الطبية ، فاذا انتابته حالة تأليف مسلسل أعطوه حقنة « فينوتيازين » المهدئة للهذيان وتأليف المسلسلات ، وقد شفى بعضهم وتخلص من التفكير المختل والهلوسة وعاد الى صداقة المجتمع وممارسة الحياة النافعة ، غير ان المشكلة الحادة التى كانت تقابل كل من يبدأ من هذا المرض هى حالة الندم الشديد التى تتسلط عليه لانه لم ينتفع بمجانية التعليم ولم يذهب فى حياته الى مدرسة .

*****

البحث عن حديث . . !

* يبدو ان اداب المخاطبة والحوار تمر بأزمة عالية كما ان فن الحديث قد اندثر . الناس اعصابها فوق الجلد فى الدنيا كلها والشتائم واللعنات على السنتهم . . خصوصا بعد مشاهدة برامج التليفزيون .

بل لقد انعكست موجة الشتائم والبذاءات على الكتاب المسرحية والفيلم ، وحتى فى الافلام الاجنبية نسمع بذاءات غربية يتجاهلها طبعا مترجم الفيلم . والمدهش حقا ان الشتائم اصبح لها علماء متخصصون وباحثون حتى ان استاذا فى ماديسون باميركا عكف على وضع قاموس جمع الشتائم المتداولة بين شعوب الارض منذ بدء التاريخ : ولان الاستاذ رصع قاموسه بابشع الاحجار غير الكريمة فقد طردته جامعة ويسكونسن من هيئة التدريس . وتفرغ بذلك لاصدار مجلة تحفل صفحاتها بكل الوان السباب العالمى عرضا وتحليلا !

ويقول الباحثون ان انتشار الشتائم على السنة الانسان المعاصر هو تعبير عن ضغوط الحياة التى تؤدى الى الفشل والاحباط . .

والانسان فى شرقنا العربى يظل مهذب اللسان حتى يتعلم قيادة السيارات فتبدأ غدته الشتائمية فى النشاط بألفاظ مهذبة نسبيا مثل حاسب يا حمار وحاسب يابهيم ، وفى كل انحاء العالم يضطر الانسان إلى ترويض غدته الشتائمية لتعمل فى السر وبدون صوت حرصا على مشاعر الطرف الاخر فى الحياة الزوجية .

واعتقد ان لغة الكلام تعطلت بين الناس لان التليفزيون اثر كثيرا على فن الحديث بين الافراد المجتمعين حوله حتى ان دولة مثل ايسلنده توقف الارسال التليفزيوني يوم الخميس كي يجتمع شمل الاسرة لتبادل الاحاديث والافكار البناءة، ولا شك ان يوم الخميس الايسلندي هو يوم العذاب للزوج الذي ادركته حالة الخرس المنزلي واصبح لايقوى على الكلام داخل البيت، فامامه- يوم الخميس- مهمة رهيبة هي تحريك لسانه بالكلام مع زوجته.

ان التليفزيون هو السبب في انهيار لغة الحوار المهذب، فهو يجتذب الاجيال الجديدة ولا يعطي فرصة لتنمية فن التخاطب، بل ان الانسان المعاصر اصبح يتعثر في ايجاد مادة الحديث المناسب بعيدا عن التليفزيون واصبح ينقصه ركن هام اسمه: كيف ابدأ حديثا مع انسان اراه لاول مرة؟

انا شخصيا تعرضت لهذه التجربة خلال جلوسي بجوار شخص لا أعرفه تركني معه مضيفنا. كان واضحا ان الرجل يتوقع مني ان ابدأ الحديث وانه قد اعفى نفسه من هذه المهمة العسيرة، هل احدثه في السياسة؟؟ انني لا اعرف جنسيته ولا هويته السياسية، ثم اوضح انه من الشرق الاوسط، والحوار السياسي بين الشرق اوسطيين اصبح له سمات خاصة، اذ يتيح للانسان ان يعرف عن نفسه من الطرف الاخر صفات لم يكن يعرفها من قبل مثل انهزامي وخائن وعميل، وغالبا ماتنتهي المناقشة السياسية باطلاق احدى وعشرين طلقة تحية للطرف الاخر في راسه.

ولكن من الجائر جدا - قلت لنفسي- الا يكون الرجل شرق اوسطيا اي متمتعا بكامل قواه العقلية، غير ان الحذر واجب ايضا وقررت ان ابدأ

حديثى معه بابتسامة، ففى يده ساعة ثمينة: سأساله عن الساعة ثم اقول له ان الساعة انيقة حقا، تذكرنى بتلك القصة التى سمعت البولنديين يروونها فى وارسو. وتروى ان الزعيم السوفيتى الراحل بريجنيف كان فى زيارة لبولنده. وفى رحلة العودة قال له نائبه: هل رأيت الساعة الثمينة التى كانت فى يد الرئيس البولندى ؟؟ فقال له بريجينيف: لا.. وريني شكلها ايه؟

فى اللحظة الاخيرة: عدلت عن هذا الحديث، فربما يكون الرجل ماركسيا.

ولا مصلحة لى عندئذ ان يتصور الرجل اننى يمينى رجعى متعفن وعميل للمخابرات المركزية.

هل ابدأ حديثى معه عن الجو؟

ان الحديث عن الجو حديث غبى ومستهلك ولو قلت له ان الجو بارد الليلة فمعنى ذلك انه رجل فاقد الحواس والادراك ولم يصل الى علمه امر ذلك الزمهرير الذى يوجع العظام ولكن ماحيلتى والمحاذير كثيرة فى ايجاد حديث بديل؟

بدأت الحديث عن الجو وكان والحمد لله -بالمصادفة- حديثا ناجحا اذ رحت اتكلم عن الجو الممطر العاصف وألعن اكاذيب نشرة الارصاد الجوية، وبالصدفة ايضا اضفى حديثى جوا من البهجة على الحفل وارتفعت الضحكات من حولنا. فقد كان الرجل الذى احدثه رئيس هيئة الارصاد الجوية.

*****

الرؤية ..

لم يظهر فى اميركا كاتب أعلن انه سيعيد كتابة «العجوز والبحر» لهمنغواى برؤية جديدة للسينما ولا ظهر فى أوروبا كاتب يقول انه فرغ من اعادة كتابة «الجريمة والعقاب» برؤية عصرية للتليفزيون ولا سمعنا عن مؤلف باريسى اعد رواية الكاتب العالمى نجيب محفوظ «زقاق المدق» وسماها «زوكاك جابرييل» . .

لكننا نفخر بأن عندنا فنانين يبدعون هذا الفن الجديد فى الأدب والموسيقى ، وما زلت اذكر سيد شحتوت الذى زارنى مرة وقال أنه يعد قنبلة فنية خطيرة ، فهو سيغنى الجندول برؤية فنية جديدة .

قلت له : فعلا عبدالوهاب يقول : قلت والنشوة تسرى فى لسانى هاجت الذكرى فاين الهرمان . . لقد نسى عبدالوهاب هرم منقرع الثالث .

قال لى شحتوت : عندك حق . . هذه ملحوظة هامة سوف اضعها فى الاعتبار بحذف هذا البيت من القصيدة . وعلى أى حال انا لا اقصد الشعر وانما مهمتى ان اغير البناء الموسيقى الذى وضعه عبدالوهاب لأنه لم يعد يناسب العصر .

- تقصد توزيعا جديدا .

- لا . بناء موسيقى برؤية عصرية جديدة .

ووعدنى الموسيقار شحتوت بأن يسمعنى قنبلة الموسم فى الاسبوع التالى غير انى اسفت لان صاحب هذه الموهبة ذات الرؤية العصرية الجديدة لم يعد ، واسفت اكثر ان عبدالوهاب - فى غياب شحتوت - سوف يظل يغنى الجندول متجاهلا هرم منقرع .

ولم اسمع شيئا بعد ذلك عن شحتوت رغم انى اواظب على قراءة صفحة الحوادث لمعرفة اخبار الشمامين .

ولم يمر شهر حتى زارنى شاب اسمه شهاب الدين قال انه جاء يناقشنى فى سبب الحملة على مؤلفى الدراما التليفزيونية كما انه يريد ان يستأنس برأيى فى بعض الشئون الدرامية . وأدركت انه مؤلف مسلسلات فقلت له : أننى لا أهاجم ، ولكن أخذ على معظمهم انه لم يحاول ان يستفيد من مجانية التعليم .

وقال شهاب الدين أنه أعد قصة «انا كارنينا» لتولستوى برؤية جديدة وسماها «زعبوط عم عبده» غير ان هذا ليس هو المشروع الكبير . وانما مسرحية عطيل هى ما يشغل فكره الآن ، فهو قد وضع لها رؤية جديدة تماما .

- وما هى هذه الرؤية؟

- عطيل اسمه عطا الله البحيرى وهو ملك سوق السمك وديدمونة اسمها دومة وهى امرأة جميلة ولعبية ، ولم يقتل عطيل ديدمونة بسبب غيرته عليها ، بل ان دومة هى التى تقتل عطا الله ليخلو لها الجو مع عشيقها خليل ابو شفة .

- ولكن ديدمونة كانت بريئة وليس لها عشيق .

- هذا جزء من رؤيتى الجديدة . . ودومة هى التى تخطط لقتله قبل ان يقتلها شان اية امرأة معاصرة . فلقد انتهى عصر المرأة التى يقتلها الرجل غيرة عليها بعد انقراض الرجل الحمش ، لكن عندى فكرة اخرى ليتنى اعرف رأيك بشأنها .

- ما هى؟

- لا تقتله ولا يقتلها ، بل يسبب لها عاهة مستديمة تشوهها فى نظر عشيقها خليل ابو شفة فيهجرها .

- هذه فكرة افضل . . اقترح ان يلكمها عطيل لكمة قوية فى انفها تصبح بعدها ديدمونة «خنفة» ويشمئز من منظرها خليل ابو شفة وهو يرى انفها آيلا للسقوط ، ثم . . يجهز على انفها بالضربة القاضية بعد ان ضاق بها وهى تنادى ، اسمه يصوتها الأخنف : يا خنين . .

بعد فترة قرأت عن تمثيلية سهرة اسمها «الخنفاء» ولا اعرف ان كانت اذيعت ام لا ، لكنى لم اسمع عن شهاب الدين رغم مواظبتى على قراءة صفحة الحوادث لمعرفة اخبار الشماmين .

*****

الجديد .. !

بعض الناس يلعنون الفيديو لأنه اختراع خطر على اخلاق الشباب ، ولا يرون من هذا الانجاز العلمى الا هذا الجانب القاتم !

وقد خلق الله يد الانسان ، فبنت وارتفعت بالبناء وعمرت الدنيا ، وابدعت وكتبت. ونظمت وعزفت الموسيقى . ووفق آراء اعداء الفيديو كاسيت فان هذه اليد تستحق قطعها لأنها تقتل وتسرق وتسبب اذى عظيما مثل كتابة مسلسلات التليفزيون!

وفى القرون الوسطى شن رجال الدين حربا رهيبة عند ظهور الكتاب المطبوع . وقالوا انه سوف يلهى الناس عن العبادة . واشترك الامراء والاقطاعيون في الحرب ضد الكتاب لأنه سوف يصرف الناس عن العمل !

ولما انتشر الكتاب وأدرك الناس قيمته. بدأت حرب جديدة ضد ظهور الصحف لأنها ستقتل الكتاب .

وعندما تم بناء برج القاهرة انتحر من فوقه شخص متزوج ، فنادى البعض بهدم البرج ، ودارت المناقشات تبحث : هل الابراج وجدت قبل اختراع الانتحار أم أن الانتحار تم اختراعه قبل الابراج أم أن الابراج تحرض المتزوج على الخلاص من الحياة؟؟

وبعد ظهور السينما وانتشار دور العرض ارتفعت الاصوات تلطم وتبكى وتعلن عن ظهور تلميذ العصر السينمائى الذى يقفز من سور

المدرسة ليذهب الى حفلة الساعة العاشرة صباحا، فلما اصبحت الدراسة صباحية ومسائية نادى البعض باغلاق دور السينما حماية لتلميذ العصر السينمائى؟

ولما ظهر التليفزيون قالوا ان الازواج اصيبوا بالخرس فى البيت بسبب الفرجة على التليفزيون مع ان الزوج مخروس دائما منذ ان كان يجلس مع زوجته فى كهف العصر الحجرى!

وتوالت الاتهامات للتليفزيون!

قيل إنه يسبب العته والبلاهة بمسلسلاته النكد، ثم اتضح ان الناس يحبون النكد بدليل انهم يتزوجون طواعية.

واذا امتد ارسال التليفزيون الى ما بعد منتصف الليل قالوا ان الناس تسهر الى ساعة متأخرة فلا تنهض للعمل بنشاط فى الصباح، واذا انهى ارساله مبكرا قالوا ياوقعة سودة على زيادة النسل.

ولما اخترع جراهام بل التليفون فى اميركا وانشئت شركة بل للتليفونات شنت الدعاية للاختراع الجديد حربا رهيبة ضد السكة الحديد فكانت الاعلانات تقول لا تسافروا بالقطار لزيارة اقاربكم تكلموا بالتليفون فهذا افضل كثيرا لأن السكة الحديد كلها حوادث.. تستطيع ان تسمع صوت ابنك فى نيويورك وانت داخل فراشك الدافىء فى سان فرانسسكو.. أليس هذا افضل من ان يصبح ابنك يتيما بعد ان ينقلب بك القطار؟

واشتدت الحملات على القطار وترددت اشاعات واقاويل وتحدثوا عن القطار الذى خطف خمسة ركاب من مقصورتهم ودخل يأكلهم فى النفق!

*****

إنسان التليفزيون ..

عندما تجلس امام التليفزيون البريطانى تجد انتاجا فكريا متميزا تقدمه مجموعة تليفزيونيين على درجة عالية من الثقافة والقدرة على الاستمالة والوصول الى عـقلك وقلبك، الأمـر الذى يدفـعك الى المقـارنة بالتليفزيون فى بلادنا بما فيه من فكر متواضع وساذج لكنك لن تلبث ان تكتشف ان المقارنة غير عادلة من جوانب متعددة خذ على سبيل المثال اصل الفكرة من وجود التليفزيون: ففى بريطانيا نجحت جمعية رعاية المسجونين فى مساعيها فادخلت التليفزيون.. الى السجون للترفيه والتثقيف، بينما اعترضت جمعيات رعاية المساجين فى بلادنا على ادخال التليفزيون فى السجون لاعتباره عقوبة اضافية لم ينص عليها حكم المحكمة .

ثم لابد ان نلتمس العذر للمشرفين على التليفزيون فى بلادنا لانهم لا يملكون ادوات تحقيق النجاح المنشود فالقانون البريطانى مثلا ـ بعكس القانون عندنا ـ يشترط فى مؤلف الدراما معرفة القراءة والكتابة .

ومع ذلك فان التليفزيونيين عندنا معذورون، اذ اعتقد ان اصعب سؤال تلقيته فى حياتى: لو كنت مسئولا عن التليفزيون، فكيف تضع خريطة برامج تسعد بها كل الناس؟

لقد فكرت طويلا فى هذا السؤال العسير وكان ينبغى الرد عليه أن احدد فئات المشاهدين الذين يتلقون البرامج :

انسان المسلسلات وهو مشاهد مضطرب الذهن ويستسلم لكل ما يشاهده دون نقاش . . لقد عرضت التليفزيونات العربية ذات مرة حلقة من برنامج الكاميرا الخفية ظهرت فيه سيدة تمسك رجلا بسلسلة كلب وتكلف رجلا آخر من المارة بالامساك بالسلسلة وتولى حراسته ريثما تدخل احد المحلات . هذا الرجل الذى قبل هذه المهمة يمثل تماما «انسان المسلسلات» فقد امسك بالسلسلة وابدى قبوله ان يتولى حراسة الرجل المربوط دون ان يناقش او يسأل لماذا وكيف تربط زوجها بهذه السلسلة؟ انه اعتاد ان يشاهد فى المسلسلات اشياء غير منطقية وغير طبيعية تحولت باعتياد مشاهدتها الى اشياء طبيعية فان ادمانه على المسلسلات دمرمراكز الادراك السليم بالمخ .

ثانيا - انسان كروى : وهو انسان كرة القدم عنده هى كل شىء حتى أصل الانسان ـ عنده ـ كرة طلع لها يدان وساقان ، وكل اسم يسمعه لابد ان يكون له مدلول كروى ، انه متقوقع فى عالم الكرة ، اذا سألته عن اميل زولا ظن انه سنتر هاف فرنسا ، وهاملت هو جول الدنمارك اما كابتن تولستوى فهو مدرب الفريق القومى .

ثالثا : انسان متقوقع فى الكتب ويعتبر الضحك من غير سبب قلة أدب . أما الضحك بسبب فسطحية وضحالة . تشده البرامج الترفيهية الجذابة مثل نظرية الشعر عند ارسطو .

رابعا ـ انسان طفل تقدم إليه برامج الاطفال وتسعده هذه البرامج كثيرا لأنه يضحك معها على بلاهة الكبار الذين وضعوها له .

خامسا ـ انسان عاقل وغير متخلف عقليا وهو انسان لا يفتح التليفزيون ابدا .

*****

أكشن ..

زمان كانت الدراماالدينية عندنا شيئا فجا: فهى الأفقر فى الانتاج، والأكثر سذاجة فى المعالجة. والأشد تشنجا فى الاداء والأبعد تماما عن الاقناع!

وقد احتاج مخرج ذات مرة ان يصور هجوم الافيال فى الحرب التى شنها ابرهة القائد الحبشى للاستيلاء على الكعبة. فلم يجد فيلا فى مصر كلها الا فيل حديقة الحيوان بالجيزة.

ورفضت ادارة الحديقة اخراج الفيل من الحديقة، فاضطر المخرج الى بناء ديكور الكعبة فى الحديقة وكان المشهد يقتضى ان يهجم الفيل على الكعبة، وقبل ان يبلغها يتوقف فجأة ـ امام قدسية المكان ـ دون ان يكمل هجمته. وقال حارس الفيل انه يستطيع ان يجعل الفيل يجرى نحو الكعبة لكنه لا يستطيع ان يوقفه الا اذا القى له بقرش ـ كما تعودْ من متفرجى الحديقة ـ فيلتقط الفيل القرش ثم يضرب سلاما بالزلومة شكرا على القرش، ولما كان مشهد الفيل سوف يتكرر كأنه حشد من الافيال تهاجم الكعبة، فقد ظهرت الافيال حول الكعبة تضرب سلاما بالزلومة شكرا على القرش!

وقد تطورت الدراما الدينية الى مسلسلات ذات الوان وإبهار، ولكنها ظلت تكتفى بالمراجعة الموضوعية للنص دون المراجعة العلمية الدقيقة الخاصة بالأزياء والديكور وطابع العصر الذى تدور فيه الاحداث

فخلطوا الثوب الرجالى الإغريقى «الأيونى» بالزى الرومانى، وامتزج الديكور البيزنطى باليونانى، ورأينا الاميرة الوثنية تظهر باخر تسريحة باريسية، ورأينا امبراطور الوثنيين يلبس تاجا مصنوعا فى خان الخليلى ومن نفس المحل الذى يورد فوانيس رمضان، ولو سلطت الكاميرا فوق رأس الملك لاكتشفت مكان الشمعة داخل التاج!

وعندما كتبت مرة عن ممثل ظهر فى احدى الحلقات الدينية وهو يلبس فى معصمه ساعة زينيت، شكا المخرج لطوب الارض اننى رجل مفترى اتجنى على الحقائق، وأن الممثل لم يكن يلبس ساعة زينيت بل ساعة روليكس!

وعموما فان الدراما عندنا لا تعرف المراجعة العلمية الدقيقة وهو ما تحرص عليه شركات الانتاج الكبرى فى العالم المتحضر، ، وقد كان قدماء السينمائيين المصريين يصيبون بطل الفيلم بالعمى، وفى آخر خمسة امتار من الفيلم تحدث النهاية السعيدة فيصطدم رأس البطل بشجرة وعندئذ يستعيد ابصاره فورا، وقد احدثت هذه الشجرة انقلابا هائلا فى طب العيون السينمائى، فمع التقدم العلمى تطورت هذه الشجرة الى شاكوش فى يد شرير الفيلم يضرب به البطل الكفيف فى رأسه فيعود اليه الابصار فى العين اليمنى ثم يضربه شاكوش شمال فيبصر بعينه اليسرى، ثم يهرب الشرير. ويظل البطل يبحث عنه طوال الفيلم الى ان يعثر عليه، فيتوسل الى الشرير لكى يضربه شاكوشا آخر فى رأسه ليعيد اليه ابصار العين اليمنى، غير ان هذا الفيلم لم ير النور بسبب اختفاء المخرج. اذ كانوا فى ذلك الزمان الغابر يقبضون على الهاربين من فصول محو الأمية..

******

المقص المعجزة .. !

اكـتـمل المشـروع الذى أعـددته لانشـاء الشـركـة وأصبح جاهزا للعرض على السيد الوزير . أعددت قائمة بالأسماء المقترحة للشركة : شركة النصر لصناعة المقصات (نصريكو) . الشركة العامة لصناعة المقص (مقاصيصكو) . الشركة العامة للتجارة والمقصات (مقصتكس) .

كذلك اعددت قائمة بالأسماء المقترحة لماركة المقص، مقص نصر ، مقص القاهرة، مقص الظافر ، مقص الحرية، مقص التحرير ، المقص الاشتراكى .

لفت السـيـد نائب الوزير نظرى الى اننا نـنفـرد بميـزة عن بلاد العـالم أجمع . أسماء الشركات عندنا ، وأن السيد الوزير يرى أن طول اسم الشركة يوحى بأهمية وتعدد انتاجها، ثم اضاف قائلا : فمثلا : مع ان اسم الشركة العامة لمنتجات النشا والخميرة هو اسم طويل . فقد كان من رأى السيد الوزير ان يطول الاسم اكثر الى : الشركة العامة لمنتجات النشا والخميرة البيرة وغيرها من الخميرة .

بناء عليه، اقترحت اسما جديدا للشركة يكشف اهمية وتعدد انتاجها هو : شركة النصر لصناعة مقصات الخياطة ومقصات الحلاقة ومقصات اظافر اليدين والقدمين (مقصتكس) .

ولكن السيد نائب الوزير رأى ان هذا الاسم قصير . فاستقر الرأى على ان يكون اسم الشركة شركة النصر لانتاج الفلزات القاطعة والقواطع الحديدية المحورية والتوريدات المعدنية (فلزوتيكا) .

كما استقر الرأى على ان يكون اسم ماركة المقص : مقص الشعب .

المصنع جاهز للتشغيل . بلغت التكاليف مليونين و ٨٠٠ الف جنيه .

بناء على الدراسة التي كلفت بها المدير المالي . قال المدير المالى ان المصنع سيوفر سنويا ٣ الاف جنيه استرلينى تدفعها الدولة فى استيراد المقصات .

ابلغت نائب الوزير ان المصنع سيوفر سنويا ٧٥ ألف جنيه استرلينى .

قال نائب الوزير للسيد الوزير أمامى إن المصنع سيوفر سنويا ١٥٠ الف جنيه استرلينى .

أدلى السيد الوزير بتصريح قال فيه ان المصنع سيوفر نصف مليون جنيه استرلينى .

المصنع لم يبدأ تشغيله بعد ولكن الذى بدأ هو الحملة الاعلانية المكثفة فى الصحافة والتليفزيون والسينما عن مقص الشعب . ظهر مع كل اعلان الشعار الجديد الذى رفعناه . «مقص لكل مواطن» سعدت جدا والمذيعة تقرأ هذا الاعلان الذى كتبته بنفسى : ان شركة النصر لانتاج الفلزات القاطعة والقواطع الحديدية المحورية والتوريدات المعدنية . «فلزوتيكا» يسرها ان ترسى اسس الحياة الكريمة للمواطنين ، فإن الحياة الكريمة لا يمكن ان تتحقق الا بتوفير مقص لكل مواطن .

اعـجـبنى اعـلان آخـر يكشف عن دور شـركـتنا فى حـفظ القـيم الأخلاقية، إذ سيظهر مشهد فاضح لرجل وامرأة بينما المذيع يقول: هذا المنظر الخليع قصه الرقيب بمقص الشعب.

المشاورات تجرى: هل نجعل أولوية حجز المقص للعملة الصعبة؟

*****

هذه يوميات من كراسة قديمة لرئيس مجلس إدارة زمان

ظهرت بوادر انتاج المصنع، مفاجأة غريبة. المقص بأنواعه الثلاثة ـ خياطة وحلاقة واظافر ـ مسدود الاذنين بحيث لا يمكن ان ينفذ اليها الأصابع للامساك به واستعماله ـ قال الفنيون ان هذا العيب بسيط جدا ويمكن تلافيه.

المحاولات تجرى لعلاج اذنى المقص كما تبين ان هناك عيبا بسيطا آخر وهو ان المقص - بأنواعه الثلاثة ـ لا يقطع القماش ولا الشعر ولا الاظافر، بل يكتفى بمضغها بين طرفيه. ونظرا لانسداد اذنيه امسكت بالمقص بكلتا يدى كمقص النجيل وحاولت قص ورقة فلوسكاب فمضغها.

مفاجأة غريبة جدا. جاءنى المدير التجارى ومعه ٧٠ الف مقص مكتوب عليها انها مصنوع فى شيفيلد ببريطانيا، وأكد المدير التجارى انها تسربت من مخازن الشركة بمعرفة تجار البضائع المهربة الذين ازالوا ماركتنا وكتبوا عليها بالانجليزية ليوهموا الناس انها مستوردة. قلت له: ولكن مقصنا ودانه مسدودة، قال: خرموها يا افندم. قلت له: ومقصنا يمضغ ولا يقطع، قال فى دهشة: ما تفهمش يا افندم عملوا فيه ايه خلوه زى المشرط.

وافقت على رأى المدير التجارى بإزالة الماركة الاجنبية المزيفة واعادة ماركتنا الى هذه المقصات وارسال عينة منها الى السيد الوزير.

تلقيت تهانى السيد الوزير بجودة انتاجنا الذى يضارع أرقى المستويات العالمية ، وكانت هذه التهنئة حافزا عظيما للفنيين لمضاعفة الجهد فى معرفة السبب ان مكن المصنع لا يزال يخرج المقص بودان مسدودة .

طرحنا فى السوق كمية المقصات التى ازال تجار البضائع المهربة ماركتنا من عليها ليبيعوها كمقصات مستوردة .

انجح اعلان تليفزيونى وسينمائى ظهر حتى الآن : شاب يجرى بأقصى سرعته وسط حركة المرور ، يستوقفه صديق ويسأله لماذا يجرى هكذا ، فيرد الشاب : رايح اقص بمقص الشعب ، ثم رجل يركب سيارته ويدير محركها باستعجال بالغ ولا تلحق به زوجته التى يقول لها : رايح اقص بمقص الشعب ، طبيب يترك بطن المريض مفتوحة فجأة ويجرى خارجا يردد : رايح اقص بمقص الشعب ، ثم يتحول الاعلان الى جموع من الناس تجرى فى الشوارع ، فى الميادين ، فى الحقول وهم ينشدون : رايحين نقص نقص نقص . . رايحين نقص بمقص الشعب ، وينتهى الاعلان برجل يحاول اللحاق بقطار اطل كل ركابه من النافذ يغنون مخاطبين الرجل : رايحين نقص نقص نقص . . يا عينى عليك مش جاى تقص ، وينهار الرجل بعد ابتعاد القطار ويقرر الانتحار لأنه مش رايح يقص ، لكن فرحة الدنيا تعود اليه عندما يقدمون اليه مقص الشعب وهو يغنى : دلوقت اقدر اقص هذا الاعلان الذى ملأ دور السينما ويذاع فى التليفزيون كل نصف ساعة حفظه الصغار والكبار وهكذا اصبح لمقص الشعب مكانة قومية عظيمة .

أبدى السيد الوزير رغبته ان نصدر مقص الشعب الى الخارج نظرا لارتفاع مستواه فطلبت من سيادته مهلة للتشاور مع الفنيين فى الشركة .

سألنى السيد الوزير عن الأرباح المتوقعة للشركة هذا العام . قدرتها بنصف مليون جنيه . كان السيد الوزير سعيدا وهو يهدى كبار زائريه مقصا من مقصاتنا التى زيفها تجار البضائع المستوردة الضلالية فأزلنا كتابتهم المزيفة وأعدنا كتابة ماركتنا عليها .

فى اجتماعى اليوم برجال الشركة . ، قالوا ان طاقة المصنع الحالية لا تسمح بتحقيق رغبة السيد الوزير فى التصدير . أكد لى الفنيون ان انتاجنا فى تحسن مستمر وان المكن الان يخرج المقص بودن واحدة مسدودة وقريبا جدا سيزيلون انسداد الودن الثانية ، وان تجارب تحويل المقص من مقص ماضغ الى مقص قاطع تبشر بالخير .

ضبط المدير التجارى كميات أخرى من مقصاتنا التى ازال تجار البضائع المهربة ماركتنا من عليها وعملوها مقصات انجليزى . قال لى المدير التجارى ان مديرى التسويق فى الشركات التى تنتج وتتجر فى المواد الاستهلاكية قد حفيت اقدامهم للاجتماع به ، فهم يريدون ان يروجوا سلعهم ببيع مقصنا الشعبى المحبوب مع سلعهم . فمن يشترى خمسة أمتار كستور مثلا لابد ان يشترى معها مقص الشعب وعلى تاجر التجزئة ان يشترى كمية مقصات تناسب عدد امتار اثواب الاقمشة الشعبية التى يتسلمها . والله هذه فكرة صائبة ، فلابد ان نعاون الشركات الاستهلاكية فى ترويج سلعها .

ماذا جرى لأخلاق الناس الصحف مليئة بأخبار الحوادث مواطن اشترى ١٢ متر دبلان لأسرته ورفض انْ يشترى معها مقصين بثلاثة جنيهات . أمسك بالمقص ذى الأذن المسدودة وسأل البائع . بتقص به

ازاى ده؟ افهمه البائع ان يمسك بالمقص البائع يديه . فما خلق الله اليد اليسرى الا لتعاون اليمنى ، رفض المواطن فامتنع البائع عن اعطائه الدبلان . مواطنة رفضت ان تشترى مقص اظافر مع زجاجة مانيكير من احدى الصيدليات . سألت عن ثمن المقص ، ٤٠ قرشا نظرت لفردتى المقص المفكوكتين وبدأت تناقش الصيدلى فانهى المناقشة بأنه تسلم المقص مفكوكا ويمكنها ان تربطه فى البيت وتخرم ودنه التانية . حدثت مشادة اتهمت خلالها الصيدلى انه لص فشد الباروكة من على رأسها وطوح بها فى الشارع ثم سكب مادة حارقة على صلعتها ، راكب اتوبيس رفض ان يتسلم باقى التذكرة مقص اظافر . معركة . ماذا جرى لاخلاق الناس؟ اللهم لطفك .

الحمد لله المصنع لا يلاحق طلبات السوق ورغم هذا النجاح فقد كتب بعض الصحفيين المغرضين يندد بهذا الانتاج الردىء ويتهم الشركة باللصوصية وامتصاص دم الشعب .

اصدرنا بيانا نددنا فيه بالمخربين الذين يريدون هدم القطاع العام وتقويض صناعة وطنية اثبتت تفوقها على مثيلاتها العالمية . عززنا هذا البيان بفيلم سينمائى تليفزيونى للمعرض الذى اقمناه وافتتحه السيد الوزير وشاهد فيه انتاجنا من المقصات التى زيفها تجار البضائع المهربة واعدنا كتابة ماركتنا عليها .

وهكذا خرس الصحفى المغرض خصوصا ان الرقابة حذفت مقاله الذى اراد ان يرد فيه علينا بافتراءاته

المكن يعانى بعض العيوب البسيطة التى نتج عنها سد ودن المقص مرة اخرى كما ان المكن اصبح لا ينتج الا فردة المقص الشمال فقط ففكرنا ان

نصنع للمقص فردتين شمال ونعطى المسمار للمستهلك يربط به الفردتين ويتصرف كما يشاء. ثم استشرنا المختصين فى الدولة التى اشترينا منها المصنع فقالوا لابد من نقل المصنع الى بلادهم لفحصه واصلاحه وإعادته على حسابنا لأن المصنع من الاسرار الصناعية الكبرى لدولتهم، ومعنى هذا التعطيل خسارة محققة للشركة وانتهت المشكلة باقتراح للمدير التجارى الذى قال ان المواطنين الذين شجعوا انتاجنا ويقبلون عليه لن يضيرهم ان نبيع لهم المقص فردة واحدة شمال وودنها مسدودة.

قدمنا الميزانية الى السيد الوزير وادلى سيادته الى الصحف والاذاعة والتليفزيون والريكوردر والبيك اب بتصريح قال فيه انه يفخر بأن الشركة قد حققت ربحا قدره ثلاثة ارباع مليون جنيه كما فازت بكأس الانتاج. ومنذ سبعة اشهر ونحن نبيع المقص فردة واحدة شمال دون ان ترتفع شكوى او يكتب صحفى موتور، صحيح ان هناك رقابة على الصحف، ولكن ليس هذا هو السبب فى خرس الأقلام الموتورة والمخربة. . السبب هو تشجيع الناس وحبها لمقص الشعب الذى يرددون له مع اغانى الاعلانات. . لعب وجد وجد ولعب. . يا حلاوتك يا مقص الشعب.

*****

التدابير لله ..

بدأ المنصب الوزارى بوزير «فـاضى» طول الوقت مـهنتـه ان يقـول له الملك دبرنى يا وزير فـيـرد الوزير قـائلا : التـدابير لله يا ملك ، ثم يسكت بعـدها هارشا ذقنه فى انتظار رأى الملك الذى طلب منه الرأى!

وكـان الوزير يقبض مرتبـه الشـهـرى مـقـابل هذه العبارة : التدابير لله يا ملك . أما فى الدول القديمة الفقيرة التى كان يظهر فيها قوس قزح ـ لشدة فقرها ـ ابيض واسود ، فقد كانوا يمنحون الوزير ـ فوق مرتبه ـ بدل تمثيل لقول التدابير لله يا ملك ، وبدل ملبس يلبسه أمام الملك ليقول التدابير لله يا ملك ، وبدل انتقـال لينتقل الى الملك ويقـول التـدابير لله يا ملك ، وكـان يركب نوعـا نادرا وفاخـرا من الحمير اسـمه حمارسيدس .

وجاء العباسيون فاستحدثوا لأول مرة نظام الوزير الذى يرأس الجهاز الادارى للدولة ، ولما كان البرامكة وزراء لهم الرأى والتنفيذ ، فقد عصف بهم هارون الرشيد ليثبت ان عين العقل هو ان يقول الوزير ـ ردا على دبرنى يا وزير ـ التدابير لله يا ملك .

وجاءت العصور الحديثة فامتلأ وقت الوزير فى الدول النامية واصبح مشغولا بالتصريحات المتوالية التى يدلى بها الى الصحافة والتليفزيون والاذاعة والكاسيت والفيديو والجرامفون ، فإذا سئل الرأى عند صاحب الرأى قال التدابير لله يا ملك .

إن الممثلين زمان كانوا ينفردون بالنجومية لانفرادهم بشاشة السينما، أما اليوم فإن شاشة التليفزيون الملون تتيح فرصة النجومية لغير الممثلين.

فتسطع النجومية اكثر كلما زاد الظهور على الشاشة، وزيادة الظهور على الشاشة مرهونة بزيادة التصريحات، لهذا تجددت التصريحات وتنوعت، وغلب الابداع عليها، مثال ذلك ما صرح به بعضهم من انه اعد مشروعا لتدفئة البحر شتاء حتى لا يقتصر موسم الاستحمام فى البحر على شهور الصيف.

والتصريحات غريزة فى الإنسان، يحب قولها ويحب سماعها أيضا فإذا غلب عليه حب قولها فهو سيصبح وزيراً، وإذا غلب عليه حب سماعها فهو سيصبح مواطنا إلى الأبد. والحقيقة اننا نبدأ حياتنا بأول تصريح فولكلورى نسمعه ونحن فى لفة الطفولة والكافولة. إذ تقول الأم ننه نام ننه نام وأدبح لك جوزين حمام، هذا اول وعد معسول كاذب نسمعه صغارا ويتعذر تحقيقه طبعا بالنسبة لوليد لم تنبت اسنانه بعد لمضغ جوزين الحمام. ثم نستمرىء بعد ذلك سماع التصريحات لأنها تداعب عندنا الامانى والتطلعات. فيصرح الأب لولده قائلا: سوف اشترى لك ساعة اذا فعلت كذا، وسوف اشترى لك آلة تصوير إذا حدث كيت ويفعل الولد كذا ويحدث كيت ولا تتحقق التصريحات.

ثم يشتد عودنا ونكتشف ان التصريحات ضرورة من ضرورات الحب والغرام، ولذلك نجدها منتشرة فى اغانى المحبين، حيث يصرح عاشق غنائى بقوله ابنى لك قصر عالى واخطف نجم الليالى، وآخر يقول امشى لك سبع شهور واعدى لك سبع بحور، ثم يتزوج الانسان ويصبح محترف تصريحات لزوجته خصوصا عندما يقول لها باحبك.

ويكبــر الانســان مــركــزا ومكانة ويدخل فى مــرحلة جــديدة من التصريحات للصحافة والاذاعة والتليفزيون وقد صار وزيرا، ولاشك ان هذا العصر التليفزيونى يعد العصر الذهبى للتصريحات وسوف يخلدون هذا العصر بعمل شطرنج بالبطارية لا يتحرك فيه الوزير من مربع الى مربع الا اذا قال تصريحا .

*****

فلسفة بيروقراطس

من أحلى القـصـص الكومـيـدية التى حـدثت فى الواقع البيروقراطى وغابت عن السينما والتليفزيون ان موظفا بمديرية الصحة باحدى المحافظات تم تكليفه بتسليم تسعة مرضى الى مستشفى الامراض العقلية بالقاهرة. ولما كان هذا الموظف لديه مناسبة عائلية فى نفس اليوم لابد من حضورها فقد عهد بالمهمة وديا الى سائق الميكروباس الذى كان سيصحبه مع المجانين التسعة. وسلمه كشفا باسمائهم ليوقع عليه موظف المستشفى باستلامهم. وفى الطريق نزل السائق يشرب الشاى وعاد ليجد ان المرضى هربوا من السيارة فلم يكترث بل أكمل رحلته الى القاهرة. وفى موقف احمد حلمى راح ينادى نفر بلبيس... نفر بلبيس فلما اكتمل العدد الى تسعة تحرك الميكروباس ثم استأذنهم السائق فى مشوار صغير لمستشفى العباسية. وفى فناء المستشفى هبط السائق وتوجه الى الموظف المختص وهمس فى اذنه بأنهم من المجانين الخطرين. وانه عانى منهم الأهوال ولولا ستر ربنا لقتلوه فى الطريق.

وانقض زبانية المستشفى على المواطنين التسعة الذين حاولوا ان يثبتوا عبثا - لأمد طال - انهم عقلاء فما دامت الخانات فى الدفاتر مسددة. والدفاتر تقول انهم مجانين. فهم مجانين ولا يعلى على كلام الدفتر الحكومى.

حتى وجود الانسان على قيد الحياة مرتبط بالاوراق التى تثبت ذلك ، فإذا اختفت هذه الاوراق كان هذا الانسان فى عداد الموتى رسميا دون ان يتوفاه الله . مثال ذلك ان مستحق المعاش عليه ان يقدم إقراراً سنويا بأنه على قيد الحياة . فإذا ذهب بلحمه ودمه ليثبت انه حى فهذا لا ينهض دليلا على انه حى ولابد من الورقة والاقرار!

وغباوة البيروقراطية لا تقتصر على بلد دون اخر فهى تنتشر فى الدنيا كلها . فى ايطاليا مثلا : على مستحق المعاش ان يقدم اقرارين كل شهر - لا كل سنة - واحد انه على قيد الحياة والثانى ان صفته كمستحق للمعاش لم تتغير . وقد ذهب عجوز ايطالى ليقبض معاش ابريل ومايو ويونيو فلم يقبض الا معاش يونيو . اذ طالبوه بأن يثبت انه كان على قيد الحياة فى ابريل ومايو ليصرف معاش الشهرين!

وفى بريطانيا تشترط بلدية المدينة التقدم بقائمة النباتات والزهور التى ستزين النوافذ ووقع الموظف المختص بالموافقة على طلب المواطن كتب انه سوف يزرع فى النوافذ «سولانم مليونجينا» «وفيكس سيارموس» اسمان علميان للباذنجان والجميز .

وفى اميركا دخل خبير ادارى احد مكاتب الحكومة الفيدرالية فى واشنطن وسأل الموظفين الثلاثة بالمكتب سؤالا واحدا ماهو عملك هنا؟

ورد كل موظف قائلا : لا اعمل شيئا فكتب خبير الادارة فى تقريره تشابه اختصاصات ويكفى موظف واحد لقيام بهذا العمل!

وفى احدى ادارات الانتاج الحربى بواشنطن جلس اثنان من العاملين فى مكان واحد يعملان شهورا طويلة دون أن يتبادلا غير التحيات ،

ولاحظ احدها ان زميله ينصرف فى الساعة الرابعة بينما يظل هو يعمل الى مابعد الساعة الرابعة؟؟ فقال الاخر عندما تقع فى يدى اوراق تحتاج الى عمل مرهق ودقيق فاننى اكتب عليها تحال الى الكابتن اندرسون للتصرف فلا يعيدها لى ابدا الكابتن اندرسون .

وحملق الرجل فى زميله ليسأل الاخر اراك مندهشا فرد عليه قائلا : هذا طبيعي فأنا الكابتن اندرسون!

*****

أولاد العز .. !

قال لى: شىء يدعو للفخر ان يصل المصرى القديم الى هذه القدرة المذهلة فى حفظ الطعام آلاف السنين باكتشاف قوالب الزبدة الفرعونية ومن قبلها الجبنة البيضاء وبها بكتيريا صالحة للتخمير انه اعجاز علمى بكل المقاييس كان يجب ان تهتم به أجهزة الاعلام اهتماما خاصا لتعرف الدنيا من نحن ومن نكون ومن نحن ومن نكون حقا؟؟

نحن اولاد الناس الطيبين خوفو وتحتمس واحمس واخناتون ورمسيس لكن هناك من يدعى اننا احفاد متخلفون وان سبب تخلفنا هو تفاخرنا المستمر بالاجداد والاهرام والكرنك وقوالب الزبدة.

لا تلق بالا لهؤلاء يا صاحبى لعلهم حاقدون.

هناك ايضا من يقول اننا الاحفاد نلبس ياقة منشاة مهترئة وثيابا بالية عليها اثار العز القديم ونقدم انفسنا الى المجتمع الدولى بأننا من اكبر عيلة فى التاريخ لا نليق بالا ايضا ان كان ردهم علينا: طظ.

فنحن من عالم حديث لا يعترف بأولاد الذوات من العائلات العريقة كما أنه عالم يستنكر ان يعيش الانسان على سمعة قديمة ولكن اطمئن فنحن الاحفاد لا نقل عظمة عن الاجداد فاذا كانوا قد استطاعوا حفظ قوالب الزبدة من ألوف السنين فما حاجتى انا الحفيد الى ذلك فى عصر

ديب فريزر ايديال وهو فى متناول كل الحاجزين بالدور او بالوساطة واذا كان الوزير امحوتب رائد الفن المعماري ومصمم هرم سقارة اعتبرته الحضارة الاغريقية فوق البشر لعبقريته وعبدوه بالفعل الها للطب والسحر والفلك فنحن الاحفاد ايضا عندنا الوزير العبقرى الذى تعبده حضارة بنى همبكة وتقيم له الطقوس وتحرق البخور واذا عيرك أحد بأن نسبة الامية بلغت ٧٠٪ بين أحفاد قدماء المصريين اول من اخترعوا الكتابة فى التاريخ فرد قائلا : بأننا ايضا ابتدعنا كتابة تصويرية كالهيروغليفية فالهلال معناه الحزب الوطنى والنخلة معناها الوفد والنجمة معناها حزب العمل والمفتاح معناه حزب الاحرار واذا قيل لك ان الاجداد قد برعوا فى علم التحنيط الذى لا يزال سرا كيميائيا مستغلقا ففاخر قد نجحنا ايضا فى صنع المومياء او الانسان المحنط (ادخل مصلحة حكومية وانظر الى الجالسين على المكاتب) واذا كان الفراعنة رواداً فى اكتشاف الامراض وعلاجها فان طب الاحفاد لا يزال سباقا ايضا الى اكتشاف كل جديد . آخرها ذلك المرض الذى يصيب الانسان بالاسهال مع العطش الشديد والمغص وصعوبة البلع واصفرار الوجه وزيغ العينين عقب تناول زيت التموين .

ولا تجعلهم يشككونك فى نسبك .

بالتأكيد نحن ابناء قدماء المصريين فمن المؤكد انهم لم يعثروا علينا على باب جامع .

نحن اولاد الناس ونحن من أعرق الاسر فى البشرية اولاد الذوات وعن وجه الشبه بيننا وبين ابائنا الاوائل فهو قوى جدا . امشِ فى القرية

والمدينة وسوف تجد كل الوجوه صورة طبق الاصل من سنفرو ونفتاو ونخت وسى تى وتى تى ولا تبالغ فى الاختلافات .

الاختلاف الوحيد بيننا وبينهم هو مسألة الوقت فنحن مثلا نرى ان التأنى واجب وهم كانوا فى عجلة من أمرهم يحرصون على الوقت بطريقة مزعجة فلم يعرفوا المسلسلات ولا اللب ولا أغانى عدوية وحتى زيهم الفرعونى الشهير الذى يكشف الجزء العلوى من الجسم روعى فيه -مع بساطته وملاءمته للجو- اختصار الوقت في لبسه وخلعه بل هو اسرع زى للبس إذا قورن بما نرتديه نحن فى ريفنا البنش والصديرى فالبنش فيه على الاقل عشرة أزرار قطان والصديرى خمسة عشر زرا ويتطلب تزرير وفك الاثنين خمس دقائق فى المتوسط يوميا صباحا ومساء اى ٣٠ ساعة فى السنة اى يحتاج الانسان كل خمس سنوات الى ستة ايام للتزرير وفك الازرار (غير العطلات الرسمية والاجازات) وكان المصرى القديم يعرف ان القفا العارى يسبب المشاكل اذا امتدت الى هذا القفا يد غريبة . الامر الذى سوف يضيع الوقت فى الخناق فكان غطاء الرأس الفرعونى ذو الخطوط العريضة يغطى القفا بينما البنش بلا ياقة كما ان اللاسة لا تغطى القفا الامر الذى جعل اقفيتنا هى ابرز مايظهر منا بوضوح شديد وهو امر غير مستحب بل ان اهتمام المصرى بالوقت بلغ مداه فأصبح صاحب اول اختراع فى التاريخ لقياس الزمن : المزاول او الساعة الشمسية ويقول ديورانت فى مؤلفه قصة الحضارة ان المصرى القديم قدم خدمة لا تنسى الى الانسانية بابتداعه اول وأدق تقويم سنوى فى العالم أخذه عنه الرومان ثم صار الاصل لكل تقويم وبفضل اختراعات آبائنا

اصبح فى يد كل منا ساعة نعرف بها وقت التوقيع للانصراف من العمل وعلى كل حائط نتيجة نعرف منها موعد القبض اول الشهر وموعد الاجازات والعطلات كذلك كان المصرى القديم يحدد مكان النوم فى الفراش فقط ولم يكن يعرف ان لبدنه عليه حقا وان الانسان يمكن ان ينام فى اى مكان وان يرفع شعار مطرح مايبجى فى عينى النوم أنام وانا مرتاح البال وماكان معيبا بالأمس صار مباحا اليوم وهو النوم فى الممنوع والوقوف فى الممنوع وأولاد الذوات لا يعملون فقد شقى اباؤنا من أجل راحتنا وتركوا لنا ريعا سنويا من الاهرامات والكرنك وتوت عنخ آمون .

*****

.. دكتورة فى درجة الملوحة

* فكرت فيما يفعله الكثيرون هذه الايام وهو ان اغيب شهرين فى اوروبا وامريكا ثم اعود وقد سبق اسمى لقب الدكتور واذا سئلت عن موضوع رسالة الدكتوراة فيمكن ان اقول انها عن الاخطاء المطبعية فى العصر الاموى ورغم ان المطبعة فى العصر الاموى لم تكن قد اخترعت بعد الا ان احدا لن يعير ذلك أهمية وسوف يظل اسمى مسبوقا بلقب دكتور.

ثم عدلت عن الفكرة لما رأيت ان لقب دكتور قد انتشر هنا وهناك فهذا رجل فى فرقة موسيقية عاد من اوروبا يحمل درجة دكتوراة فى التزمير وهذا طباخ فى احد الفنادق عاد ومعه دكتوراة فى دق الكفتة ولن تتعجب كثيرا فى القريب للافتة تحمل اسم عالم جليل حصل على دكتوراه فى درجة ملوحة النباتات: بائع طرشي.

ولقد تسلل الينا ادعياء الدكاترة من ايطاليا بالذات لان كل من يحصل على شهادة تعليم عال او متوسط فهو دوتورى اما من يحصل على درجة الدكتوراة فى ايطاليا فلقبه البروفيسور.

ويبدو ان هذا اللقب العلمى «دكتور» سوف يلحق بلقب افندى الذى كان يعد من اكبر وافخم الالقاب فى القرن الماضى فكانوا ينادون السلطان العثمانى افندم اى مولانا والخديوى افندينا ثم ما لبث ان اصبح لقب

افندى من الالقاب الترسو فى القرن العشرين ذلك ان هناك القابا تفقد سحرها مع الزمان او المكان فقد كان الصدر الاعظم مثلا هو لقب رئيس الوزراء فى الدولة العثمانية ثم اصبح الصدر الاعظم لقب جين راسل فى هوليوود.

وفى الاندلس كان ارفع الالقاب بعد الخليفة هو لقب الحاجب اى رئيس الوزراء ودارت الايام ليصبح الحاجب هو منادى المتهمين والشهود فى المحكمة وسبحان مغير الاحوال.

ويعتبر وزير من الالقاب السياسية الرفيعة لكنه غير معروف فى الولايات المتحدة فالوزير هناك اسمه سكرتير وهو لقب لا يغرى احدا منا بأن يشتغل وزيرا هناك كذلك يختلف لقب وزير فى اسبانيا وايطاليا عن باقى العالم ففى اسبانيا يطلقون لقب وزير على عسكرى الشرطة وفى ايطاليا يطلق لقب وزير على مساعد عشماوى الذى يقوم بتنفيذ احكام الاعدام.

ويبدو اننا مجانين بالالقاب فى كل مجال وبعد وفاة عبدالحليم حافظ مثلا ظهر مطرب اطلق على نفسه لقب العندليب الابيض وانه خليفة العندليب الاسمر ولقد تحول هذا العندليب الابيض الى عندليب ازرق بسبب الكدمات وضرب الناس له ثم اختفى من الحياة الفنية الى الابد.

والظاهر ان الفنانين العالميين لا يحترمون انفسهم كفاية فهذا «فرانك سيناترا» لا يطلق على نفسه كروان المسيسيبى ولم تقل «دونا سمر» انها بلبل الكابيتول ولم نسمع ان خوليو هو امير الغناء الاسبانى بل ولا نرى فى صناع التراث الانسانى لقبا يقترن باسم واحد منهم ابتداء من شكسبير

الى فيكتـور هيجو الى تشيكوف وجوركى وزولا فالالقاب عندنا فقط حتى ولو كان الاسم شامخا بذاته على الزمان : امير الشعراء احمد شوقى شاعر النيل حافظ ابراهيم ، شاعر القطرين خليل مطران ، رب السيف والقلم محمود سامى البارودى ، استاذ الجيل لطفى السيد مع ان التاريخ يحفظ الاسماء دائما بلا القاب عندما تستحق هذه الاسماء ان يحفظها التاريخ لكننا فى بلاد يظل فيها اسم الانسان محاطا بالالقاب حتى بعد ان يلفظ انفاسه وليس أدل على ذلك من زوج يعيش عمره مذعورا كالارنب فى بيت الزوجية ثم تشيعه الزوجة فى يومه الاخير بالقاب فخيمة مثل يا سبعى يا جملى !

*****

القرار ..

فى المدرسة الثانوية كنت شديد الانبهار بنابليون بونابرت ومن اجل نابليون دخلت الجمعية التاريخية لأتعمق فى دراسته ومن أجله ايضا شاهدت كل فيلم سينمائى يروى قصة حياته أو جانبا منها ومن فرط عشق نابليون ليجوز يفين بوهارنيه تمنيت ان تكون الفتاة التى احبها جوزيفين وقد تحققت الامنية فالتقيت فى بلاج جليم بفتاة اسمها جوزيفين لها ملامح لافتة للنظر اذ كانت تشبه اسماعيل ياسين وتختلف عنه في ان اسماعيل ياسين كان من غير شنب .

اصبحت ايضا اقلد نابليون وهو يفكر اذ كان يذرع المكان جيئة وذهابا وهو يعقد يديه خلف ظهره وقد فهمت وقتئذ ان هذه الحركة تساعد على التفكير ثم لما كبرت عرفت ان نابليون كان يصنع اخطر القرارات اثناء هذه الحركة والذى قرأ تاريخ عظماء البشرية يجد ان كلا منهم كان له اسلوبه فى صنع القرار كان امرؤ القيس ـ الملك الضليل ـ هو اول من رفع شعار «اليوم خمر وغداً أمر» وكثيرون مثله كانوا ينغمسون فى اللهو قبل اتخاذ القرار وبعضهم كانوا يعتزلون الناس وحتى المستشارين للوصول الى القرار المناسب .

والبعض الثالث كان يلغى مواعيده ليجتمع بالمنجمين قبل القرار ومنهم من كان يتفاءل ببدلة معينة يرتديها ويعتقد انها سوف تجعله يتخذ

القرار الصحيح واخر يتمشى طويلا حتى يصل الى درجة الصفاء الذهنى ومنهم من كان يجلس فى مقعد مريح مسترخيا حتى يقع فيما يسمى بغيبوبة الالهام ومن هنا ترددت تعبيرات الزعيم الملهم والقائد الملهم ويقال ان احد المحيطين بليونيد بريجنيف ظل يراقب لساعات طويلة وباعجاب شديد الزعيم السوفيتى وهو فى غيبوبة استلهام القرار .

ثم تبين ان بريجنيف ميت من اربع وعشرين ساعة ولهذا أذيع خبر وفاته بعد اربع وعشرين ساعة وكان بريجنيف احسن حظا من ستالين الذى يقال انهم اذاعوا خبر وفاته بعد اربعين ساعة لأنهم كانوا ينتظرون الاذن من ستالين نفسه لاعلان خبر الوفاة .

ان اتخاذ القرار امر خطير وعسير حقا اذا كنت نابليون او غورباتشوف او تشرشل او ريغان فهنا انت امام قرار يتعلق بمصير ملايين البشر لكن الحمد لله مرتان مرة لأننا لسنا زعماء البشرية ومرة لأن الظروف ترفع عنا عبء اتخاذ القرار اذ أنه حق للزوجة ولنا نحن حق الموافقة او حق الامتعاض .

وفى الدول المتقدمة الان دخل الكمبيوتر المسرح ليلعب دوره فى مساعدة القادة على اتخاذ القرار ويقال فى ذلك عن احد البلاد الاوروبية ان رئيسها يلجأ دائما الى الكمبيوتر لاختيار الوزراء وفى كل وزارة جديدة كان الكمبيوتر يشير باختيار السيد جيرالد فيليب وزيرا للتقنية ثم تبين ان السيد جيرالد فيليب هو مصمم هذا الكمبيوتر .

*****

القديم .. والجديد .. !

فى امتحانات هذا العام تفتق ذهن ممتحن عبقرى
عن وضع سؤال لتلاميذ صغار يقول ماهو مذكر دنيا؟

وكتب تلميذ ردا ذكيا اثبت فيه ان اسلوب تفكير
الجيل الجديد يتفوق بمراحل على واضعى الاسئلة
فقال : بايجاز الدنيا ليس لها زوج نعرف اسمه .

واذكر اننى تلقيت من تلميذ بالصف الثالث الابتدائي رسالة يقول فيها : والدى يهوى اغانى الاستاذ عبدالوهاب وقد سمعته يقول فى اغنية الجندول قلت والنشوة تسرى فى لسانى هاجت الذكرى فأين الهرمان ولان الاهرامات عندنا ثلاثة خوفو وخفرع ومنقرع فأين ذهب هرم منقرع؟

وكتبت للتلميذ اللماح لقد عكفت يا ولدى على اعادة قراءة قصيدة الجندول وانتهيت الى ان الشاعر فى هذه القصيدة يصور عاشقا يتذكر هرما واحدا هو الهرم الاكبر - خوفو - الذى يجلس تحت سفحه، و قد تذكر ذلك وهو نشوان تسرى النشوة فى لسانه اى شرب شيئا اصفر يجعل الانسان ينظر الى الشيء الواحد فيراه اثنين وهكذا نظر الى هرم خوفو من خلال خياله فوجده هرمين وعندئذ تساءل اين الهرمان فاذا قبلت هذا التفسير يا ولدى فانى اشكرك واذا لم تقبله فليس عندى تفسير آخر خصوصا ان هرم منقرع لم يسرق بعد ضمن الاثار المنهوبة كل يوم .

والواقع ان الصغار لهم لمحات تدل باستمرار على ان الاجيال الجديدة اكثر تفتحا وتطورا مثلما حدث بصدد ذلك السؤال الذى طرحوه على الصغار فى الرياضيات وجاء فيه امامك قطعة لحم قسمها الى نصفين ثم نصف النصفين ثم نصف نصف النصف . . الى آخره .

وكتب تلميذ : نصف - ربع ثمن - ١/ ١٦ وظل يتدرج التلميذ فى كتابة القسمة ثم كتب والآن لا يمكن قسمة قطعة اللحم اصغر من ذلك بعد ان اصبحت همبورجر !

وردا على سؤال اذكر شهرا به ٢٨ يوما قال معظم التلاميذ كل الشهور بها ٢٨ يوما !

وردا على سؤال ماذا قال يوليوس قيصر عندما طعنه بروتس كتب تلميذ : قال متوجعا أى أى .

وسؤال : اذكر خمسة اشياء تحتوى على اللبن وكان رد تلميذ : الزبد والجبن والايس كريم وبقرتان !

وردا على مسألة حسابية عن ام لديها اربع حبات بطاطس وخمسة اطفال وتريد ان توزعها بالتساوى على الاطفال الخمسة فكتب تلميذ يقول تطبخها مهروسة .

وفى سؤال : عن نتائج اكتشاف القطب الشمالى قال التلميذ النتائج ان دروس الجغرافيا اصبحت اكثر سخفا

وفى سؤال : يقول اذكر اختراعا لم يكن موجودا من ١٥ سنة

كتب تلميذ : أنا

وفى سؤال : ماذا تفعل إذا كنت مليونيرا . ترك تلميذ ورقة الاجابة بيضاء

قائلا : هذا ما أفعله

وفى مدرسة امريكية نظر أحد المراقبين الى ورقة اجابة تلميذ عن سؤال يقول : من هو اول رجل فى الدنيا ووجد ان رد التلميذ انه العظيم واشنطون فنبهه المراقب ان اول رجل هو آدم وهنا قال التلميذ الان فهمت السؤال يتكلم عن الرجال الاجانب .

وفى امتحان الاخلاقيات قال سؤال : اعطاك رجل مائة دولار لكى تحفظها له ثم مات فماذا تفعل؟ . فكتب الولد : اصلى من اجل ان اعثر على رجل آخر مثله .

وفى سؤال اخر للاخلاقيات هل تسامح انسانا اساء إليك و كان الرد : اسامحه طبعا اذا كان اكبر واقوى منى .

وجاء فى سؤال مطلوب اكماله : لويس الرابع عشر كان مسئولا عن . . . فكتب التلميذ كان مسئولا عن لويس الخامس عشر .

وجاء فى احد الاسئلة أدخل كلمة يحلل فى جملة مفيدة ولما كانت الكلمة فوق مستوى الاولاد فقد كتب احدهم يقول طلب منا المعلم ان نبحث عن معنى« نحلل» فى القاموس .

اما عن انتقام الصغار من الكبار فى المجال التربوى فتروى قصة ان مدرسا نبه على التلاميذ بألا ينطقوا الكلمة الا اذا عدوا فى سرهم من واحد لمائة حتى يكون الجواب صحيحا وفوجىء المدرس ذات يوم بالفصل يعد بصوت عال واحد اثنين وعندما بلغوا المائة صاحوا حريقة . . حريقة . . وكانت النار قد امسكت بالمدرس من الخلف! .

*****

الماس والفاصوليا

بعض الناس لا يكفون عن النق والحسد وهم يتساءلون لماذا تتقاضى الراقصة فى ليلة واحدة ما يتقاضاه مفكر فى سنوات؟

وقبل الرد على هذا السؤال يحسن بنا ان نقول ان الدنيا ارزاق واننا لو تأملنا مصادر الرزق فسوف نجد ان بعض المهنيين يكسبون رزقهم من علل المجتمع فالمحامى يرتزق من الجريمة والمعلم يرتزق من الجهل والطبيب يرتزق من المرض كذلك هناك من يختار مهنة كئيبة يتم انجازها وسط الاحزان والدموع كالحانوتى ومؤلف المسلسلات.

وكل مهنة أو حرفة لها وسيلة اداء تختلف عن الاخرى فالمطرب مثلا يؤدى الغناء بحنجرته وكلما تفرد صوته بجمال خاص ارتفع ثمن هذا الصوت فحنجرة عبدالوهاب مثلا حنجرة نادرة ينطبق عليها قانون الندرة فى علم الاقتصاد وهو القانون الذى يفسر لنا لماذا الماس اغلى من الفاصوليا فهناك حنجرة ماسية وهناك ايضا مئات المطربين من اصحاب الحناجر الفاصوليا.

كذلك ينطبق قانون الندرة على مهن اخرى غير مألوفة مثل مهنة الخواجة تانتالوس وهو رجل يونانى كان له انف كبير وعظيم يبتلع نصف وجهه وكان هذا الانف هو رأس ماله اذ كان يستخدمه فى مهنته «كخرمنجى» فى شركة سجاير والخرمنجى هو الذى يجرب خلطة التبغ

التى تتكون منها خلطة السيجارة وكان تانتالوس شديد الاعتزاز بأنفه لدرجة انه رفض ان يصوره فى تحقيق صحفى باعتبار ان انفه من الاسرار التى لا يجوز الكشف عنها ولست ادرى الصلة بين ضخامة انفه وحساسيتها لكن ذلك الانف يوحى اليك بان ام تانتالوس ولدته كله فى ساعة زمن وولدت انفه وحده فى يومين.

وفى عالم الفن يؤدى الممثل بصوته وملامح وجهه وان كان بعض مخرجي المسلسلات يجعل الممثل يتكلم وقفاه إلينا معتمدا على الانفعالات التى تظهر فوق القفا.

والملاحظ ان كل صاحب مهنة يستثمر جزءا من تكوينه الجسمانى فى أدائها فلاعب الكرة يستثمر قدمه والفنان التشكيلى يستثمر يديه وعازف آلة النفخ يستثمر فمه فاذا أتينا الى الراقصة وجدناها تؤدى مهمتها بالساقين والقدمين والكتفين والصدر والوسط والارداف والرقبة ولابد من حركة الحاجبين واحد طالع وواحد نازل وحركة الشفتين لزوم الدلال وغمزة العينين لزوم الاغراء حتى الشعر على الكتفين يؤدى دوره ع الخدود يهفهف ويرجع يطير يعنى كل اعضاء الجسم تؤدى الرقصة الامر الذى ينفرد به الرقص الشرقى عن اى مهنة اخرى ولهذا استحق الاجر العظيم لأنه يتطلب جهدا من اعضاء الجسم جميعا لا يستطيع ان يؤديه اعظم اعلام الفكر فقد ثبت مثلا ان مفكرا عظيما كارسطو كتب كتابه الكون والفساد وهو يستعمل ذهنه فقط ولذلك استحق اجر تفكيره الذهنى فقط ولم يثبت انه كتب نظرية الدراما وهو يهز وسطه ولم يقم دليل على انه كتب « الاورغافون » على واحدة ونص.

وما استحق اجرا عظيما من لم يتقصع وهز الصدر والارداف.

*****

الأزمة والحل ..

عندما سألتنى الصحفية الامريكية عن الرقم القياسى لتوزيع اكثر الكتب مبيعا ارتفعت حواجبها من الدهشة ثلاثة أمتار وانا اقول لها ٢٠ الف نسخة وهنا اسرعت اصحح الكذبة بكذبة اكبر فقلت لها ضاحكا ٢٠ الف نسخة فى اليوم طبعا هاهاها!

ولم اقل لها ان الكتاب المصدر الاصيل للثقافة اصبح عزيز المنال من الناحية المادية خصوصا بالنسبة للشباب ولابد من دعمه كرغيف العيش وصحيح ان هناك كتبا مدعومة تصدر عن هيئات حكومية لكن المشكلة ان الكتب المدعومة غير قابلة للقراءة والكتب المقروءة غير قابلة للدعم!

وفى رأيي ان افضل اسلوب عملي لخفض تكاليف الكتاب هو ان تدخل الاعلانات التجارية الى صفحاته ففى سبيل رخص سعر الكتاب يجب على القارىء ان يتحلى بضبط النفس عندما يقلب الصفحة فيجد مربعا فى أعلى الصفحة مكتوب فيه شركة فتكاتفون تقدم انتاجها الجديد «رايح فين يا مسلينى» للمطربة الكبيرة فتكات رمش العين.

ومأساة الكتاب ليست فقط فى سعره المرتفع الذى اصبح فوق الاحتمال بل هو فى محنة حقيقية من صد الناس له فالكتاب فيما مضى كان فارس زمانه الأوحد لا ينافسه فى مصادر الثقافة الاخرى الا المسرح ثم جاءت الاذاعة ثم ظهرت فى البيت مصادر ثقافية جديدة مثل ستيف اوستن والرجل الاخضر.

لقد اصبح من العسير توصيل فكر توفيق الحكيم مثلا أو زكى نجيب محمود الا عن طريق مقاول مسلسلات وقد شاهدنا فى التليفزيون كيف ان مسرحيات الحكيم التى تم سلسلتها او اعدادها تليفزيونيا نجحت فى اقناعنا بشيء واحد وهو ان توفيق الحكيم ساقط اعدادية .

وقد اصبح مألوفا ان يسأل رجل صديقه هل قرأت كتاب دليل المرأة الذكية لبرنارد شو فيرد الآخر لا والله ننتظر لما يعملوه مسلسلة .

من هنا وجب علينا ابتكار وسائل جديدة للترغيب فى شراء الكتاب كأن يكتب على غلاف كتاب للدكتور مصطفى محمود اطلب مع الكتاب الملحق الخاص بحل فوازير رمضان وان يكتب على غلاف كتاب لعبد الرحمن الشرقاوى بالداخل صورة بالالوان للاعب الكرة المحبوب عبده العضاض .

وبهذا الاسلوب يمكن ان يتحقق الاقبال على الكتاب وان يتجنب نوبات الحسرة او نوبات الضحك على المستوى الثقافى لقطاع كبير من الجيل الجديد .

ففى امتحان شهدته لقبول مذيعين جدد كان هناك سؤال عن الملكة الاشورية سميراميس ماذا تعرف عن الشخصية التى كان يحمل اسمها فندق سميراميس فقال واحد ان سميراميس مليونير يونانى وقال آخر انها اميرة من اسرة محمد على وقال ثالث ان سميراميس هو الاسم الثنائى لصاحب الفندق قبل التأميم فهو اسمه سمير وأبوه اسمه أميس !

وعن الزعيم عمر مكرم قال احدهم انه حانوتى مشهور بميدان التحرير بالقاهرة وفى امتحان اصوات غنى جامعى - خريج زراعة - اغنية

كليوباترا لعبد الوهاب فقال كلما غرد كأس شربوا الخمرة لحمة فلما روجع وقيل له شربوا الخمرة لحنا اصر على ان يغنيها شربوا الخمرة لحمة وقال ان عبدالوهاب يغنيها لحمة فلما سأله احدهم ساخرا وهل هذه اللحمة ضانى أم بقرى أم بتللو لبانى ضحك معتذرا بأنه لا يريد ان يغنى فيما لا يعرفه ولكن مادام الامر يتعلق بالملكة كليوباترا فلا بد ان تكون اللحمة خروف أوزى مع رز بالخلطة .

*****

تكنولوچيا .. !

تتقدم التكنولوجيا فى الغرب تقدما مذهلا تصعب ملاحقته كما تفرز هذه التكنولوجيا ألوانا جديدة من المخترعات تكشف عن ان انسان الغرب قد دخل عصر مشاكل الرفاهية واصبحت التكنولوجيا تستهدف توفير وقته وجهده العضلى فلا استبعد مثلا ان يخترعوا جهازا لطرقعة الاصابع حتى لا يبذل الانسان مجهودا خاصة ان الانسان لا يطرقع اصابعه الا عند الراحة والاسترخاء ولو كان الامريكيون يسلمون باليد مثلنا لكانوا قد اخترعوا من زمان سلاَّمة بتشديد اللام يتم تركيبها فى الذراع لتقوم اوتوماتيكيا بالمصافحة وهى بالقطع كانت ستكون ذات فائدة عظيمة للمرشحين في الانتخابات لاستخدامها فى السلام على الناخبين ويستطيع المرشح بزر خاص ان يرفع درجة اهتزاز الآلة حتى تصافح الناس بحرارة وشوق مع تزويد الآلة بشريط ناطق يصلح لمختلف المناسبات مثل اهلا يا حبيبى انا فاكر مشكلتك اهلا يا حبيبى مشكلتك قدام الوزير اهلا يا حبيبى « ثم صوت خافت » الفلوس جاهزة.

وسوف تغمر الاسواق آلات واجهزة عجيبة منها جهاز اليكترونى فى حجم ساعة اليد يمر به المضيف على بعض ضيوفه الذين يدعوهم لأول مرة فيتحرك مؤشر ليكشف عن ان هذا الضيف ثقيل الظل وأن موجات كهربية غليظة تصدر من جسمه فلا يدعوه الى بيته ثانية فيفسد سهراته .

وبفضل الاجهزة الالكترونية وغيرها اكتشف الانسان المعاصر تلوث البيئة فالذى لا شك فيه ان الهواء ملوث منذ الازل قبل اختراع السيارة والطائرة فهو بحكم تكوينه مليء بغازات سامة كالأرجون مثلا ثم ان جداتنا كن يخبزن العيش فى فرن البيت ويطهين الطعام على الكانون ويستنشقن ناتج الاحتراق أول اكسيد الكربون السام والقطران ثم ان جدتى كانت تتنفس مع جدى فى المساء نفس ليالى الشتاء وصحيح ان الحضارات الغابرة لم يكن فيها شكمان سيارة ولكن كان فيها ماهو مشابه لعادم السيارة فحتى يوليوس قيصر بجلالة قدره كان يستنشق دخان المشاعل فى قاعات القصور وغرف النوم كربون وقطران وكانت كليوباترا تلتقى بمارك انطونيو على ضى القناديل ولو كان عند كليوباترا جهاز من عصر التكنولوجيا الذى نعيشه لأفسد عليها طبيبها الخاص جلستها مع انطونيو بان يتقدم اليها قائلا : صاحبة الجلالة كربون القناديل وصل الى حد التشبع اقترح مواصلة القبلات على شاطيء البحر اما بعد زواج كليوباترا من انطونيو فمن المؤكد ان عبارة طبيبها الخاص السابقة كانت ستتغير الى صاحبة الجلالة كربون القناديل وصل الى حد التشبع اقترح مواصلة الخناق على شاطيء البحر .

لقد اصبحت التكنولوجيا تفسر كل شيء بالاجهزة لو ان جهاز قياس الضوضاء سجل رقما قياسيا فليس معنى ذلك ان فى المنطقة وابور طحين شغال بل معناه ان مطربا يغنى فى شارع الهرم ولو جلس مجموعة من الناس يضحكون فليس معنى ذلك انهم فى حالة سرور بل معناه زيادة غاز اكسيد النتروز المثير للضحك من حولهم كما أشار بذلك جهاز قياس

الغازات واذا تقوس ظهر رجل وذبلت عيناه وذهلت نظراته فمعنى ذلك انه تعرض لجرعة اشعاعية زائدة وليس معناه كما كان مفهوما -انه زوج مزمن.

*****

نجمك فى السماء

ينشر المنجمون والفلكيون تنبؤاتهم فى مطلع كل عام ليتهافت الناس عليها استطلاعا للغيب وكذب المنجمون ولو صدقوا!

واعترف اننى قد شهدت بنفسى صدق بعض تلك التنبؤات اذ مر بمكتبى منذ اعوام فلكي معروف وكان فى زيارتى صديق عزيز نصحه الفلكي ان يحترس من حادث أليم عند دخول عطارد فى برج الحوت.

وبعيدا عن الصديق الذى سوف يصاب بالنكبة الموعودة عند دخول عطارد فى برج الحوت قال لى الفلكى المعروف صديقك سوف ينتحر.

ودخل عطارد فى برج الحوت وصدق الفلكى ووقع الحادث الاليم فقد تزوج الصديق العزيز او انتحر بإلقاء نفسه فى بيت الزوجية.

وفى احد الكتيبات التى يصدرها الفلكيون فى مطلع كل عام قرأت تحت اسمى وصورتى مناسبة تسعد بها كثيرا فى شهر مارس ورحلة سعيدة فى شهر يوليو ومال وفير فى شهر اكتوبر.

وفعلا احتفلنا بالمناسبة السعيدة فى شهر مارس وقمنا بالرحلة الميمونة فى شهر يوليو ثم جاء شهر اكتوبر وانتهى دون ان تمطر السماء اى مال وفير وبينما انا قد نسيت الموضوعات تماما بدأت نظرات الشك والتساؤل

الصامت من جانب زوجتى التى اتصلت بالفلكى المعروف دون ان اعرف ليؤكد لها ان هذا المال الوفير لابد ان يكون قد وصلنى فعلا من ميراث عظيم ونصحت زوجتى الا تصدق المنجمين والافلام العربية التى نرى فيها البطل قد اكتشف فجأة ان له عما فى البرازيل مات بالسكتة القلبية دون وريث وترك له ملايين الدولارات من المملكة الواسعة التى كان يديرها ملك البسطرمة .

وذات عام آخر تنبأ لى فلكى معروف بأن يوم ٢٩ يونيو هو اسعد يوم فى السنة وأننى سوف احلق فى سماء لم احلق فيها من قبل . وصدق الفلكى والشهادة له ففى ٢٩ يونيو فى ذلك العام كنت احلق فى السماء داخل طائرة تتأهب للسقوط فى المحيط الاطلنطى .

وفى اوروبا وامريكا - من إطلالة القرن الواحد وعشرين - رجال أعمال يتخذون لهم مستشارين فلكيين . ومجلات متخصصة فى التنجيم تحقق ارقاما خرافية فى التوزيع . . وفى المانيا الغربية فلكيون ينافسون نجوم السينما فى الشهرة ويتردد عليهم - وفق الاحصاءات - ١٧ مليون المانى من كافة الطبقات .

ومن قديم الزمان والحكام يستعينون بالفلكيين لقراءة الطالع . فليس بدعة إذن ما رددته الانباء من ان الرئيس الامريكى ريجان يتخذ مستشارين فلكيين للاستعانة بهم خصوصا فى معرفة نوايا الزعيم السوفيتى حتى يسهل على المنجمين قراءة طالع جورباتشوف ابن كوربافوتشا .

وهتلر نفسه كان يستعين بطابور من الفلكيين لقراءة الطالع . وعن ميل هتلر للغيبيات قيل انه كلف بعض المنجمين بمعرفة اسهل الطرق لغزو

بريطانيا . فقالوا له . انها عصا موسى التى تشق بحر المانش ويصبح الطريق الى بريطانيا سهلا لكن هتلر ثار عندما همس فى اذنه رئيس الجستابو : ان عصا موسى موجودة فى المتحف البريطانى !

وفلكيو الحكام يختلفون عن الفلكيين الآخرين بأنهم يقولون للحاكم ما يتمناه فى شكل نبوءات ، وهم فى ذلك لا يختلفون عن محررى باب البخت فى الصحف . ففى الخمسينات مثلا كنت اتولى تحرير باب البخت دون ان اعرف برج الجدى من برج المعزة ولا برج العقرب من برج الخنفس . فقد كانت تعليمات على أمين الذى ادخل باب البخت فى الصحف العربية ـ هو ان نشرح صدر القارىء مع الصباح بالتفاؤل والأمل مثلا : تطورات عاطفية تسعدك ـ مشكلة مزمنة تنتهى لصالحك . . فكل الكلام ينبغى ان يكون حلوا وجميلا ولا علاقة له بدخول زحل فى برج القوس ولا مغادرة المشترى لبرج الحوت ، لكن هذا لم يمنع من اننا كنا نستعمل باب البخت لاهداف انسانية ونحن شباب صغار كأن نكتب لمن نتوجه للسلف منه : شخص يطلب مساعدتك المالية فلا ترده خائبا لأنك سوف تحتاج اليه فى مأزق قريب .

وفى مرة أخرى كان هناك زميل سيتوجه لخطبة فتاة تعرف بها حديثا وطلب أن اكتب فى برجها ما يجعله مقبولا عندها فكتبت تحت برجها . شخص يعرض عليك ارتباطا يمتد طول العمر أرفضى فورا لأنه نصاب وثار الزميل ، وقاطعنى ، ومضت الايام ، فعرف قلبه التسامح وجاء يعانقنى بحرارة ، وشرح لى سبب غفرانه . فالفتاة التى كان سيتزوجها ضربت زوجها بشمعدان شج رأسه عليه رحمة الله .

*****

صباح الخير أيها الشر .. !

يسألوننا دائما ـ نحن الصحفيين ـ لماذا لا تنشرون إلا الاخبار المفزعة؟

يا جماعة الخير ـ الأصل فى الانسان فعل الخير أما الشر فهو الاستثناء من القاعدة بدليل ان الانسان يحتاج الى مقدرة خاصة لارتكابه . ولهذا حظى ممثلو ادوار الشر بنجاح جماهيرى عريض، محمود المليجى مثلا وفريد شوقى بنى كل منهما اسمه بفضل ادوار الشر، والشرير العالمى «جى آر» بطل مسلسل دالاس اصبح معبود الجماهير بعد ان تجسدت فيه المقدرة الخارقة على اتيان السفالات بكل انواعها، فالناس تتقزز من اعماله ولكن قدراته في السفالة تبهرهم وتذهلهم.

إن الاحتيال مثلا يحتاج الى مقدرة خاصة وكذلك السرقة والاختلاس والقتل والاذى وتأليف المسلسلات!

والشر خبر لأنه يعلن عن نفسه، فالزوجة السعيدة لا تقول انها سعيدة خوفا من العين والحسد، والزوجة التعيسة يسمعها الشارع كله لأنها ترقع بالصوت . والحب بين الاثنين يتم فى همس والاشجار بين اثنين لابد انه من زعيق.

ولو كان الاصل فى الانسان فعل الشر بينما الخير معاقب عليه لاصبح الخير فى هذه الحالة خبرا صحفيا يستحق النشر ولقرأنا مثلا هذه العناوين

فى صفحة الحوادث : ضبط رجل يسهر سهرة عائلية بريئة بين زوجته واولاده ـ شهود النفى يقولون امام النيابة إن الرجل عربيد وسكير ويقضى لياليه فى الكباريهات ـ تاجر كوكايين يحاول انقاذ المتهم من التهمة الموجهة اليه ويؤكد امام النيابة ان المتهم شمام ومنحط ـ أحد جيران المتهم من شهود الاثبات يقول ان السلوك المستقيم للمتهم يبعث على الخجل وتحريات المباحث تثبت ان المتهم يقضى سهراته بين اسرته امام التليفزيون ـ محامى المتهم يدفع بان الرجل يأتى اعمال الخير لأنه متخلف عقليا ويطلب الطبيب الشرعى .

والقارىء يطالع الصحف فى الصباح فلا يقرأ إلا شرا : اخبار المذابح فى الكرة الأرضية ابتداء من حرب الخليج الى لبنان الى افغانستان وانتهاء بالتاميل ونيكارجوا ثم أخبار الجرائم . زوجة تذبح حماتها بعد ان تناولت معها العشاء – يقتل ابنته لأنها تصالحت مع زوجها ـ يقتل ابنته لأنها رفضت الصلح مع زوجها – يقتل زوجته لأنها تطالب بقضاء الصيف فى المصيف .

وقد يتساءل قراء كثيرون أليس هناك غير الشر خبرا؟ أليس فى الامكان إصدار جريدة تحمل الى الناس الاخبار الطيبة فقط .

ممكن طبعا ، وهناك لذلك إحدى طريقتين : الأولى ان تكون صياغة الخبر لطيفة وغير مزعجة مثل : حدثت أمس مناقشة بين فلان الفلانى وزوجته حول قضاء الصيف فى أحد المصايف . وقد فكر الزوج فى خنق زوجته عندما ضاق بالمناقشة لكنه هزم الشيطان فاحتضن زوجته بشدة حتى ماتت متأثرة باسفكسيا الخنق اثناء حضنه العاطفى الدافىء اما

الطريقة الاخرى فهى ان نستبعد اخبار الشر تماما وننشر الأخبار الطبية لنثبت ان كل بيت ترتفع منه صرخة يقابله الف بيت تغمره ضحكات السعادة. ونطالب الداخلية بتخصيص دفتر احوال فى المخافر واقسام الشرطة لنثبت فى هذه الدفاتر الوقائع الطيبة فندلل بذلك على أنها أكثر من الحوادث المؤسفة مثال ذلك هذا الخبر : استقل فلان الفلانى سيارته متوجها الى الاسكندرية وبعد ان بلغ مشارف الثغر تذكر انه نسى شيئا هاما فاستدار عائدا الى القاهرة وتوجه الى منزله وقدم الاعتذار الى زوجته لأنه نسى ان يقبلها قبل خروجه. وقد قبلت الزوجة اعتذاره الرقيق وقيدت الواقعة بدفاتر الأحوال السعيدة بنقطة شرطة الزمالك.

وهذا نموذج آخر: تناولت السيدة فلانة عشاءها أمس مع زوجة ابنها علانة وبعد ان تهيأت السيدة فلانة للنوم قامت علانه زوجة ابنها بتقبيلها من وجنتها قائلة لها: ربنا يخليك ليا يا حماتى يا غالية ولا يجيش أبدا اليوم اللى ادبحك فيه، وقد قامت شرطة النجدة بقيد هذه الواقعة السعيدة.

اما الأخبار الخارجية فيمكن إبراز الجوانب الطيبة منها مثل: تبرع نيتومارشيللو من الأدوية الحمراءبألف دولار لمستشفى نابولى الخيرى وكان مارشيللوقد حصل على مليون دولار فدية بعد ان قام بخطف السنيور امبرتوريزو. وبعد حصوله على الفدية قام بذبحه.

ما رأيك فى جريدة لا تنشر إلا الاعمال الطيبة؟ اعتقد ان مثل هذه الجريدة ستجعل الناس يقبلون بشدة على الجرائد الأخرى.

******

فى خنفشاريا

اعتقد أن التخصص العلمى سوف تضيق دائرته كثيرا مع التطور وان تسمع فى المستقبل مثلا عن طبيب اذن وانف وحنجرة، بل متخصص فى الأذن او فى الانف او فى الحنجرة. ومع مزيد من التطور قد يذهب الانسان الى طبيب ويشكو له ألما فى أذنه فينظر الطبيب الى الأذن المعطوبة ثم يعتذر لأنه اخصائى فى الاذن اليمنى فقط اما مرضى النفس فسوف تتنوع امامهم اللافتات التى تكشف عن مختلف التخصصات والمؤكد ان اوسع هؤلاء الاطباء النفسيين رزقا سوف يكون صاحب تلك اللافتة التى كتب عليها : اخصائى الاكتئاب من برامج التليفزيون.

لكننا فى شرقنا العربى سوف نظل لأمد طويل لا نقيم وزنا للتخصص ولا نحترم الدراسة والموهبة ولا نحفل الا بالتقاليد الخنفشارية، نسبة الى خنفشاريا.

وقد كان فى خنفشاريا هذه سيرك عظيم. يشاهد فيه الناس الثعلب وهو يقوم بوظيفة ديك فى لعبة مصارعة الديوك ثم يقدم المدرب للثعلب علف الدواجن طعاما بعد اللعب. وشيئا فشيئا بدأ الثعلب يصيح فى كل فجر صياح الديكة وينام كل ليلة فى عشة فراخ السيرك.

وفى هذا السيرك الخنفشارى ظلت الحيوانات تتبادل الاعمال والاختصاصات فكان النمر يقوم بعجين الفلاحة ونوم العازب ولا يأكل

الا الفول السودانى والموز ويرفض أكل اللحم . وكان الاسد يقوم بوظيفة الارنب فى لعبة الارانب والكلاب - فكان الناس يشاهدون الاسد يجرى مذعورا امام الكلب وكلما اتقن الاسد دوره كافأه المدرب بالخس والجزر .

وذات يوم زار محافظ خنفشاريا ذلك السيرك فسأل النمر لماذا يقوم بعجين الفلاحة فقال انه جاء ليلتحق بوظيفة ديك ودربوه على ان يصيح فى الفجر وحتى اسمه الدلع اصبح ديكو !

وتقدم المحافظ نحو الأسد . فجرى الاسد بعيدا فى ذعر شديد بعد ان مارس طويلا عمل الارنب . وربت المحافظ على ظهر الاسد وهو يقدم اليه حزمة برسيم عربونا للود ثم لاطفه حتى يتكلم .

واخيرا تكلم الاسد فقال انه تقدم الى ادارة السيرك ليعمل فى وظيفة اسد فقالوا له لا يوجد الا درجة أرنب خالية .

وتوجه المحافظ الى مدير شئون العاملين بالسيرك الخنفشارى ليسأله عن هذه الاوضاع فتبين له ان مدير العاملين جاء السيرك ليلتحق بوظيفة حمار فعينوه مديرا .

آلو .. !

* فى جيبى مفكرة صغيرة ادون فيها مؤقتا مواعيد مع بعض من التقى بهم او ارقام تليفوناتهم. ولا ادرى سر تلك العادة السيئة التى تدفعنى فى كل مرة الى ان اكتب رقم التليفون دون ان اكتب بجواره اسم صاحب الرقم!

وقال لى صديق يعمل بالطب النفسى ان عقلى الباطن هو الدافع الى ذلك لأننى فى واقع الأمر اكره الحديث فى التليفون دون ان ادرك هذه الحقيقة ولهذا اهمل كتابة الاسم، وقلت لصديقى إننى لا اكره ابدا الكلام فى التليفون بدليل اننى اتحدث طويلا مع الاذاعية الكبيرة صفية المهندس دون ملل او ضيق لأنها لا تكف عن رواية الاخبار التى يسميها البعض خطأ: نميمة!.. فكل الناس مثلا يعودون من المصايف ببشرة سمراء الا صفية المهندس التى تعود دائما من المصيف ولسانها أسمر!

وقال لى صديقى الطبيب النفسى: اذا لم تكن تكره الكلام فى التليفون فإن كتابتك للرقم وحده دون اسم صاحبه دليل على انك تكره صاحب الرقم ولا تريد - لا شعوريا - ان تكتب اسمه حتى لا تحادثه. فلما قلت له ان هذه العادة عندى لا تفرق بين اسم واسم. شطح العالم النفسانى قائلا: فى هذه الحالة انت تكره البشر اجمعين.. وآثرت الابتعاد عن مشورة صديقى الطبيب لأعالج الأمر بنفسى: ورحت

استجمع انتباهى فى حفل استقبال دعيت اليه لكى اكتب الاسم عندما ادون رقم التليفون. وكانت النتيجة اننى عدت من حفل الاستقبال لأجد صفحات المفكرة مليئة بالاسماء دون الأرقام!

بالمران والمثابرة. . استطعت ان أتقن عادة كتابة الرقم وبجواره الاسم، حتى عدت يوما لأنقل الارقام الى نوتة التليفونات فى المكتب فوجدت رقمين بلا اسماء. لا بأس. فهذا تقدم كبير بالمقارنة الى ما فات. وأدرت الرقم الأول لاستفسر عن صاحب التليفون فهب فى أذنى صوت ناعم لم تستطع عصبيته ان تخفى رقته وجماله كما لو كان صوت ليلى مراد. . هل هى ليلى مراد؟ رأيت ان أعاود الاتصال لاستوثق من انها ليلى. . ويبدو أن صاحبة الرقم تعانى من المعاكسات فقد وضعت السماعة بعصبية وهى تنادينى باسم مخلوق وديع طويل الأذنين ويهوى أكل البرسيم.

اتصلت بهيئة التليفونات لأعرف اسم صاحب الرقم فقال لى الموظف المختص وما هو الاسم الثلاثى لصاحب الرقم!. . قلت له. . انا لا اعرف اسمه الأول فكيف اعرف اسمه الثلاثى. قال بنفس الأدب. . متأسف. . لابد من الاسم الثلاثى لأقول لك له اسمه.

كان من العبث ان اتفاهم مع هذا الموظف المهذب الذى احتمى باللوائح فى وجوب معرفة الاسم الثلاثى. . وعدت اجرب الرقم الثانى فأعطانى للمرة المائة نغمة مشغول. . عاودت طلب الرقم. . مشغول. . استعنت بصديق فى هيئة التليفونات فدلنى على اسم صاحبة الرقم الاول اما الرقم الثانى المشغول باستمرار فقد اتضح انه الرقم الجديد لتليفون بيتى وكان مشغولا باستمرار لأننى اتكلم منه.

******

النباتيزم

* بناء على نصيحة عالم جليل، بذلت جهودا طيبة ومتواصلة لكى أكون نباتيا . . فالأبحاث الطبية الحديثة تدين اللحم كـسـبب رئيـسى لأمـراض الجـهـاز الهـضـمى . . ذلك أن الإنسان فى الأصل نبـاتى ، إذ ليس لـه أنيـاب الأسـد او قـواطع النـمـر ، بينمـا اسنان الانسان نباتية الوظيـفة وكذلك امعـاؤه، فهى ليست قصيرة كـامعـاء الحيوانات آكلة اللحوم بل هى طويلة كامعاء الحيوانات آكلة النباتات، ثم ليس أدل على ان الانسان نباتي - فى بلادنا بالذات - من انه يحب الكوسة موت .

ورغم ان الفول المدمس يعتبر بديلا رئيسيا للبروتين الحيوانى (مائتا غرام فول تعادل مائة غرام لحم) الا ان العالم الجليل حذرنى من اكل الفول، حتى خيل الى - من كلامه - انهم يطعمون التماثيل فى الميادين الفول المدمس حتى تظل بلا حراك .

ولا أظن ان هذا صـحـيـح ، فـالفـول المدمس طبق لذيذ لا يمكن ان أتخلى عنه، او كما قال عبدلوهاب احبه مهما اشوف منه ومهما الناس قالت عنه والاشاعة التاريخية التى تدين الفول اطلقها المورخ اليونانى هيرودوت . إذ زعم ان المصريين القدماء لا يزرعون الفول ولا يأكلونه . ثم قبل ايضا ان الفول كان محرما على طبقة الكهنة والنبلاء، ويكذب

هذا كله وجود حبوب الفول في مقابر الفراعنة من امراء ونبلاء . ولم يسلم الفول المدمس من التشنيع على مر العصور . فقيل عنه انه يسبب البلاهة الممتزجة بالسلوك العدوانى فيجعل الانسان مؤلف مسلسلات .

وليس صحيحا ايضا - كما تعتقد بعض النساء - ان أكل الفول يؤثر على الجمال ويحول بين المرأة وبين ان يكون انفها نبقة من الشام وفمها خاتم سليمان . كذلك ليس صحيحا ان من تأكل اللحوم والفواكه تصبح بشرتها مرمر والعيون غزلانى ، فقد كان انسان الكهف يعيش على لحم الغزال ومع ذلك كانت السيدة حرمه لها سحنة اسحاق شامير . أما عن أكل الفواكه ، فأمامنا مثل لجمال أنثى لا تعيش فى الغابة الا على الفواكه وهى أنثى الشمبانزى .

ولقد قطعت شوطا هاما فى الحرص على برنامج غذائى نباتى أنتج اثره . اذ لاحظت ان اعصابى اكثر هدوءا . كما اننى صرت طويل البال امام التليفزيون ، ولست ادرى ما العلاقة هنا بين اكل اللحوم والتوتر العصبى . أو العلاقة بين اكل اللحوم والرغبة فى البكاء امام التليفزيون .

غير ان العالم الجليل الذى علمنى النباتيزم قال لى انه ينتمى الى احدى جمعيات الطبيعيين بفرنسا وهم يخرجون الى الغابات والجزر بين وقت وآخر ليعيشوا على الفطرة ويقضون الساعات فى المشى على اربع كالدواب . ، فهم يرون ان هذا هو المشى الطبيعى بدليل ان الانسان عندما يمشى على قدميه فقط تصبح حركة يده اليسرى فى اتجاه حركة قدمه اليمنى بينما يده اليمنى فى اتجاه قدمه اليسرى تماما كما لو كان يمشى على اربع . .

وأين أمشى على أربع يا سيدى العالم الجليل؟

- لابد ان يكون ذلك فى الهواء الطلق .

انتهزت فرصة ان نادى الصيد يجاور منزلى فكنت اذهب فى صباح الشتاء المبكر كى امشى على اربع لمدة ساعة مستعينا بركبتين مطاطيتين حول ركبتي وغطاء رأس لا تبين منه ملامحى كالذى يضعه المتزلجون على الجليد حتى لا يتعرف على احد . وكان بعض الاعضاء الذين يمارسون رياضة الهرولة في الصباح يتوقفون عندى فى دهشة وانا اجرى على اربع . . وجاء احد مراقبى النادى يعترض على اسلوبى فى المشى على اربع فلما رفضت ان اكشف عن شخصيتى وراء غطاء الرأس الكثيف اصر على خروجي من النادى وهو ينصحنى بأننى اذا عاودت الجرى على أربع فى النادى فلابد من ان استخرج رخصة كلاب .

*****

مدرسة الكوميديا .. !

* يسـألنى كثيـرون عن أصل وفـصل أسـبـرطة القديمة التى أكتب أخبارها من حين لآخر.

انها مدينة اغريقية قديمة كانت مقصد الدارسين خصـوصـا للكومـيـديا، إذ حـفلت تلك المدينة بكل عجائب كوكب الأرض ومضحكاته. وكانت أعجوبة الأعاجيب هو الموظف الأسبرطى الذى تميزعن موظف أثينا ومقدونيا بدقته الشديدة فى الأداء، فقد كان يتحتم على كل مواطن مثلا يتقدم بطلب حكومى أن يكتب فى هذا الطلب تاريخ مـيـلاده وتاريخ وفـاته أيضـا. مع شـهـادة من اثنين مـوظفـين بأن هذا تاريخ وفـاة المواطن فى المستقبل!

وكان الموظف الأسبـرطى مقصد الرحلات المدرسية حيث يشاهده التلاميذ وهو يمارس طقوسه الوظيفـية كذلك كان بعض الموظفين الأسبرطيين مصدر رزق كبير للحانوتية الذين كانوا يبيعون أمخاخ هؤلاء الموظفين بأعلى الأثمان بهدف الدراسة والتشريح فى كلية الطب البيطرى.

وشاهد التلاميذ موظفا اسبرطيا يمتنع عن صرف معاش أحد المواطنين لأنه أحضر شهادة موثقة بأنه على قيد الحياةفى شهر فبراير ولم يحضر شهادة تثبت أنه كان على قيد الحياة فى الشهر الذى قبله: يناير، وشك الموظف فى أن يكون المواطن قد مات فى يناير وعاد الى الحياة فى فبراير الأمر الذى لا يستحق معه معاش يناير!

وكان هذا الموظف الأسبرطى مادة لأسئلة الامتحانات آخر السنة، فجاء هذا السؤال لتلاميذ المرحلة الأولى، ما الفرق بين الحمار وبين الموظف الأسبرطى الذى رفض صرف معاش يناير؟ فأجمع التلاميذ أن الفرق بين هذا الموظف والحمار هو أن الحمار يفكر.

وفى أسبرطة كان الموظف يرتعد خوفا من التوقيع على قرار إلا بعد أن يسأل مديره المباشر الذى يسأل رئيسه المباشر الذى يؤلف لجنة لدراسة مشروع القرار، وقد رفض مرة أحد الموظفين التوقيع على عقد مالم يوقع عليه السيد المدير العام أولا، وكان هذا العقد هو عقد زواج الموظف.

وكان الموظف الاسبرطى يحرص حرصا شديدا على أموال الدولة مهما كلفه ذلك، ويروى أن جراحا بتر ساق مريض، وبعد أن نجحت العملية وبتر ساق المريض، قال له المريض: ساقى لم يكن بها شىء أنا مأمور ضرائب اسبرطى أردت أن أعرف كم تقبض فى قطع الساق!

ومن باب الحرص المفرط على أموال الدولة أيضا اشتبه مأمور الجمرك الاسبرطى فى رجل يخرج كل يوم من باب الميناء وخلف مقعد الموتوسيكل يربط صندوقا خشبيا فارغا، فكان كل يوم يوقف المواطن ويأمره بفك الصندوق من الموتوسيكل ويقوم بتفتيشه بدقة ثم يضطر الى كسره بحثا عن تجاويف فيه بداخلها ممنوعات، وفى كل مرة لا يجد المأمور الاسبرطى شيئا ويمضى المواطن على الموتوسيكل حزينا على الصندوق الذى يترك حطامه للمأمور، فلما أحيل المأمور الى المعاش، ذهب اليه المواطن وقال له: جئت لأبرىء ذمتى.. الحقيقة أننى كنت أقوم بتهريب موتوسيكلات.

*****

رمضان كريم .. جدا .. !

* شهر رمضان عندنا هو شهر الأكل ، وأى شهر آخر غير رمضان الكريم هو أيضا شهر الأكل وكل ما هنالك أننا ننتظر كل مناسبة لنحتفل بها أكلا مضاعفا من فتة مولد النبى الى خروف الأضحى الى كعك الفطر الى بيض شم النسيم .

فالأكل يدخل فى نسيج حياتنا بشكل يلفت النظر . انه مثلا ينتشر فى أغانينا : اكلها جبنة وزيتون وتعشينى بطاطا- وطعميتك سكر- والمنجة طابت ع الشجر- وياما كلنا برتقال- وتحت التفاحة- وإن شالله أنا آكل عيش حاف . . وأغانى لا حصر لها تحفل بجميع أنواع المأكولات والفواكه لعل أبرزها ما يقوله عبدالمطلب : هنوك يا عريس الليلة دى . . وقادوا الفوانيس للصبحية . . زغرطوا يا بنات واسقوا الشربات . . دى ليلتنا فراخ على ملوخية .

كذلك تحفل أمثالنا الشعبية بالأكل مثل : الست والجارية على صحن بسارية- صام وفطر على بصلة- ضرب الحبيب زى أكل الزبيب- فرخة بكشك- متجوزة عدس عازبة عدس- اطبخى يا جارية كلف يا سيدى . .

بل أننا نحاول أن نخلد الأكل بإطلاق اسمائه على الشوارع والأحياء فى بلادنا ، مثل الزيتونة فى بيروت والزيتون فى القاهرة وأبورمانة فى دمشق ورأس التين فى الاسكندرية .

وإذا كان شهر رمضان هو شهر الاكل فى بلادنا ، فان الشهور التى تليه هى فرصة الرزق الحلال لاطباء التخسيس ، وهم الفئة الجديدة التى اصبحت تستولى على فلوس الازواج بعد كريستيان ديور ونينا ريتشى وكوكو شانيل . والكيلو جرام الواحد من اللحم النسائى يعد الان اكثر اللحوم فى الدنيا تكلفة بما فيها لحم صدر الطاووس ، إذ تدفع المرأة خمسة دولارات بين نشويات وحلويات لتضيف هذا الكيلو إلى وزنها ثم تدفع الفا وخمسمائة دولار لكى تفقده من وزنها !

ومنذ أقل من مائةعام لم يكن هناك مصحات ريجيم ولا اطباء تخسيس ولو وجد طبيب واحد فى تلك الايام لمات من الجوع . اذ كانت الفتاة البدينة هى المطلوبة فى سوق العرسان وكانت السمنة من لوازم السكس أبيل . فقد كانت الام تزف البشرى الى ابنها قائلة : لقيت لك عروسة قمر وزى الفيل .

والذى يتأمل التكوينات العارية للرسام رينوار يرى بوضوح كم كانت المرأة البدينة هى الجمال ومصدر الوحى والالهام ، وبالاضافة الى ان السمنة كانت من سمات الجمال ، فقد كانت تدل ايضا على ان الفتاةمن بيت عز كله اكل فى أكل .

ويقول شاعر تلك الازمنة يصف مفاتن حبيبته بان لها مأكمة عريضة لا تستطيع بسببها ان تمر من الباب كما يعبر عن افتتانه بكشحها ، اى الشحم واللحم المتراكم من بطنها الى ظهرها كما يقول : ومأكمة يضيق الباب عنها . . وكشحا قد جننت به جنونا ويقول شاعر آخر يصف حبيبته الفيلة :

احبك قطعة بعد اخرى .

والا احتجت فيك الى قلوب

يهون الحب تقسيطا بجسم . .

نأى فيه الشمال عن الجنوب

يدور عليك عند الصبح قلبى

فيفرغ منك فى وقت الغروب!

*****

لونك المفضل ..

لا أعـتـقـد فى الفلسـفـة الشـائعة عن الألوان . . ويذهب البعض أن الأصفر هو لون الخبث والكراهية والغـيـرة، فـهـذا رجل صـفـراوى، وتلك ابتـسـامـة صفراء . . ويقول رامى بلسان ليلى مراد : ودى وردة صفرا الغيرة تضنيها، ويقول الأخطل الصغير بلسان عبدالوهاب : أصفر من السقم أم من فرقة الأحباب . بينما تذهب مدرسة أخرى فى فلسفة الألوان الى أن اللون الأصفر يثير الهمة ويضفى شعورا بالراحة وأن بعض درجات الأصفر توحى بالسلام وإشراقة الشمس والدفء الجميل، وأن الأصفر الليمونى - كثوب - يضفى توهجا جميلا على صاحبات البشرة السمراء .

وقيل أن اللون الأحمر ينبه العقل والقلب والشهية - والأزرق يوحى بالاسـتـرخـاء والـصـفـاء - والارجـوانى يوحى بالغـمـوض - والرمـادى محايد . . و . . و . . الى اخر هذا الكلام الفارغ فى رأيى .

فأنا أعتقد أن الاحساس نحو اللون يتحدد بنوعية الارتباط العاطفى به . يكفى أن ترى حبيبة قلبك متعلقة باللون الأصفر حتى تنحسر عن أفكارك أنه لون الحقد والغيرة ويصبح الأصفر - فى عواطفك - ملك الألوان .

ومن المؤكد مثلا أن الرئيس ريغان يشترك مع الزملكاوية فى النفور من اللون الأحمر الذى هو لون غورباتشوف والأهلى، وإذا كانت فلسفة

الألوان تقول أن اللون الأبيض هو لوحة المحبة والطهارة والاخلاص فإن فانلة الزمالك البيضاء تستفز الأهلاوى بالهتاف المأثور: **أنلى حديد!**

ولا أعرف الآن سببا واضحا يفسر حبى للون الأخضر.. ففى طفولتى كنت أبكى لأننى أريد أن ألبس طربوشا أخضر، وقد انتهزت أمى هذه الفرصة فوعدتنى بشراء طربوش أخضر اذا نجحت فى مادة الحساب، وكنت فى الحساب- ولا أزال- طور الله فى برسيمه.

وقد برت أمى بوعدها فعادت من القاهرة الى الاسكندرية ومعها طربوش أخضر زرعى لعله من مخلفات أحد رواد قهوة المجاذيب فى سيدنا الحسين، وتولى عم عرفة الطرابيشى كى الطربوش الأخضر وتركيب زر له ولم تتصور أمى أننى سوف أذهب بالطربوش الأخضر الى المدرسة حيث أصبحت فى طابور الصباح عبرة لمن يعتبر وجرجرونى الى غرفة حضرة الناظر حيث فتحوا محضر تحقيق معى: كيف ولماذا أهنت هذا الرمز القومى الجليل الذى هو الطربوش!

وقد اضطررت امام بشاعة التهمة الكبرى التى لم أكن أعرف حجمها أن أدعى أن الطربوش سقط منى فى حلة الملوخية.

وتم فض الاشتباك بينى وبين المدرسة بتعهد ولى أمرى بألا أعبث باللون الرسمى لغطاء الرأس القومى الشريف.

وقد انزعج أبى انزعاجا شديدا فى أعقاب هذا الحادث القومى المؤسف إذ أيقن أن أزمة نفسية أصابتنى فلم أعد أتعرف أو أميز اللون الأخضر، ولم يكن أحد يدرى فى تلك الأثناء اننى كنت أحب طاطا بنت

الجيران ، وكلما أبديت اعجابى بالفيونكة الخضراء فى شعرها قالت لى أن الفيونكة ليست خضراء وإنما بنفسجية .

وتبين أن طاطا مصابة بعمى الألوان فى الأخضر فكانت ترى الأخضر بنفسجيا ، ومن فرط حبى لها أسميت الأخضر «بنفسجى» فالخيار بنفسجى ، والملوخية بنفسجى ، والسلاطة بنفسجى ، وبينما كانت أمى تدعو الله أن يجعل السنة الجديدة خضراء علينا كنت أردد معها اللهم أجعلها سنة بنفسجى يا كريم .

ولعل الدليل على أن فلسفات الألوان الشائعة لا تنهض على أساس أن اللون الأزرق يختص بالعفاريت الزرق والعدو ذى الناب الأزرق ، وعين الحسود الزرقاء ، ، بينما ترى فلسفة أخرى أن الأزرق يوحى بالاسترخاء والصفاء ، وفلسفة ثالثة تقول أنه لون يوحى بالبرودة ، ونفس هذا اللون فى الأندلس أيام الفتح الاسلامى كان لون الحداد بينما كانت الأسرة الحاكمة هى أسرة بنى الأحمر التى شيدت قصر الحمراء بغرناطة .

وفى غالبية شعوب العالم يعتبر اللون الأسود رمز الكآبة والحزن ومؤلفى المسلسلات ، كما أنه لون بدلة العريس فى جميع أنحاء العالم ، ولا يخفى على أحد طبعا سبب سواد بدلة العريس فى تلك الليلة المبروكة .

واذا كان اللون الأبيض هو رمز النقاء والطهارة وصفو الوداد ، فهو فى الصين يرمز الى لون الحداد ، فاحترس أن تحيى الصينى فى الصباح بأن تقول له نهارك أبيض بل قل له بابتسامة : نهارك أسود . . .

*****

عربى من فضلك .. !!

حواجز اللغة بين شعوب الأرض شيء سخيف يحول دون تفاهمها، ولا توجد لغة موحدة بين الشعوب إلا لغة الحب، فالسويدية تستطيع أن تقرأ في عيون الهندي ما يريد قوله، والاسباني يمكنه أن يستشف من نظرات اليابانية ما هو أبلغ من الكلام، وفى الخمسينات- فى القاهرة- اتجه شاب ألمانى الى كشك مرطبات ليروى عطشه، وما أن نظر الى وجه نوسة بائعة الكازوزة حتى وقع صريع هواها فأشهر اسلامه وتزوج منها دون أن تعرف نوسة كلمة ألمانية ودون أن يعرف الهرشموخلر كلمة عربية!

وفيما عدا لغة الحب يصبح التفاهم عسيرا، وعندما اكتشف الكابتن جيمس كوك استراليا مثلا راح يسأل الأهالى- بالانجليزية التى لا يفهمونها- عن اسم الحيوان الذى أمسك به، فلما قالوا له كانجارو، فهم خطأ أن هذا هو اسم الحيوان، بينما عبارة كانجارو بلغة سكان استراليا الأصليين معناها: ماذا تقول؟!

وفى ألمانيا وجدت محلا للهدايا مكتوبا عليه بالانجليزية هنا نتكلم جميع اللغات، ودخلت المحل لأجد أن أصحابه لم يكذبوا، فجميع الزبائن يتكلمون بكل لغات الأرض وأصحاب المحل لا يتكلمون إلا الألمانية ولا يفهمون حرفا من الزبائن!

وفى أول زيارة لايطاليا دخت السبع دوخات لأطلب من خادم الغرفة قطعة صابون، فقلت له «صابون» بالانجليزية والفرنسية واليونانية والخنفشارية وكل لغة فلم يفهم، وأخيرا اصطحبته الى الحمام وفتحت حنفية الحوض ورحت أحرك يدى كما لو كان بينها قطعة صابون، وهنا صاح قائلا بالعربى: صابونة! ثم تبين أنه لا يعرف العربية وان اسم الصابون بالايطالية هو صابونة!

وفى المكسيك تعرضت لمواقف متعبة بسبب عدم القدرة على اختراق حواجز اللغة، ففى المكسيك يكتسب الانسان الاسبانى اللغة خبرة عظيمة فى التفاهم باشارات الخرس، فبرغم تدفق السياح الأميركيين على المكسيك إلا أن أهلها لا يتكلمون الانجليزية عمدا ومع سبق الاصرار ربما بسبب عدم استلطاف تاريخى للعم سام الذى نشل من المكسيك ولايات كاملة مثل أريزونا وتكساس وكاليفورنيا فما من انسان تتعامل معه هناك إلا ويبادرك قائلا- وكأنه يفتخر-: نوانجليش سنيور!

وهو عادة لا يتوقف بعد هذه العبارة التى يعلنك فيها انه لا يعرف الانجليزية، بل يفترض أنك مولود فى نفس الشارع الذى ولد فيه وينطلق فى الكلام بالأسبانية كمدفع رشاش لتقول له فى النهاية: نوسبانيش سنيور!

ويروون فى ذلك حكاية المكسيكى المهذب الذى كان يختار مائدته فى مطعم الفندق بجوار مائدة نزيل يابانى، وفى اليوم الأول نهض المكسيكى بنصف انحناءة يقول لليابانى: بويناس ابيتيتوس- فنهض اليابانى يقدم اليه نفسه: ياساهيرو تاكيشاكى، ولمدة أربعة أيام متوالية كان المكسيكى

يعيد تقديم نفسه بويناس ابيتيتوس فيرد عليه اليابانى : ياساهيرو تاكيشاكى ، ثم شرحوا للياباني ان بويناس ابيتيتوس ليس اسم الرجل وإنما هو عبارة معناها : اتمنى لك شهية طيبة ، وما ان جاء المكسيكى الى مائدته حتى بادره اليابانى قائلا فى انحناءة : بويناس ابيتيتوس ، فرد عليه المكسيكى قائلا : ياساهيرو تاكيشاكى .

وإذا كان التفاهم بالاشارة صعبا ، فالحديث فى التليفون مع ادارة الفندق يصبح عقيما ، كذلك النزيل العربى الذى رفع السماعة يطلب مخدة بكل لغات الأرض ، ثم صاح يائسا بالعربى : مخدة الله يتعب قلبكم ، ففهموا على الفور واتضح أن المخدة اسمها موهدة ، وهى ضمن كلمات عربية كثيرة تركها العرب فى اللغة الاسبانية .

لكنى عندما احتجت الى كرسى فى غرفتى لم تفلح مع خادم الفندق كلمة كرسى التى قلتها له بالعربى ، ولا فهمها بالانجليزية أو الفرنسية ، فلجأت الى فن البانتوميم ، إذ وقفت أمثل امام الخادم تمثيلا صامتا كأننى أجلس على كرسى ، فبان على وجهه الفهم فورا ، وبأدب أفسح لى الطريق كى أتقدمه ، إلى أن وصلنا الى باب الحمام ، فأشار الى الكرسى إياه الذى يعلوه السيفون !

******

شكر الله سعيكم

أوصيت الأقربين بألا ينشر لى نعى عند وفاتى، فبينى وبين صفحة الوفيات خصومة شديدة، فهى فى رأيى حقل خصب للنفاق الادارى والاجتماعى والنصب أيضا، كأن يكتب نصاب لا يعرف المتوفى بضعة سطور حزينة ينعى فيها صديقه ورفيق عمره فلان، ثم يتوجه الى أهله معزيا وهو يذرف الدمع الهتون. وينجلى الأمر بقوله إن المتوفى مديون له بألف جنيه دين شرف فى لعب البوكر، وأن الله يرحمه كان شريفا جدا فى لعب الورق وعمره ماغش.

ولقد كانت أول صحيفة مصرية أدخلت هذه البدعة هى جريدة الوقائع المصرية، إذ نشر بها أول نعى عن وفاة احدى بنات محمد على باشا تحت عنوان: ارتحال بنت افندينا ولى النعم من دار الفناء الى دار البقاء، وقال كاتب النعى إن القلم فى يده «يزفر ويبكى حزنا على حضرة المعصومة والدرة المعدومة فرع الأصل الأصفى» ويلاحظ أن وفيات جريدة الوقائع اقتصرت على أفراد الأسرة الحاكمة. وكان النعى مقصورا على نشر الخبر دون أن ينشر بجوار الخبر ذلك البكاء المصطنع من المنافقين والنصابين.

وإذا كانت صفحة الوفيات لم تظهر فى صحافة الغرب، فإن الغربيين يناجون المتوفى فى لوحات توضع على القبور بدلا من سطور الصحيفة،

وتضم هذه اللوحات أحيانا ما يثير الضحك فى موقف بعيد تماما عن الضحك، فهذه مثلا لوحة فى بروك فيلد بولاية كونكتيكت أوصى الزوج بكتابتها قبل مماته: «هنا يرقد جون فليبروك وزوجته ظهرا لظهر وحين ينفخ فى الصوريوم القيام ستنهض هى ولكنى لن أنهض حتى لا أراها».

وفى سيلبى بمقاطعة يوركشاير بانجلترا: «هنا ترقد زوجتى وأكون كاذبا لو قلت أنى حزين عليها فقد كانت عديمة التربية سليطة اللسان».

وفى مدينة لينكولن: «هنا يرقد جيرديتس الذى تعيش أرملته فى شارع ايلم رقم ٦ وهى فى الرابعة والعشرين من عمرها ولديها كل مقومات الزوجة العظيمة المريحة»..

ولوحة أخرى: «هنا ترقد سينثيا ستيفنز زوجتى. عاشت ست سنوات فى الهموم والمنازعات وأخيرا استراحت وكذلك أنا»..

ويبدو أن أرملة السيد جيمى ويت كانت فى شدة البخل إذ كتبت على قبره فى فولكيرك بانجلترا: «مات ذات صباح فى الساعة التاسعة فوفر بذلك وجبة الغداء ووجبة العشاء يوم وفاته».

وفى ميدواى لوحة تقول: «هنا يرقد العم دانيلز لأنه للأسف خلع فانلته الشتوية مبكرا قبل حلول الصيف».

وفى بدفورد بانجلترا: «هنا يرقد مستر دادلى وزوجته التى كانت متفوقة عليه دائما ولكن انظر كيف هزمها الموت».

ولكن الأميركيين من هواة التقاليع، فإن الحانوتية يعرضون على أهل المتوفى أبياتا شعرية يمكن وضعها على اللوحة حسب الأحوال مثل:

«هنا يرقد فلان كان قويا وعظيما ولكن فرامل السيارة لم تكن كذلك» .

ومن أغرب اللوحات لوحة تقول : «صدق أو لا تصدق ، هنا يرقد رجل شريف» .

أما فى صحفنا فقد نشرت زوجة هذه المناجاة فى صورة هذا التهديد : «يا حبيبى ارقد فى سلام وهدوء . . حتى التقى بك» !

*****

النكتة ..!

عندما تنطلق حرية التعبير وتوجد صحافة الرأى الآخر تكتب ما تشاء وتنكت كما تريد بالكلمة والكاريكاتير، فإن النكت السياسية والهمسات الضاحكة تختفى من أفواه الناس لتتخذ مسارها الطبيعى عبر الاعلام العلنى .

وعندما تقال النكتة السياسية عبر الراديو أو الصحيفة أو التليفزيون فإنها تصل الى كل الناس وتصبح قديمةو بعد ذلك لا يرددها أحد، ولكن عندما تكون النكتة فولكلورية مصدرها الشعب فإنها تصبح معمرة وتعيش زمنا طويلا حتى تصل الى الناس فردا فردا عن طريق الهمس والنكت الشعبية تختلف من شعب الى آخر . فهناك نكتة مثلا تتناول جنون بعض حكام العالم بالأوسمة والنياشين التى ترصع البدلة العسكرية، وعلى سبيل المثال قيل أن عيدى أمين ملأ بدلته بالنياشين ولم يبق فيها إلا مكان واحد لو وضع فيه نياشين جديدة فسوف يتعذر عليه الجلوس..

وهناك نكت تتناول الشعارات التى ترفع وتبعد عن الواقع تماما، كتلك النكتة التى تقول ان بريجنيف دعا والدته لزيارة الكرملين فلما رأت العظمة التى يعيش فيها قالت له: انك يا ولدى تعيش حياة رائعة حقا ولكن ماذا ستفعل لو عاد الشيوعيون الى الحكم» . .

وعن أهل الخبرة وأهل الثقة يقولون أن خروشوف بعد زيارته لباريس فى أوائل الستينات أمر بتكوين فرقة راقصة كفرقة الليدو فلما انتقدوا الفرقة الجديدة قال خروشوف ان الراقصات فيها من أشد عضوات الحزب إخلاصا لأنهن من مؤسسات الحزب سنة ١٩١٧ . .

وعن جنون الطغيان تحكى النكتة عن ستالين الذى اختلف مع أرملة لينين فهددها بتعيين أرملة أخرى للينين!

وهناك نكتة كان بريجنيف يرويها بنفسه نقلا عن الشعب الروسى، وتقول النكتة أن مواطنا مثل امام المحكمة بتهمة الهتاف فى الميدان الأحمر قائلا: يسقط بريجنيف الحمار، فعاقبته المحكمة بسنة سجنا لأنه هتف بسقوط بريجنيف، وبعشرين سنة لأنه أذاع سرا من أسرار الدولة!

هكذا تعيش النكت الشعبية وتعمر.

ولكن النكت المكتوبة علنا يتوقف ترديدها بعد نشرها، فمثلا كتب الكاتب الأميركى الساخر ارت بوكوالد ينتقد غباء السياسة الاميركية فقال أن الأميركان مكروهون فى كل بلد بسبب تخبط السياسة الخارجية وغباوتها. لكن هناك بلدا واحدا استوائيا فى أميركا الجنوبية هو «مانجازو» كان سعيدا جدا بالأميركان، وأصبحت حكومة مانجازو تطلب كل شهر ألوف الخبراء الأميركيين، ثم تبين أن كل مانجازو- شعبا وحكومة- من أكلة لحوم البشر . .

*****

تمام يا فندم ..

كل انسان ضعيف امام النفاق .

من الذى يرفض أن يقال له أنت الأذكى والأقوى والأصوب رأيا والأعظم موهبة؟؟ ومن الانسان الذى يستطيع أن يحتمل الحقيقة السخيفة وانسان آخر يواجهه بها قائلا :

انت غبى

ولعل أحسن ما قيل فى أمر النفاق هو انه يحسن بالانسان أن يتلقى المدح الزائف فيه كما يتلقى زهرة ، يشمها ويحرص على ألا يبتلعها.

لكن كبار الموظفين يشمون الأزهار ويعلكونها ثم يبتلعونها ويتصورون أن كلمات المرؤوسين من محترفى النفاق هى حقائق سعيدة!

ولست أدرى كيف يمكن أن يفيق رئيس العمل من أوهامه التى يعذبه بها المنافقون؟ كيف نرده الى حجمه الطبيعى؟ هل نخصص مثلا يوما فى الاسبوع اسمه اليوم الادارى المفتوح تزال فيه حواجز السكرتارية وتوقف فيه لوائح الجزاءات والتأديب ليدخل المرؤوس الى رئيس الادارة قائلا :

- السلام عليكم ..

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته . . تفضل اجلس وقل الحقيقة .

- فلان الفلانى يرأس بقرار منك ادارة ليست مجال تخصصه- فهل يمكن يا سيدى أن تعطينا أسبابا وجيهة لتعيينه غير أنه ابن أخت المدام؟

ثم يستقبل رئيس العمل كبير أطباء الشركة ليقول له: لقد أشاعوا صفات ليست فيك. فإن كنت تحرص يا سيدى على أن تتحلى بهذه الصفات فهذا دواء قد يساعدك على التفكير بذكاء.

والنفاق صفة انسانية تميز بها الانسان عن الحيوان لأن الحيوانات لا تنافق أبدا، فلا هى مصابة بجنون العظمة كالانسان، ولا هى عندها نرجسية أو مركبات نقص أو جنون حب السلطة، وهى جميعا لوثات عقلية يرضيها النفاق كثيرا، ويقول المنافقون: لو كان الحمار الوحشى مثلا- وهو الطعام المفضل عند الأسد- قد تعلم كيف ينافق الأسد لنجا من أظلافه وأنيابه، ويضيف المنافقون: لكن الحمار الوحشى لا يعرف النفاق لأنه حمار!

ولو كانت الحيوانات فى حدائق الحيوان تنافق الاداريين فيها لقرأنا فى حركة الترقيات أن القرد قد رقى الى نمر والنمر الى أسد والأرنب الى ذئب، كما سنرى أن الذين لا يجيدون النفاق من الحيوانات قد لاقوا الجزاء فى حركة الترقيات فنزل الأسد الى درجة بغل استرالى والزرافة الى غزال والفيل الى شمبانزى والنسر الى ذكر بط.

ومن حسن حظ تلك الحيوانات أنها لا تعرف الصحف حيث يمارس الانسان فى أعمدة المجتمع والوفيات ألوانا مستحدثة من النفاق، ولو عرفته حيوانات الحديقة لظهرت فى أعمدة الصحف هذه الاعلانات:

- مرجان كبير القرود يتقدم بصفته وبالنيابة عن اخوانه القرود بأخلص التهانى للسيد مدير الحديقة بمناسبة تقلده منصبه داعيا لسيادته بدوام التقدم والرفعة .

- حمار الحديقة الوحشى يهنىء السيد المدير الجديد بثقة الوزير .

- ينعى سيد قشطة ببالغ الحزن والأسى السيدة زنوبيا زوجة عم السيد وكيل الحديقة التى اختطفتها يد المنون وهى لا تزال فى ربيعها التاسع والثمانين .

فإذا لاحظ مدير الحديقة أن الأسد مثلا لا يمشى فى موكب المداحيه عاقبه بتغيير اللحم الذى يأكله وأمر بأن يأكل الأسد اللحمة التى يشتريها الناس من الجمعية . .

*****

الكرسى

زرت صديقا صاحب منصب كبير، بينما كان يجلس معى فى صالون المكتب أتيح لى أن أتأمل كرسى مكتبه.. كرسى ضخم فخم دوار استأذنته فى استعماله لدقائق حتى أعرف الأعراض التى تظهر على بنى آدم اذا جلس على مثل هذا الكرسى..

وما أن اتخذت مجلسى ارتسمت على وجهى تكشيرة تعكس وقارا وعظمة، ويبدو أن كبار الموظفين يتسلمون هذه التكشيرة عهدة مع الكرسى ويسلمونها عند رحيلهم عنه، وكذلك لاحظت أن الكرسى واسع جدا ولا استطيع أن املأه. فكانت النتيجة أن تجهمى كان أكبر واحساسى بالتعالى والعظمة كان أشد.

بعد دقائق قال لى حضرة صاحب الكرسى يكفيك هذا القدر، غير اننى شعرت اننى أتشبث بالجلوس واستمرأته، وبدا لى الكرسى كما لو كان يرسل اشعاعات مسلطة على المخ، فبدأت أحس بالفصام البارانوى أو جنون العظمة والشعور بالارتياب وأن مؤامرة تدبر لانتزاعى من الكرسى. حاولت النهوض من الكرسى استجابة لالحاح الصديق حضرة صاحب الكرسى، لكننى فشلت، ولاح لى الرجل وكأنما قد تحول الى الانسان الأخضر، إذ انتفخ غضبا وتبدت عليه بوضوح أعراض مرض «الكرسى فوبيا» أى جنون الخوف من فقدان الكرسى.

وغـريزة البـحث عن كـرسى لا تقل أهمـيـة عن غـريزة البـحث عن الطعام، فكما اهتم الانسان بالطعام وتفنن فى ألوانه اهتم أيضا بالكرسى وتفنن فى أشكاله، فهذا كرسى لوى كانز، وهذا كرسى كوين آن، وهذا كرسى البرلمان، وهذا كرسى الوزارة.

ويقال أن الانسان العبقرى يبدأ يتعلم المشى وعمره ستة شهور، وما أن يبلغ سن الترشيح للبرلمان أو للوزارة حتى يكون قد تعب من المشى سنين طويلة وأصبح فى حاجة الى كرسى يجلس عليه..

والكرسى مشتقا من الفعل كرس يكرس تكريسا، فيقال استكرس المرشح الناس أى صعد على أكتافهم الى كرسى العلالى، ويقال رجل متكرس، أى بذل الغالى والنفيس فى سبيل الوصول الى الكرسى، ويقال مكراس أى رجل التصق بالكرسى وهام به عشقا وأصبح من المتعذر انتزاعه منه إلا بعملية جراحية، والمشتقات بعد ذلك كثيرة ومتنوعة: رجل كروس ورجل متكارس على الكرسى ورجل كرسيس.

وقد فكرت ذات يوم ان استكرس (راجع التفسير اعلاه) وكان لابد لذلك من دراسة اجراء الانتخابات فى كل موسم انتخابى، فعرفت أن خطب المرشحين لا تحتاج منهم الى تفكير، فلا وقت عند هؤلاء المرشحين للتفكير لأن الكلام يستغرق كل وقتهم، كذلك لاحظت أن الانسان عند ترشيحه لنفسه تحل فى كيانه أعظم السجايا فيصبح المحسن الكبير والمواطن الصادق والمخلص والطاهر والنزيه والأمين.

كما يطلقون عليه رجل الساعة خصوصا اذا عرف الناخبون انه يوزع ساعات يد ماركة هيروشيكا.

******

الفهرس

الصفحة

****

رقم الايداع: ٩٧/٤٢٣٥
الترقيم الدولى
I.S.B.N.
977 - 08 - 0610 - 2

طبعت بمطابع دار أخبار اليوم
٦ أكتوبر